الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم التاريخ

دور إمبراطورية الماندنغو في السودان الغربي في مقاومة الاستعمار الفرنسي(١٨٧٤ـ ١٨٩٨)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تقدمة الطالبة: حلا مؤيد العلي
إشراف: أ.د. عقيل نمير

العام الدراسي ٢٠١٩/٢٠٢٠م
١٤٤٠/ ١٤٤١هـ

الإهداء

إلى أبي وأمي

إلى إخوتي

إلى كل من قدم لي الدعم العلمي والمعنوي

فهرس المحتويات:

المقدمة ١

التمهيد: السودان الغربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر ٥

أولاً- جغرافية السودان الغربي ٥

ثانياً- المجموعات البشرية ٨

ثالثاً- لأوضاع السياسية ١١

الفصل الأول: تأسيس إمبراطورية الماندنغو ١٨٧٤ ١٥

أولاً- التعريف بالمؤسس ساموري توري ١٥

ثانياً- تأسيس إمبراطورية الماندنغو ١٨٧٤ ١٧

ثالثاً- التنظيم السياسي والإداري ٢١

أ- التنظيم السياسي ٢٢

ب - التنظيم الإداري ٢٤

رابعاً- الحياة الاقتصادية ٢٦

أ- الصيد وتربية الحيوان ٢٦

ب - الزراعة ٢٦

ج - الصناعة ٢٩

د - التجارة ٣١

خامساً- الحياة العسكرية ٣٥

أ- التجنيد ٣٥

ب - تسليح الجيش ٣٦

ج - الملابس ٣٦

د - نظام التعبئة ٣٧

هـ - تموين الجيش ٣٧

و- الإعداد للمعارك ٣٨

سادساً- الحياة الاجتماعية ٣٨

أ- فئات السكان ٣٩

ب - اللغة ٣٩

ج - طبقات المجتمع ٤٠

دـ الأسرة ٤١
سابعاً ـ الحياة الثقافية ٤٣
الفصل الثاني: مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي في أعالي النيجر ١٨٨١ـ١٨٩٣ ٤٧
أولاً ـ أسباب توسع فرنسا في السودان الغربي ١٨٧٩م ٤٧
أ ـ الأسباب السياسية والعسكرية ٤٧
ب ـ الأسباب الاقتصادية ٤٨
ثانياً ـ المرحلة الأولى من القتال١٨٨١_١٨٨٣ ٤٩
أ ـ بعثة الكاماسا ١٨٨١ ٤٩
ب ـ حملة بورغنيس ديسبورد ١٨٨٢ ٥١
ج ـ الزحف والامتداد نحو باماكو ١٨٨٣ ٥٤
ثالثاً ـ المرحلة الثانية ١٨٨٥ـ١٨٩٠ ٦٢
أ ـ حملة العقيد أنطوان كومبس (Antoine Combes) آذار/ نيسان عام ١٨٨٥ ٦٢
ب ـ القتال عند نهر كومودو ٣١ أيار ١٨٨٥ ٦٣
ج ـ حصار الماندنغو لقرية نافادييه ١ حزيران ١٨٨٥ ٦٤
د ـ القتال عند نهر كوكورو ١٤حزيران ١٨٨٥ ٦٥
هـ ـ حملة الماندنغو على الضفة اليسرى للنيجر ١٨٨٥ ٦٧
و ـ حملة العقيد هنري فري ١٨٨٥ـ ١٨٨٦ ٦٨
ز ـ معاهدة كينيبيا كورا (Kenieba Koura) ١٦نيسان ١٨٨٦ ٧١
ح ـ معاهدة بيساندوغو ٢٥آذار١٨٨٧ ٧٤
ط ـ علاقات الإمبراطورية مع فرنسا خلال عامي ١٨٨٧ـ ١٨٨٨ ٧٦
ي ـ نياكو (Niako) ٢١شباط ١٨٨٩ ٧٨
ك ـ الفترة الانتقالية ما بين السلم والحرب ١٨٨٩ـ١٨٩٠ ٨٠
ثالثاً ـ المرحلة الثالثة ١٨٩١ـ ١٨٩٣ ٨٣
أ ـ حملة العقيد لويس أرشينارد ١٨٩١ ٨٣
ب ـ حملة العقيد جورج همبرت ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ ٨٦
د ـ حملة العقيد أنطوان كومبس ١٨٩٢ـ ١٨٩٣ ٩٠
هـ ـ حملة غيتان بونييه*(Gaetan Bonnier) ونهاية مقاومة المندنغو في منطقة أعالي النيجر ٩٣

الفصل الثالث: مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي في ساحل العاج ١٨٩٤- ١٨٩٨ ٩٦

أولاً- الأوضاع السياسية في ساحل العاج عشية قدوم الماندنغو ٩٦

ثانياً- لجوء قوات الماندنغو إلى ساحل العاج ١٨٩٤ ٩٨

ثالثاً- حملة كونغ ١٨٩٤- ١٨٩٥ ١٠٠

رابعاً- إمبراطورية الماندنغو الثانية ١٠٨

خامساً- حملة العقيد بول كودرلييه كانون الثاني/ شباط ١٨٩٨ ١١٤

سادساً- حملة العقيد راؤول دي لارتيج(Raoul De-Lartigue) تموز ١٨٩٨م ونهاية إمبراطورية الماندنغو ١١٨

الخاتمة ١٢٨

ملحق الصور والخرائط **١٣٢**

قائمة المصادر والمراجع ١٥٠

ملخص الموضوع:

يتناول البحث موضوع "دور إمبراطورية الماندنغو في السودان الغربي في مقاومة الاستعمار الفرنسي (١٨٧٤ـ ١٨٩٨)"، من خلال عرض تمهيدي موجز ومبسط للأوضاع التي سادت السودان الغربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، من النواحي الجغرافية: الموقع، والخصائص التضريسية، ومن ثم تم دراسة المجموعات البشرية، من خلال الحديث عن القبائل الرئيسة التي استوطنت المنطقة في تلك الفترة، ومن ثم دراسة الأوضاع السياسية في كل بقعة من بقاع السودان الغربي.

تناول الفصل الأول الذي حمل عنوان تأسيس الإمبراطورية الماندنغو (١٨٧٤)، القضايا الرئيسة التي استلزم الحديث عنها بما يخدم الموضوع، من حيث الإجراءات التنظيمية في كافة جوانبها من سياسية وإدارية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وأخيراً ثقافية، إذ أن مفتاح قوة وضعف أي دولة، يكمن في الأوضاع القائمة في الداخل.

ويتناول الفصل الثاني: مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي في أعالي النيجر (١٨٨١- ١٨٩٣)، للبحث في حركة التوسع الفرنسي، ومقاومة إمبراطورية الماندنغو، وما نتج عن ذلك من حروب دموية، كرد فعل على محاولة الفرنسيين غزو مناطق خاضعة لسيطرة الماندنغو، وقد تخللت المعارك فترات من السلم المؤقت الذي أمنته المعاهدات الموقعة بين الطرفين، إلا أن الحرب ما لبثت أن تجددت، إلى أن انتهت بقضاء الفرنسيين على سيادة إمبراطورية الماندنغو في منطقة أعالي النيجر.

أما الفصل الثالث الموسوم بعنوان مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي في ساحل العاج (١٨٩٣ـ ١٨٩٨)، الذي تضمن دراسة عن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في منطقة ساحل العاج قبيل قدوم الماندنغو إليها، من ناحية الحدود ومن ناحية الكيانات السياسية، ومن ثم دخول الماندنغو إلى أراضيها، وتأسيس إمبراطورية جديدة فيها، وقد تزامن ذلك مع حركة التوسع الفرنسي هناك، حيث كان لفرنسا أسبقية التواجد في المنطقة، فنشب القتال بين الإمبراطورية ومستعمرة فرنسا في ساحل العاج، انتهى بوقوع حاكمها ساموري توري في الأسر، وباعتقاله قضي على إمبراطورية الماندنغو بالكامل.

وعلى هذه الصورة انتهت مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي في السودان الغربي، تلك المقاومة التي صمدت في وجه المحتل الفرنسي سبعة عشر عاماً.

المقدمة:

يعد تاريخ السودان الغربي مادة غنية للباحثين لاسيما خلال القرن التاسع عشر، نظراً لحالة الغليان السياسي التي سادت المنطقة خلال هذا القرن، فقد تميز بنشوء وانهيار عدد كبير من الدول والممالك والإمبراطوريات، وكذلك الحروب التي قامت بين حكام الممالك المحلية، حيث كان كل حاكم يسعى إلى توسيع رقعة نفوذه على حساب جيرانه، فضلاً عن التنافس الأوروبي، من أجل السيطرة على مقدراته، والذي بلغ ذروته خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما نتج عن ذلك من حروب بين المستعمر الأوروبي والحكام المحليين.

ولم تكن إمبراطورية الماندنغو التي تأسست عام ١٨٧٤ في منطقة أعالي النيجر، بمنأى عن هذه الأحداث، فقد ساعدت حالة الغليان السياسي التي شهدتها المنطقة على نشوء الإمبراطورية، فقد دفع الصراع المحلي ساموري توري إلى تأسيس إمبراطورية حملت اسمه، ومن ثم كان سبب استمرارها وقوتها نتيجة لضعف الممالك المجاورة التي أنهكتها الصراعات المستمرة، مما أتاح لساموري مد نفوذ دولته إلى مساحات واسعة، شملت معظم المناطق الواقعة في أعالي النيجر، مما جلب الاستقرار لمنطقة واسعة لم تكن قد عرفت الاستقرار منذ زمن.

وقد تزامنت حروبه التوسعية مع قرار الحكومة الفرنسية عام ١٨٧٩م، ببناء إمبراطوريتها الإستعمارية في السودان الغربي، منطلقة من قواعدها العسكرية في أعالي السنغال، باتجاه أعالي النيجر، ومن قواعدها في جنوب ساحل العاج نحو الشمال، وقد أدى توسعها إلى صدامها المباشر بمقاومة إمبراطورية الماندنغو، والذي مر بأربعة مراحل، ثلاثة منها جرت أحداثها في منطقة أعالي النيجر، والرابعة دارت رحاها في ساحل العاج.

أما عن السبب الحقيقي والمباشر الذي أشعل سلسلة الحروب، فهو الأطماع الفرنسية التي كانت تمتد تدريجياً حتى شملت المنطقة الممتدة على كامل أعالي النيجر، ففي المرحلة الأولى كانت الحروب بين الطرفين عبارة عن مناوشات، إذ كانت فرنسا حينها مشغولة بإحكام سيطرتها على مدن أعالي نهر السنغال، وفي الوقت نفسه كانت تسعى لكبح جماح ساموري الذي كان منطلقاً لتوسيع رقعة إمبراطورية الماندنغو، وبذلك دخلت فرنسا في حروب تأديبية، دون أن تعلن عن رغبتها في القضاء على إمبراطوريته، إذ أن أطماعها كانت لا تزال بعيدة عن الأراضي التي تحكمها إمبراطورية الماندنغو.

وفي المرحلة الثانية أخذت فرنسا تتطلع إلى السيطرة على الضفة اليسرى للنيجر، حيث كان يسعى ساموري إلى مد سيطرته عليها أيضاً، وبعد معارك عدة نشبت بين الطرفين، لم يحسم فيها النزاع لصالح أي منهما، ارتأى الطرفان إلى الانتقال من الحرب إلى الدبلوماسية، وفي المرحلة الأخيرة من المفاوضات، تمكنت فرنسا من انتزاع اعتراف ساموري بالسيادة الفرنسية على كامل المنطقة الواقعة على الضفة اليسرى للنيجر، مستغلة المشاكل الداخلية التي واجهها ساموري، والتي كانت فرنسا ضليعة إلى حد كبير في إثارتها من جهة ، فضلاً عن المعدات العسكرية المتقدمة للجيش الفرنسي من جهة أخرى، مما دفع ساموري إلى التخلي عن سياسته التوسعية، تجنباً للصدام مع فرنسا، والعمل على الحفاظ على ممتلكاته على الضفة اليمنى.

وفي المرحلة الثالثة كانت فرنسا قد مدت أنظارها إلى المناطق الواقعة على الضفة اليمنى للنيجر من أجل السيطرة عليها، ولما لم يكن بإمكانها فعل ذلك طالما إمبراطورية الماندنغو قائمة هناك، لذا أخذت تضع الخطط التي تضمن لها إضعاف مقاومة الماندنغو، وضرب مراكز قوتهم، ومن ثم تسدد ضربتها القاضية.

إلا أن المفاجئة كانت أن الماندنغو لم يقوموا بمقاومتها، بل على العكس بدأوا بالانسحاب التدريجي، متبعين سياسة الأرض المحروقة للممتلكاتهم، وذلك لحرمان فرنسا جني ثمار النصر على الوجه الأكمل، بينما شقوا طريقهم باتجاه الشمال حيث بلاد منحنى النيجر، إلا أن فرنسا لم تلبث أن طردتهم منها، فاضطر الماندنغو إلى الانحراف جنوباً ليدخلوا أراضي ساحل العاج، ويؤسسوا إمبراطورتيهم الجديدة في القسم الشمالي منها عام ١٨٩٤م.

وهنا يعيد التاريخ نفسه، حيث دخل ساموري في حروب مع الممالك المحلية هناك، من أجل ضم أراضيها إلى مناطق نفوذه، كما اصطدم مجدداً بالأطماع الفرنسية، مما أدى إلى اندلاع حرب جديدة بين الطرفين، وهنا تبدأ المرحلة الرابعة من القتال، مما دفع ساموري إلى الزحف نحو بلاد توما، على الحدود الشمالية لجمهورية ليبيريا، إلا أن فرنسا قامت هذه المرة بإحاطته من جميع الجهات، حيث سدت في وجهه جميع الطرق، ولم يستطع أن ينفد إلى هناك، ومن ثم قامت بالإطباق عليه، وأسرته مع جميع أركان دولته، وبذلك انتهت إمبراطورية الماندنغو، وانتهى دورها في مقاومة الاستعمار الفرنسي في السودان الغربي ١٨٩٨م.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

يتناول البحث دور إمبراطورية الماندنغو في السودان الغربي في مقاومة الاستعمار الفرنسي (١٨٧٤- ١٨٩٨)، وما رافق ذلك من أحداث أثرت على حركة التوسع الفرنسي من جهة، ومقاومة الإمبراطورية من جهة أخرى، حيث أدت الإمبراطورية دوراً مهماً في تأخير المد الفرنسي الذي كان يسعى للسيطرة على أعالي النيجر وساحل العاج، فضلاً عن توحيد جميع ممتلكاتها في السودان الغربي، إلا أن الحروب المتواصلة التي كانت تخوضها الإمبراطورية، سواءً مع الفرنسيين، أو مع الحكام المحليين، أو مع المتمردين في الداخل، قد أثرت بشكل مباشر و غير مباشر على فعالية المقاومة، كما أن الوقت الطويل الذي استغرقه القتال مع الفرنسيين قد مكن الفرنسيون من اختبار جميع أساليب الإمبراطورية في القتال، مما دفعها إلى تغيير خططها واستراتيجيتها في مواجهة الإمبراطورية، مما استنزف منها الكثير من الجهد والوقت، إلى أن تمكنت من القضاء على دور الإمبراطورية على المسرح السياسي، فتم لها بذلك السيطرة على منطقة أعالي النيجر وساحل العاج.

تأتي أهمية الموضوع من الأهمية الجغرافية للسودان الغربي بشكل عام، ومنطقة أعالي النيجر حيث تحكم إمبراطورية الماندنغو بشكل خاص، حيث كان السودان الغربي بموقعه الجغرافي المميز القريب من أوروبا فضلاً عن غناه بالثروات الطبيعية محط أطماع الدول الأوروبية، التي سعت إلى مد رقعة نفوذها فيه إلى أقصى مساحة ممكنة، ومن ثم كان لموقع أعالي النيجر من الأهمية، مما دفع فرنسا إلى محاولة القضاء على الإمبراطورية والسيطرة عليه، حيث كان يجري ضمن أراضيه نهر النيجر بروافده العديدة، وكذلك لتحكمه بعدة بطرق تجارية هامة، فضلاً عن وجود منجم بوريه، الذي يعد من أغنى مناجم الذهب في السودان الغربي.

كما تأتي أهمية الموضوع من أهمية الجهاز السياسي والعسكري الذي ميز الإمبراطورية عن مثيلاتها في السودان الغربي.

أما الأهمية الثالثة، فتكمن في أهمية المقاومة التي أبدتها إمبراطورية الماندنغو في التصدي للاستعمار الفرنسي، والتي تعد من أقوى حركات المقاومة التي اعترضت سبيل فرنسا في السودان، فقد استمرت سبعة عشر عاماً، وقد كتب عنها الكتاب الفرنسيون بمزيج من الإعجاب، بينما هاجمها آخرون ونعتوا مؤسسها بما تهوى أنفسهم، وإنما فعلوا ذلك حقداً على الإمبراطورية نظراً لما تكبدته فرنسا من خسائر كبيرة أثناء حروبها معها.

أما عن أسباب اختيار موضوع البحث، فلأنه يعد من صلب تخصص تاريخ أفريقيا الحديث

والمعاصر، كما أن الموضوع على أهميته غير مطروق في العالم العربي، وما تداوله الكتاب العرب عنه لا يتعدى أن يكون شذرات متفرقة لا تسمن ولا تغني من جوع، على الرغم من الاسم الرنان لمؤسسها ساموري توري.

أما عن سبب اختيار مصطلح إمبراطورية الماندنغو، إنما جاء لعدة اعتبارات، فقد تم اختيار مصطلح "إمبراطورية"، بالرغم من تنوع التسميات ما بين دولة ومملكة وإمبراطورية، نظراً لتكرار وروده في المصادر أكثر من دولة أو مملكة، أما عن استخدام مصطلح "الماندنغو" رغم تعدد تسميات الإمبراطورية ـ والتي سترد بشكل مفصل في الفصل الأول من البحث ـ فلأن تلك التسميات كانت متعلقة بالإمبراطورية التي قامت في أعالي النيجر، والتي لم تعد صالحة للاستخدام بعد انتقالها لساحل العاج، لذا تم اعتماد اسم إمبراطورية الماندنغو نظراً لأنها اقتصرت على قبائل الماندنغو سواءً في أعالي النيجر أو في ساحل العاج، ذلك لأن ساموري قام بنقل شعبه الذي كان خاضعاً لحكمه في أعالي النيجر إلى مناطق سيطرته في ساحل العاج .

أما عن سبب اختيار المدة الزمنية التي بدأ بها البحث ألا وهي عام ١٨٧٤، ففي هذا العام أطلق ساموري على نفسه لقب فاما أي الملك، وهذا ما يتناسب مع مسمى إمبراطورية، إلا أن المتعارف عليه أن الإعلان عن تأسيس كل دولة يبدأ من تاريخ الإعلان عن العاصمة، والذي يوافق العام ١٨٧٢، إلا أن لقب ساموري في ذلك العام كان أمير السيف، وهذا ما لا يتفق مع مصطلح إمبراطورية.

أما عن تاريخ نهاية الموضوع ١٨٩٨ففي هذا العام سقطت إمبراطورية الماندنغو، وبالتالي انتهى دورها في مقاومة الاستعمار الفرنسي في السودان الغربي، وهو ما يمثل المحور الرئيس للموضوع.

الهدف من البحث:

أما الهدف الرئيس من البحث فهو إماطة اللثام عن إمبراطورية تعد من أهم الكيانات السياسية التي قامت على أراضي إفريقيا، والتي لا تزال مجهولة عربياً، وكشف أسباب نشوئها وقوتها، وأسباب احتلال الفرنسيين للسودان الغربي، ودور الإمبراطورية في عرقلة تقدمهم وتأخيره، مما يعد دليلاً من الأدلة الكثيرة التي دحضت ادعاءات الأوروبيين بأن إفريقيا عند مجيئهم كانت فارغة من أي سلطة سياسية منظمة، مما أدى إلى انتشار الفوضى والجهل، الذي تبدد مع حكم الرجل الأبيض للمنطقة.

إشكالية البحث:

أما إشكالية البحث، أو السؤال الذي يطرحه البحث: كيف صمدت إمبراطورية الماندنغو في وجه الفرنسيين سبعة عشر عاماً، على الرغم من التفاوت الكبير في العتاد الحربي، الذي أبرز تفوق فرنسا على إمبراطورية الماندنغو.

ومعالجة هذه القضية تستدعي معالجة القضايا التالية:

١ـ التنظيم الداخلي للإمبراطورية.

٢ـ الاستراتيجية العسكرية التي انتهجتها الإمبراطورية في المقاومة.

منهج البحث:

يقوم البحث بدراسة دور إمبراطورية الماندنغو في السودان الغربي في مقاومة الاستعمار الفرنسي (١٨٧٤ـ ١٨٩٨)، بالاعتماد على المنهج الوصفي الاستقرائي، وذلك عن طريق القراءة

المكثفة للمصادر والمراجع ،ومن ثم استنباط وتفكيك النصوص المصدرية التي تم بناء الشكل العام للدراسة عليها، وكذلك المنهج التحليلي في محاولة لسد ثغرات البحث، التي لم يتم التوصل إليها عن طريق دراسة المصادر والمراجع، وفي محاولة الإجابة عن الأسئلة التي تخللت البحث.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد كبير من المصادر أهمها مجموعة الجرائد والمجلات الفرنسية المعاصرة للأحداث، وكذلك كتب القادة الفرنسيين الذين شاركوا في الحملات الفرنسية ضد الإمبراطورية، أمثال لويس أرشينارد (Louis Archinard) في كتابه: السنغال والسودان الفرنسية فرنسا الإستعمارية، جوزيف جاليني(Joseph Gallieni): حملتان في السودان الفرنسي، وهنري فري(Henri Frey): حملة في السنغال وفي أعالي النيجر، وإيتان بيروز(Etienne Peroz): السودان الفرنسي، كما تم الحصول على بضعة ورقات من كتاب ساموري وثورة الديولا للكاتب إيفيز بيرسون (Yves Person) ، بما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية في الإمبراطورية.

وقد واجه البحث العديد من الصعوبات، وهي عدم وجود دراسة عربية عن الموضوع، وما وجد في كتب المؤلفين العرب عن الإمبراطورية لم يتعد القشور السطحية التي تخللها العديد من المعلومات الخاطئة، وكذلك عدم توفر دراسات أجنبية منشورة عن الإمبراطورية أو حاكمها ساموري، على الرغم من قيام العديد من الباحثين من عدة دول أوروبية بدراستها.

لذلك تم الاعتماد في الدراسة على المصادر الفرنسية المعاصرة للأحداث، والتي لم ينشر منها سوا عدد قليل، تم إيجادها بصعوبة بالغة، وقد تطلب دراستها وتحليلها الكثير من الجهد والوقت، بسبب وجود معلومات متناقضة فيما بينها، ووجود خلط في بعض منها ما بين الأحداث التي دارت على مسرح هذه الإمبراطورية وبين الأحداث التي دارت في ممالك غيرها، فأرض السودان الغربي وجغرافيته كانت لاتزال مجهولة لدى الكتاب الفرنسيين في ذلك الوقت، لذلك تم الاعتماد ما أمكن على كتابات القادة والجنود الذين شاركوا في المعارك مع الإمبراطورية.

كما وجد في المصادر المعتمدة العديد من المعلومات المحرفة، فهي مكتوبة بأقلام العدو، الذي كان هدفه الرئيس منها هو تشويه صورة الإمبراطورية وصورة حاكمها ساموري توري، وقد تم اعتماد المعلومات الأقرب إلى الحقيقة في رأي الباحث، وقد تم التوصل إليها عن طريق الموزانة بين المصادر المختلفة، ومما سهل الوصول إلى المعلومات المرجحة إلى حد ما، هي أن الروايات أخذت من مصادر وليس من مراجع نقلت عن بعضها البعض، مما فضح التناقض بينها والتحريف في بعض معلوماتها، فضلاً عن عدم وجود تحديد زمني دقيق للأحداث التي جرت في المنطقة قبل اصطدامها مع الفرنسيين.

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل للمشرف على البحث: الأستاذ الدكتور عقيل نمير، الذي ساهم في اختيار عنوان البحث، كما علمني أصول المنهج التحليلي.

كما أتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور أحمد الخضر، والأستاذ الدكتور حسام النايف، لتكرمهما بقراءة البحث، وتصويب الأخطاء.

التمهيد: السودان الغربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر:

أولاً- جغرافية السودان الغربي:

يحتل السودان الغربي القسم الغربي من القارة الإفريقية، وقد أخذت تسميته من كتابات المؤرخين العرب الذين استخدموا مصطلح السودان الغربي* للإشارة إلى المنطقة الممتدة مما بين الصحراء الكبرى شمالاً وبحيرة تشاد والكاميرون شرقاً وخليج غينيا جنوباً والمحيط الأطلسي غرباً، على مساحة تقدر ب ٢,٤ مليون ملم [١]، حيث يشغل السودان الغربي ما يعرف حالياً بموريتانيا، السنغال، مالي، غينيا، غينيا بيساو، الرأس الأخضر، نيجيريا، النيجر، غانا(ساحل الذهب)، بوركينا فاسو(فولتا العليا)، سيراليون، غامبيا، ليبيريا، بنين وتوغو [٢].

من الناحية الجغرافية، يغلب على مساحة السودان الغربي الطابع الهضبي [٣]، حيث توجد مجموعة من الهضاب الواسعة، يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠ ـ٥٠٠متر، ويتخلل هذه الهضاب مجموعة من المرتفعات والمنخفضات، يجري من خلالها مجموعة من الأنهار، في حين تغطي الأجزاء الشمالية منها، الرمال التي زحفت إليها من الصحراء الكبرى في الشمال[٤].

يأتي في مقدمة هذه الهضاب: هضبة فوتاجالون في الركن الجنوبي الغربي من السودان الغربي، إذ يبلغ ارتفاعها حوالي ١٠٠٠م، يليها في الأهمية هضبة جوس في شمال نيجيريا، ويبلغ ارتفاعها ٥٠٠م، وما بين هاتين الهضبتين يوجد حوض نهر الفولتا الواسع، الذي لا يتعدى ارتفاعه ٤,٥متر [٥].

---

*- أطلق العرب كلمة السودان على هذه المنطقة، وأرادوا بها أصحاب البشرة السوداء بصفة عامة، وتشمل جغرافياً ما عرف باسم الحزام السوداني الممتد في قلب القارة الأفريقية من الشرق إلى الغرب، إلا أن هذا المصطلح كما عناه العرب يكاد ينصب على سكان غرب أفريقيا، لأن للعرب أوصافاً أخرى لأصحاب البشرة السوداء في غير هذا الجزء من القارة. العراقي، أحمد: بلاد غربي إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ الدور الحضاري والثقافي، المؤتمر الدولي الإسلام في أفريقيا، ٢٧تشرين الثاني، ٢٠٠٦، ص٣٣.

(١)- قحام، بن شعبان، عمار، سلمى: الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية ما بين القرنين ٩هـ -١٣هـ/ ١٥م -١٩م، جامعة ٨ماي ١٩٤٥، قالمة- الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧، ص٨.

(٢)- أبكين، موسى: الغزو الفكري الاستعماري على التراث العربي الإسلامي في غرب أفريقيا، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد٢١، ٢٠١٤، ص٨٥-٨٦.

(٣)- روكز، يوسف: إفريقيا السوداء سياسة وحضارة، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦، ص ٣٦.

(٤)- عباد، أحمد: المستكشفون الأوروبيون في غرب أفريقيا بين الاستكشاف والاستعمار من نهاية القرن الثامن عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلاديين، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، الجزائر، ٢٠١١، ص٤.

(٥)- أبو عيانة، فتحي محمد: جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية - مصر، ١٩٨٣، ص٢١٩.

أما بالنسبة للجبال، فهي موزعة على الحافة الساحلية الجنوبية المطلة على خليج غينيا، أهمها جبال فوتاجالون الممتدة في أعالي حوض نهر النيجر إلى الشمال من سيراليون، وتأتي أهميتها من كونها منبع لمعظم أنهار السودان الغربي، كما تقع فيها أعلى القمم الجبلية في المنطقة، منها قمة بنتيماني (Bintemani)، حيث يبلغ ارتفاعها ١٩٥٠م، وقمة نيمبا (Nimba)، التي يصل ارتفاعها إلى ١٧٥٠[١]، بينما تحتل مرتفعات أداموا في الشرق المرتبة الثانية في الأهمية ويبلغ معدل ارتفاعها ١٠٣٥م، يليها جبال توغو في الجنوب، حيث ترتفع فيها مجموعة من القمم يبلغ متوسط ارتفاعها ٩٠٠م [٢].

أما عن الأنهار، فيتميز السودان الغربي بجريان ثلاثة أنهار رئيسة، أهمها **نهر النيجر:** وهو عموماً ثالث أهم نهر في أفريقيا بعد نهري النيل والكونغو*[٣]، إذ يبلغ طوله نحو ٤١٨٠كم [٤]، من منبعه في المرتفعات الداخلية لهضبة فوتاجالون [٥]، وحتى مصبه في دلتا النيجر في خليج غينيا على المحيط الأطلسي [٦]، حيث يمر بكل من غينيا ومالي والنيجر ويشكل الحدود بين النيجر وبنين ثم يتجه إلى نيجيريا حيث يصب هناك في دلتا كبيرة في المحيط [٧].

الجدير بالذكر أن نهر النيجر يتكون من أربع روافد رئيسية، وهي: نهر النيجر الأصلي [٨]، ونهري ميلو(Milo) ونياندان(Niandan) على الضفة اليمنى للنيجر [٩]، ونهر

---

(١)- عباد، أحمد: المرجع السابق، ص ٥.

(٢)- باري، كردية، محمد، سعيد: المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧، ص٢٢.

*- نهر الكونغو: ينبع في منطقة بحيرة تنجانيقا في زامبيا، يصب في المحيط الأطلسي، يبلغ طوله ٤٧٠٠كم. حجوجي، هزيلي، لمياء، يسرى: الكشوفات الجغرافية في افريقيا نهر النيل الكونغو النيجر، جامعة ٨ماي ١٩٤٥، قالمة- الجزائر، ٢٠١٦، ص ٥٧.

(٣)- ذهني، إلهام: جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ١٨٥٠- ١٩١٤، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٨، ص٢١.

(٤)- أنور، محمد: أنهار وبحيرات أفريقيا نهر النيجر ثالث أكبر أنهار إفريقيا، مجلة أفريقيا قارتنا، القاهرة، العدد٧، أيلول، ٢٠١٣، ص١.

(٥)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٢١.

(٦)- أنور، محمد: المرجع السابق، ص١.

(٧)- باري، كردية، محمد، سعيد: المرجع السابق، ص٢٢.

(8) - Monographie Hydrologique Du Bassin Du Niger, 1ère partie Le Niger Supérieur Et Le Bani, Office de la Recherche Scientifique et Technique Outre-Mer, 1970, P 5,6.

(9) - Trapier, V : La Haute Guinée, La Dépêche Coloniale illustrée, Rédaction et Administration 12 Rue Saint-Georges, Paris, N0 10, 31, Mai 1905, P 129.

تنكيسو (Tinkisso) على الضفة اليسرى[١]، فضلاً عن العديد من الروافد الفرعية مثل نهر غولا (Gouala)، وسانكاراني(Sankarani) [٢]، وكذلك نهري باني(Bani) وبينوي(Benoue) [٣].

أما ثاني الأنهار أهمية، **نهر السنغال**: ينبع من هضبة فوتاجالون ثم يأخذ مجراه في أقصى غرب القارة، بعد اجتيازه للأراضي الغينية، متجهاً صوب مالي ثم السنغال فموريتانيا، حيث يصب في المحيط الأطلسي إلى الغرب من مدينة سانت لويس*، بعد سيره مسافة ١٧٩٠كم[٤].

وكذلك يتألف نهر السنغال من عدة روافد، وهي عبارة عن رافدين رئيسيين، هما: باخوي (Pakhoy) وبافينغ(Bafing) ، بالإضافة إلى عدة روافد فرعية أهمها: نهر باولي(Paoli) [٥]، وتينيه(Tine)، وفولوم(Fouloum) [٦].

أما ثالث الأنهار أهمية في السودان الغربي، **نهر غامبيا**: الذي يمتد مسافة ١١٥٠كم من منبعه في هضبة فوتاجالون إلى مصبه في المحيط الأطلسي، حيث يتجه من منابعه غرباً إلى الأراضي الغامبية مروراً بالحدود السنغالية، منتهياً بالمحيط الأطلسي [٧].

وكغيره من الأنهار، يرفد نهر غامبيا العديد من الروافد، منها ساندوغو(Sandougou) وسوفيانياما(Sofianiama) وباوبولونغ(Baobolong) [٨].

تأتي أهمية نهر غامبيا من أهميته الاستراتيجي، إذ يشكل مدخلاً طبيعياً إلى السودان الغربي[٩].

---

(١)- شعباني، نور الدين: دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين/ الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، جامعة الجزائر-٢-، ٢٠١٣، ص ٢٥.

(2) - Monographie Hydrologique Du Bassin Du Niger, OP, cit, P 6.

*ـ تقع في السنغال أقصى شمال البلاد. قليجة، أحمد: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص ٣٢١.

(٣)- أنور، محمد: المرجع السابق، ص ١.

(٤)- الحيالي، عبد الأمير: أبعاد الصراع الموريتاني ـ السنغالي في حوض نهر السنغال، مجلة الفتح، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي ـ العراق، العدد ٣٤، ٢٠٠٨، ص٢.

(٥)- شاكر، محمود: السنغال، مكتبة الفتح، دمشق، ١٩٧١، ص ٢٠.

(٦)- شعباني، نور الدين: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٧)- تايب، فيجل، خديجة، عقيلة: الإسلام في السنغال من القرن ٥هـ إلى ١٠هـ/ ١١م إلى ١٦م، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ـ الجزائر، ٢٠١٧، ص٩.

(8)- Republic of The Gambia, The Fifth (5th) National Report to The Convention of Biological Diversity © May, 2014, P 5.

(٩)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٢٤.

بالإضافة إلى الأنهار الثلاثة آنفة الذكر، هناك أنهار أقل أهمية مثل نهر الكازامانس(Casamance) في السنغال، وأنهار فولتا الأبيض والأحمر والأسود التي تجري في فولتا العليا[١]، فضلاً عن أنهار ساحل العاج [٢].

أما عن الجزر، فهي قليلة في السودان الغربي، أبرزها أرخبيل بيغاجوس (Bijagos)، قبالة ساحل غينيا بيساو، أرخبيل الرأس الأخضر، وكذلك أرخبيل ساو تومي (Sauo Tome)، وبرنسيب (Principe) [٣] في خليج غينيا[٤].

هذه لمحة مختصرة عن جغرافية السودان الغربي، فماذا عن المجموعات البشرية التي استوطنت تلك المساحات الشاسعة ؟

ثانياً- المجموعات البشرية:

إن البحث في موضوع المجموعات البشرية في السودان الغربي أمر شائك، يصعب الإحاطة به من جميع جوانبه في بضع صفحات، نظراً للتنوع العرقي الهائل، بفعل الموجات المتعاقبة من الهجرات القادمة إلى المنطقة منذ أقدم العصور، فاختلط العنصر المحلي من الأهالي مع المهاجرين، حيث استقطب السودان الغربي عناصر من السودان الشرقي والأوسط، واستوطنه التجار من المشرق والمغرب، وكونوا جاليات مختلفة، أصبحت مع الوقت عناصر سودانية، شأنها شأن الأهالي الأصليين[٥]، والدارس لهذه العناصر بمجموعها يلحظ انقسامها من حيث البشرة إلى سلالتين، السلالة الأولى هي السلالة البيضاء، والثانية هي السلالة الزنجية السوداء.

السلالة البيضاء: ينتشر أفرادها في المناطق الساحلية الممتدة على الضفة اليمنى لنهر السنغال والضفة اليسرى لنهر النيجر وفي اتجاه الصحراء، وهم امتداد لسكان شمال أفريقيا والقسم الغربي من الصحراء الكبرى، يعرف أهلها باسم المغاربة وهم خليط من عرب وبربر [٦]، إذ ينقسمون إلى مجموعتين: القبائل العربية والطوارق.

- القبائل العربية: وتتواجد بكثرة في جنوب موريتانيا مثل قبائل الترارزة والبراكنة، ومعظم هذه القبائل مسلمة أشتهر أهلها بأداء فريضة الحج.

- الطوارق: وهم بدو رحل يهتمون بالرعي والتجارة، ينتمون إلى العنصر البربري، يُطلق عليهم

---

(١)- باري، كردية، محمد، سعيد: المرجع السابق، ص٢٢.

(٢)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٢٤.

(٣)- باري، كردية، محمد، سعيد: المرجع السابق، ص٢٢.

(٤)- العايدي، محمد عوض: الوسيط في التصنيف العشري القياسي، ط٢، المكتبة الأكاديمية، مصر، ٢٠٠٩، المجلد٢، ص ١٠٨.

(٥)- شعباني، نور الدين: المرجع السابق، ص ٤٠، ٤١.

(٦)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٢٦.

الملثمون، وهم مسلمون يتصفون بالشجاعة، يتمركزون في منطقة ثنية النيجر وتمبكتو*[١].

أما عن السلالة الزنجية فتتركز فيما يلي الصحراء في بلاد السودان الغربي وفي منطقة الغابات في الجنوب وفي الأراضي الزراعية المكشوفة الواقعة بين الصحراء ونهر النيجر والسنغال والبلاد المطلة على خليج غينيا[٢]، وعلى الرغم من التشابه العرقي تنقسم هذه السلالة إلى عدة قبائل وشعوب تختلف عن بعضها في جوانب كثيرة أهمها:

ـ مجموعة الشعوب السنغالية: وتشمل الولوف (Wolof)، السرير (Serere)، والتكرور* (Toucoulor)، أما الولوف والسرير فيتمركزون في المناطق الساحلية بين مدينة سان لويس وجزر الرأس الأخضر، أما التكرور فينتشرون في أعالي السنغال وأواسط نهر النيجر.

وبينما كان التكرور والولوف في معظمهم مسلمين، فإن السرير يختلفون عنهم بأنهم يعتنقون المسيحية بينما بقي قسم منهم على الوثنية[٣].

ـ الماندنغو (Mandingou): وينتشرون في منطقة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي حتى ثنية النيجر، ويتواجدون بشكل خاص في كل من مالي وغينيا والسنغال وغامبيا، معظمهم مسلمون.

ـ الموسي (Mossi): يكونون معظم شعوب فولتا العليا، وهم وثنيون يمجدون الأرض الشمس والأرض والأجداد[٤].

ـ الأشانتي (Ashanti)والأفانتي (Afanti): ينتشر الأشانتي في جنوب ساحل العاج[٥] وفي غانا، بينما يتواجد الأفانتي في غانا فقط، ويدين معظم سكان القبيلتين بالوثنية (عبادة السلف).

---

*ـ تقع تمبكتو عند الحد الجنوبي للصحراء الكبرى، تعد ميناء هام لنهر كابارا (Kabara)، أحد روافد النيجر.

Delmont, Theodore: La France Noire Et Tombuctou, Imprimerie H. Gentet 6. Rue Marchande, 6, Aurillac, 1894, P 12.

(١)ـ مكي، شيشمة، مريم، سهام: الاستعمار وحركة التحرر في غرب إفريقيا الفرنسي السنغال نموذج ق١٩ ق٢٠، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ـ الجزائر، ٢٠١٥، ص ١١،١٢.

(٢)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٢٧.

*ـ ورد التكرور في مؤلفات المؤرخين بأسماء مختلفة، فهم تكرور في كتابات الجغرافيين العرب، وفي كتابات العلماء السودان الغربي المسلمين، وهم تكرون وتكارنة في بلاد السودان الشرقي وحوض النيل، وتكلور في كتابات الإنكليز، وهم توكولير عند الفرنسيين. ساتا، مهدي صالح: مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، المركز الإسلامي الأفريقي في الخرطوم، ١٩٩١، ص ٨.

(٣)ـ عباد، أحمد: المرجع السابق، ١٤.

(٤)ـ قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ١٩٥.

(٥)ـ شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر غربي إفريقيا ١٩٢٤ـ١٩٩٢، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٩٩٥، ص ٢٠٦.

ـ اليوروبا (Yoruba): يسكنون نيجيريا إلى الغرب من مصب نهر النيجر، أسلم قسم منهم، وبقي القسم الآخر على الوثنية.

ـ الهوسا (Haussa): ينتشرون شمال نيجيريا، يعتنقون الإسلام بأجمعهم.

ـ الإيبو (Ibo): ينتشرون في نيجيريا إلى الشرق من نهر النيجر [١]، وهم عبارة عن قبائل بدائية، لا ثقافة لهم أو دين [٢].

ـ الفولاني* (Fulani): انتشر الفولاني في الأراضي الوسطى الواسعة الممتدة من بحيرة تشاد شرقاً، وسواحل المحيط الأطلسي غرباً [٣]، وقد انقسم الفولانيون إلى فئتين، إحداهما دخلت في الإسلام، والأخرى بقيت على الوثنية [٤].

ـ البمبارا (Bambara): يتمركزون في المنطقة الواقعة عند مجرى نهر النيجر، وهم بمجملهم يدينون بالوثنية [٥].

ـ الصوصو (Sosso): ينتشرون في إقليم الكازامانس في السنغال، وفي غينيا، وفي أرجاء هضبة فوتاجالون [٦]، كلهم مسلمون [٧].

ـ سنغاي (Singai): أقاموا في المناطق المجاورة لنهر النيجر عند ثنيته، أو ما يعرف بالنيجر الأوسط، الذي يمثل منطقة انتقالية بين عالم الماندنغو والسودان الأوسط [٨]، وقد اعتنق أكثرهم الإسلام [٩].

---

(١)ـ قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ١٩٥،١٩٦.

(٢)ـ العبودي، محمد بن ناصر: قصة سفر في نيجيريا، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ١٩٩٥، ص ١٧.

*ـ تعرف جماعات الفولاني بعدة مسميات، حيث يطلقون على أنفسهم فلب، ويطلق عليهم الإنجليز والهوسا اسم الفلاني، بينما يسميهم الفرنسيون بول Peul. ساتا، مهدي صالح: المرجع السابق، ص ١٠.

(٣)ـ أبو عيانة: فتحي محمد: المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(٤)ـ شاكر محمود: التاريخ الإسلامي ...، ص ١٢٧.

(٥)ـ مكي، شيشمة، مريم، سهام: المرجع السابق، ص ١٤.

(٦)ـ عباد، أحمد: المرجع السابق، ص١٥.

(٧)ـ فارس، عالم، زوليخة، سكينة: الاستعمار الفرنسي في غينيا ودور أحمد سيكتوري في حركة التحرر ١٩٠٠ـ ١٩٦٠، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ـ الجزائر، ٢٠١٧، ص ١٦، ١٧.

(٨)ـ محمد، نبيلة: في تاريخ الحضارة الإسلامية. دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ت، ص ٢٣٩.

(٩)ـ قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ١٩٥.

ـ السينوفو (Senoufo): ينتشرون في النيجر الأعلى والسنغال وساحل العاج [١]، وقد حافظوا على وثنيتهم [٢].

أما عن اللغات السائدة في السودان الغربي، فهي كثيرة ومتنوعة، إلا أنها تنقسم إلى مجموعات عديدة متباينة، أهمها: لغة كول (Cool) ويتحدث بها أهل منطقة الغابات من نيجيريا حتى ليبيريا، ولغة جور (Gore) ويتحدث بها سكان فولتا العليا والأجزاء الشمالية من ساحل الذهب وساحل العاج [٣]، ولغة الهوسا وهي لغة التخاطب في القسم الشرقي من المنطقة الغربية من السودان الغربي، فضلاً عن لغة الماندي، لغة التخاطب في المنطقة الممتدة من القسم الغربي من ساحل العاج حتى السنغال وتمبكتو [٤].

وهكذا أدى الامتداد الجغرافي الكبير للسودان الغربي، فضلاً عن غناه الطبيعي، إلى تنوع بشري هائل ما بين سكان أصليين ومهاجرين، ومن ثم كان من الطبيعي أن تتنوع الألسن واللهجات، مما أوجد في السودان الغربي فسيفساء بشرية ضخمة، قد تكون من أغنى ما يطالعه الباحثون.

ثالثاً ـ لأوضاع السياسية:

في معرض الحديث عن الأوضاع السياسية التي سادت السودان الغربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لابد من التطرق في البداية إلى مسألة الحدود السياسية، والتي كانت مختلفة عما هي عليه الآن، فقد رسمت الحدود الحالية بموجب الاتفاقيات الاستعمارية المعقودة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أما في الحقبة التي سبقت الاستعمار فلم تكن المنطقة تعرف هذه الحدود، إذ كان البناء السياسي الوطني، كقيام ممالك معينة من السكان الأصليين، يفصلها عن بعضها تخوم، إما أراضٍ مسكونة، أو مناطق مستنقعات [٥].

وقد مثل هذه الحدود في النصف الأول من القرن التاسع عشر عدد كبير من الدول والإمبراطوريات والممالك الإسلامية والوثنية، منها ما انتجته الأحداث خلال هذا القرن، ومنها ما وجد قبل ذلك بقرون ولم تزل تحتفظ بدورها في المنطقة.

أهم هذه الممالك:

---

(١)ـ شعباني، نور الدين، المرجع السابق، ص ٦٥.

(2)- Marty, Poul: Etudes Sur l’Islam En Coté d’Ivoire, Editions Ernest Laroux, Paris, 1922, P 99.

(٣)ـ رودني، والتر: أوروبا والتخلف في أفريقيا، ترجمة: أحمد القصير، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨، ص ٣٥.

(٤)ـ دريسي، مكي، حميدة، عبلة: السياسة الاستعمارية الفرنسية في غرب أفريقيا السنغال وساحل العاج نموذجاً ١٩٠٠ـ ١٩٦٠، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٧، ص١٠.

(٥)ـ سعودي، محمد عبد الغني: قضايا إفريقية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠، ص٢٢٣.

ـ مملكة داهومي الوثنية: شيدتها قبائل اليوروبا عند خليج بنين [١] في القرن السابع عشر، وقد بدأت قوتها تتصاعد منذ العام ١٨١٨، حيث أخذت تمارس دوراً فاعلاً في المنطقة [٢].

ـ الإمارات الموريتانية: لم تكن موريتانيا قد عرفت مفهوم الوحدة منذ القرن السابع عشر، حيث قامت فيها ثلاث إمارات، الترارزة، البراكنة وأدرار، وقد اتسمت العلاقة بين هذه الإمارات خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بالتوتر الشديد، وكثيراً ما اندلعت الحروب بينها، بسبب حرص كل أمير على أن يحكم إمارته بشكل مستقل، وقد أطلق بعضهم على نفسه لقب ملك [٣]، من أجل التأكيد على الاستقلالية والسلطة والنفوذ.

ـ مملكة سوكوتو(Sokoto): أقامها الفولاني في نيجيريا عام١٨٠٢[٤]، بعد انتصارهم على الممالك الوثنية: جوبير (Gober)، وكيبي (Kebbi) [٥].

ـ ممالك البمبارا الوثنية: حيث كان للبمبارا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر عدة ممالك، أقيمت عند المجرى الأعلى لنهر السنغال من مدينة(Medine) حتى بافولابي(Bafoulabe) ، وعند نهر النيجر من باماكو(Bamakou) حتى سانسدنغ(Sansanding) [٦].

ـ مملكة ماسينا(Maciena): تأسست عام ١٨١٨م [٧]، وقد امتدت على كامل منطقة النيجر الأوسط[٨].

ـ الممالك الوثنية في جنوب السودان الغربي: حيث وجدت فيه أربع ممالك كبرى، مملكة الأشانتي ومملكة الأفانتي في ساحل الذهب[٩]، ومملكة آغثي التي حكمت القسم الجنوبي من ساحل العاج، ومملكة الموسي الواقعة شمال ساحل العاج [١٠].

---

(١)ـ شاكر محمود: التاريخ الإسلامي ...، ص ٢٧٣.

(٢)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣)ـ ذهني: إلهام: المرجع نفسه، ص ٥٨.

(٤)ـ العبودي، محمد بن ناصر: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٥)ـ إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩، ص ٣٦.

(٦)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٢٩.

(7)- Group of Authors: General history of Africa VI, African The Nineteenth Century Until The 1880s, UNESCO, P 42.

(٨)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٩)ـ الجمل، إبراهيم، شوقي، عبد الله: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، دار الزهراء، الرياض ـ السعودية، ٢٠٠٢، ص٣٠٣.

(١٠)ـ شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي ...، ص ٢٠٦.

ـ مملكة كيندوجو(Kendougou) في مالي: تأسست في القسم الشمالي الغربي من مالي، على يد قبائل الماندنغو خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومن ثم امتد نفوذها جنوباً في ساحل العاج، إلا أن سكان ساحل العاج لم يلبثوا أن طردوا حكامها، لينحصر نفوذها من جديد في مالي[١].

ـ دولة الولوف في كايور (Kayor): الممتدة ما بين سانت لويس شمالاً وروفسك جنوباً[٢].

وقد وجد إلى جانب هذه الممالك العديد من الكيانات السياسية الأخرى، كمملكة برونو في نيجيريا[٣]، وحكم الأئمة المسلمين في فوتاجالون[٤]، كما تأسست دولة ليبريا عام ١٨٤٧، من قبل الزنوج القادمين من أوروبا وأمريكا، وبمساعدة الدول الاستعمارية، تكفيراً عن ذنبها الذي اقترفته بحق الشعب الإفريقي، من استعباد واسترقاق، حيث حرمت هذه التجارة دولياً منذ العام ١٨٠٧[٥]، كما كانت منطقة أعالي السنغال في عام ١٨٤٩ منطلقاً نحو تأسيس إمبراطورية جديدة ، عرفت باسم إمبراطورية التكرور، على يد شاب يدعى عمر الفوتي، والذي كان قد بدأ حروبه ضد الوثنيين[٦].

هذا ولم يكن السودان الغربي بأكمله خاضعاً لسلطة الحكام المحليين، فقد دخلت بعض مناطقه ضمن دائرة النفوذ الاستعماري للقوى الأوروبية العظمى آنذاك(فرنسا، بريطانيا، البرتغال)، التي تجلت فيها النزعة التوسعية الاستعمارية، بغرض فرض سيطرتها العسكرية والسياسية على شعوب السودان الغربي وحكوماته، بهدف استغلاله اقتصادياً[٧].

وقد كان لفرنسا كسب السبق في هذا المضمار، حيث استعمرت الساحل الغربي عند مصب نهر السنغال[٨] منذ القرن السابع عشر [٩]، وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر امتد نفوذها على كل من السنغال، وغينيا الفرنسية١٨٣٨[١٠]، وجنوب ساحل العاج ١٨٤٢بعد توقيع ملك آغثي

---

(1)- Bernus, Edmond: Kong et sa Regin Etudes Eburneennes, Direction de la Recherche Scientifique Ministere de L'education Nationale de la Republique de Cote D'ivoire_ Abidjan, 1960, P 263.

(٢)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٣)ـ ذهني، إلهام: المرجع نفسه، ص٤٤.

(٤)ـ ذهني، إلهام: المرجع نفسه، ص٥٧.

(٥)ـ قليجة، أحمد: مرجع سابق، ص٣٣٣.

(٦)ـ إبراهيم، عبد الله: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٧)ـ كعدان، صباح: تاريخ افريقية الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، ٢٠٠٨ـ٢٠٠٩، ص٧٧.

(٨)ـ قليجة، أحمد: مرجع سابق، ص٧٦.

(٩)ـ زهير، بن مبروك: تأثير الثورة الجزائرية على السياسة الفرنسية في غرب أفريقيا ١٩٥٤ـ١٩٦٠، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٦، ص٢١.

(١٠)ـ شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي ...، ص ٩٤.

على معاهدة اعترف فيها بالحماية الفرنسية على مملكته[١]، فضلاً عن امتلاكها بعض الوكالات التجارية في غراند بسام[٢].

بينما بدأ النفوذ الإنكليزي في المنطقة عام ١٨٠٧ باستعمار سيراليون [٣]، ومن ثم وضعت إنكلترا يدها على غامبيا عام ١٨١٦[٤]، وقامت بضمها إلى سيراليون في مستعمرة واحدة عام١٨٢٠[٥]، كما سيطرت على ساحل الذهب وعينت عليها حاكماً إنكليزياً عام ١٨٥٠[٦].

أما البرتغال فقد تركز نفوذها أكثر في الجزر، حيث سيطرت على كل من جزر ساوتومي، وبرنسيب [٧]، بالإضافة إلى جزر الرأس الأخضر [٨]، وفي عام ١٨٤٦، سيطر البرتغاليون على غينيا بيساو[٩].

وهكذا عاش السودان الغربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فترة من الاضطراب السياسي، بسبب الصراع بين زعماءه حول مناطق السيطرة والنفوذ، ومما زاد الطين بلة وقوع المنطقة فريسة التنافس الدولي بين الدول الإستعمارية الأوروبية، والصراع فيما بينها من أجل إثبات قوة كل منها، وتطلعها إلى تكوين إمبراطوريات استعمارية خارج القارة الأوروبية، فكان أن وضعت نصب عينيها المناطق الغنية بالثروات الطبيعية والأيدي العاملة، فكان من البديهي أن يكون السودان الغربي ساحة يتنازع فيها الأوروبيون.

---

(١)ـ شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي ...، ص ٢٠٦.

(٢)ـ كعدان، صباح: المرجع السابق، ص٨١.

(٣)ـ كعدان، صباح: المرجع نفسه، ص ٨١.

(٤)ـ شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي ...، ص ٩٤.

(٥)ـ الجمل، إبراهيم، شوقي، عبد الله: المرجع السابق، ص٣٠١.

(٦)ـ الجمل، إبراهيم، شوقي، عبد الله: المرجع نفسه، ص ٣٠٣.

(٧)ـ قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ٧٣.

(٨)ـ كعدان، صباح: المرجع السابق، ص ٨١.

(٩)ـ قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ٣٢٤.

الفصل الأول: تأسيس إمبراطورية الماندنغو ١٨٧٤:

أولاً- التعريف بالمؤسس ساموري توري Samory Touré:

يعد ساموري توري من أهم الشخصيات الإفريقية التي استقطبت اهتمام الباحثين الغربيين والأفارقة على السواء، لما له من شعبية كبيرة، لدرجة أنه يعد رمزاً من الرموز القومية للقارة الأفريقية بأسرها[١]. وإليه ينسب تأسيس إمبراطورية الماندنغو.

ولد هذا الزعيم في بلدة ساننكورو(Saninkoro) *، لم يعرف تاريخ مولده على وجه التحديد ويرجح أنه ولد ما بين عامي ١٨٣٠ـ١٨٣٥[٢]، من أب اسمه لاتفيا توري(Latevea Tory) وأم اسمها ماسورونا كامارا(Masorona Kamara) [٣].

"كان ساموري النجل الأكبر للافيا وماسورونا"[٤]، لذا حظي بقسط كبير من اهتمام والده ورعايته، الذي عهد بتدرسيه إلى مرابط (شيخ)، يدعى سنوسي ديابي(Sanoussi Diabi)، الذي يعد من أهم شيوخ المنطقة ومعلميها[٥].

وكغيره من أبناء جلدته من الديولا(Dioyla) *، عمل ساموري في بداية شبابه بالتجارة[٦]، حيث كان في بداية الأمر بائعاً جوالاً، يبيع الكولا والعبيد الذين يجلبهم من بلاد توما*(Toma)،

---

(1) - Person, Yves: Samory, Les Africains sous la direction, Editions J.A. 51, Avenue des Ternes, Paris, 1977, P 235.

*- تقع ساننكورو في أعالي حوض نهر ميلو. السروجي، محمود: جهاد ساموري توري في غرب أفريقيا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي، مجلة مركز البحوث، السعودية، العدد١، ١٩٨٢، ص١٥٥.

(٢)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٣)- كيزيربو، جوزيف: تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة: يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، ١٩٩٤، ص٦٥١.

(٤)- إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص١٢٢.

(5)- Marty, P: OP, cit, P 202.

*- وهم فرع من قبيلة الماندنغو، اشتهر أفرادها بمزاولة التجارة مما دفعهم إلى الارتحال إلى مختلف مناطق السودان، فارس، عالم، زوليخة، سكينة: المرجع السابق، ص١٤-١٧.

(٦)- زبادية، عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص٦٧.

*- تقع على الحدود الشمالية لدولة ليبيريا.

Manuel à L'usage Des Troupes Employées Outre-Mer, Deuxième Partie, Fascicule II, Imprimerie Nationale, Paris, 1940, P 324.

وكذلك الذهب الذي يأتي به من بوريه*(Bore)، وقد ساعده في ذلك أن أقرباؤه من جهة والدته كانوا منتشرين على طول هذه المسالك"[١].

وهكذا بدأ ساموري حياته المهنية بالعمل في التجارة ما بين سانكورو والبلدان المحيطة بها، فلما "بلغ سن الرشد أرسله والده إلى صديق له في ساحل العاج، ليتدرب على تجارة السلاح والبارود"[٢]، "التي كانت تلقى رواجاً في المنطقة الممتدة من غينيا إلى النيجر"[٣]، وهكذا أخذ "ساموري يتكيف مع التجارة شيئاً فشيئاً، وسافر إلى ساحل غرب أفريقيا ليبيع الماشية والكولا والعاج، بل وصل إلى فريتاون*(Free Town) ليجلب منها السلاح ويبيع الرقيق"[٤]، مما ساعده في معرفة جغرافية السودان، والتعرف على مسالكه ودروبه، وكذلك أماكن بيع السلاح، وهذا ما سيساعده في المستقبل في تكوين إمبراطوريته.

ومن ثم كانت نقطة التحول في حياة ساموري، والتي كان لها أعمق الأثر في نفسه، وكانت السبب الأكبر الذي جعله يتحول من تاجر محترف إلى عسكري فذ، تلك الحادثة التي تعرضت لها والدته عام١٨٥٣، حيث وقعت في أسر ملك السيسي سيري بورلاي(Sere Burlay)[٥]، حاكم بيساندوغو* (Bisandougou)، في أثناء إغارته على سانكورو[٦]، ، وكان ساموري حينها عائداً من إحدى رحلاته التجارية، وكان والده لاجئاً عند أقاربه، مما أغضب ساموري ، وقرر أن ينقذ والدته بنفسه، وأخذ يفكر بالحل الأنسب لإطلاق سراحها، فشد رحاله إلى معسكر سيري بورلاي مشياً على الأقدام، متنكراً بملابس رثة بالية، وفي بيساندوغو عرض ساموري على سيري بورلاي أن يقبل به عبداً يعمل في خدمته مقابل إطلاق سراح والدته، فقبل سيري بورلاي العرض، على أن يخدم ساموري في جيشه مدة سبع سنوات وسبع أسابيع وسبعة أيام[٧]، وهكذا انخرط ساموري في

---

*- يتضح مما أوردته إلهام ذهني عن محاولة كل من إمبراطورية التكرور وإمبراطورية الماندنغو، من الاستفادة من مناجم بوريه، أن بوريه تقع على الحدود الشمالية لإمبراطورية الماندنغو. ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٤.

(١)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٥١-٦٥٢.

(٢)- إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص١٢٢-١٢٤.

(٣)- بكاي، منصف: أضواء على تاريخ إفريقيا، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٦٨.

*- عاصمة سيراليون، تقع على رأس شبه جزيرة على المحيط الأطلسي. قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ٣٢٥.

(٤)- إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص١٢٤.

(٥)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٤٧-٦٤٨.

*- تقع على يمين نهر ميلو، على بعد ٨٠كم عن سانكورو.

Le Constitutionnel, journal du commerce politique et littéraire, Paris, 5 Fevrer 1892, P 1.

(٦)- إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص١٢٤.

(7) - Peroz, E : Au Soudan français souvenirs de guerre et de mission, Calmann Levy Editeur, Ancienne Maison Michel Levy Frères 3 Rue Acber 3, Paris, 1889, P 388- 390.

جيوش السيسي، مما أتاح له أن يبرز مهاراته العسكرية، فصعد نجمه بسرعة فائقة مما أثار إعجاب سيري بورلاي فأعرب عن رغبته في استبقاءه للخدمة في جيشه[١]، إلا أن ساموري رفض ذلك، وبعد انقضاء مدة خدمته المتفق عليها، وبموافقة سيري بريما (Siri Brema) خليفة سيري بولاري، عاد ساموري إلى سانكورو، ولم يلبث أن استقر فيها، حتى عرض عليه ملك تورون(Toron) * بيتيكي سوان(Bitike Souane) في نفس العام أن يعمل في جيشه، فوافق ساموري على ذلك، وتم تعيينه قائدا أعلى لجيش تورون[٢]. وكان ذلك في العام ١٨٦٠- ١٨٦١.

هكذا كانت حياة ساموري في مراحلها الأولى مليئة بالأحداث التي كان لها الدور الكبير في صقل شخصيته وتنميتها، إلا أن ما يلفت نظر الباحث، ما قام به من افتداء والدته بوضع نفسه في العبودية في سبيل اطلاق سراحها، فساموري تاجر العبيد كان بإمكانه أن يفاوض على اطلاق سراح والدته بما يملكه من عبيد، إلا أنه لم يفعل ذلك، وآثر أن يخدم في جيوش السيسي مقابل حرية والدته، مما يدل على أن ساموري لم يكن راضياً عن عمله بالتجارة، إذ أنها تلهيه وتجبره على الارتحال بعيداً بين الحين والآخر، فلو أنه كان قريباً من والدته لتمكن من الدفاع عنها، فالخير له أن يتخلى عن مهنته هذه، إذ أن التجارة ليست ميدانه، وعمله الحقيقي يجب أن يكون في ساحات القتال والمعارك، لذلك كانت الحادثة التي وقعت لوالدته فرصة ثمينة يجب ألا يفوتها، فقد آن الأوان لأن يدخل معترك الحياة العسكرية، وما أظهره من براعة خلال فترة وجيزة يثبت طموحه هذا. (رأي الباحث)

ولكن طالما كان لدى ساموري مسبقاً الرغبة في تعلم فنون القتال والتدرب على أساليبه، لم لم ينضم إلى جيش سانكورو منذ البداية؟ ويضع نفسه في خدمة حاكمها؟ لعل الإجابة عن السؤال تكمن في أن رغبة ساموري هذه قد تولدت عندما عقد العزم على تحرير والدته، فقد دفعه الإحساس بالذل الذي تجره الحروب بأن يخوض تجربة عسكرية في معسكر عدوه، يتقن عن طريقها أساليب القتال والدفاع، وليطلع مكامن قوة وضعف عدوه، حتى يتمكن مستقبلاً من حماية عائلته ومدينته، خاصة وأن الغارات على مدينته قد تتكرر مستقبلاً، ولكي لا يتسرب الشك إلى سيري بولاري في نواياه، اجتهد ساموري في إقناعه بقلة حيلته، وأن ما دفعه لأن يضع نفسه في خدمته، لأن العبودية هي السبيل الوحيد أمامه لانقاذ والدته، ومن ثم كان انضمامه إلى جيش تورون، تلبية لعرض حاكمها، فرصة أخرى لينمي خبراته القتالية كقائد لجيش المملكة، وفرصة لمعرفة نقاط قوة وضعف مملكة أخرى، قد يخوض معها حرباً في المستقبل، مما يثير التساؤل هل كان ساموري يفكر منذ ذلك الحين، في تشكيل إمبراطورية ممتدة على حساب الممالك المجاورة؟ (رأي الباحث)

ثانياً- تأسيس إمبراطورية الماندنغو ١٨٧٤:

شهد السودان الغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، العديد من الأحداث والمعارك

---

(١)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٥٢.

*- تقع تورون بجوار بيساندوغو وإلى شمالها.

Peroz, E : Au Soudan français., P 352.

(2) - Peroz, E : Au Soudan français, P 391.

الناجمة عن التنافس السياسي والعسكري بين حكام الممالك القائمة، إذ كان كل حاكم يسعى إلى توسيع رقعة ملكه بالقضاء على سلطة جيرانه، كما شهدت بعض هذه الممالك انقسامات فيما بينها، وقد تمخض عن حالة الغليان تلك، ولادة إمبراطورية جديدة على المسرح السياسي، ألا وهي إمبراطورية الماندنغو، تحت زعامة مؤسسها وقائدها ساموري توري.

كان ساموري - القائد العسكري الصاعد- يتطلع إلى بناء إمبراطورية تضم جميع قبائل الماندنغو في منطقة أعالي النيجر[١]، ووجد أن الظروف ممهدة لتحقيق حلمه، فعلى الرغم من وجود الكثير من المنافسين الأقوياء في المضمار، إلا أن "الأحداث جرت وكأن هؤلاء المنافسين كانت مهمتهم تهيئة الأرضية المناسبة لصالح ساموري، وذلك بما ارتكبوه من أخطاء، وبما قاموا به من إضعاف متبادل لبعضهم البعض"[٢]، فكانت بداية الانطلاق نحو تأسيس الإمبراطورية متزامنة مع انحطاط سلطة حاكم تورون، في الوقت الذي كان فيه نجم ساموري في صعود مستمر، وأصبح جيش تورون يدين له بالولاء، فلم يبقَ للحاكم سوى سلطته الإسمية، عندها قام ساموري بالانفصال عن سيده[٣]، ونظراً لمعارضة القادة له فقد اقتصر جيشه على المحاربين[٤]، ومن ثم عاد ساموري أدراجه إلى سانكورو مع الجنود الذين انضموا إليه، وهناك نادى به الأهالي ليكون حاكماً عليهم، بعد نجاحه في استمالتهم[٥]، حيث استلم زمام الحكم فيها عام ١٨٦٧[٦]، واضعاً بذلك النواة الأولى لإمبراطوريته، إذ أن حكم مدينة واحدة لم يكن يرضي طموحه، فقد كان يتطلع إلى مد نفوذه على حساب المناطق الوثنية بحجة إدخال سكانها في الدين الإسلامي[٧]، وقد اعتمد في توسعاته أسلوب الدبلوماسية والحرب، حيث كان في البداية يرسل مبعوثيه إلى حاكم المنطقة فإن قبل الدخول في طاعته أبقاه في الحكم على أن يحكم باسم ساموري، وإن لم يقبل عندها يرسل ساموري جيشه ليفرض حصاره على المدينة[٨]، إلى أن تنضب مؤنها فتحل المجاعة في المدينة وتخور قوها[٩]، فيدخلها

---

(١)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٥٣.

(٢)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٤٤.

(3) - Prost, D : Sénégal Soudan, conférence de garnison faite a chalons sur Marne, 10\ 2\ 1897, P 15.

(4) -Peroz, E : Au Soudan français, P 392.

(5) - Charton, E: Travers Le Monde, Librairie Hachette & Cie 79 Boulevard Saint-Germain 79, Paris, 1899, P 5.

(6)- Oliver, S, Roland, G.N: The Cambridge History of Africa, Cambridge University Press, 2008, P 239.

(7) - Charton, E : OP, cit, P 5.

(8) - Bertho, E : La Figure De Samori Toure Entre Histoire Et Littérature Sources Enjeux Méthodes, Sorbonne Nouvelle, Paris, Diderot 7, 16\2\2015, P 3.

(9) - Pietri : Les Français Au Niger Voyages Et Combats, Librairie Hachette Et Cie 79 Boulevard Saint- Germain 79, Paris, 1885, P 281.

جنوده بكل سهولة، وبذلك يتم للماندنغو السيطرة على المنطقة دون أن يتكبدوا أي خسائر في الأرواح، وربما استوحى ساموري هذه الاستراتيجية بسبب قلة عدد قواته، إذ "لم يجتمع له في بداية أمره أكثر من ٥٠٠ جندي" [١].

وهكذا بدأ ساموري سلسلة من المعارك، بدأت بغزو وضم فويلومديمبي (Foulomdimbe) ـ شمال شرق ساننكورو ـ ومن ثم اتجه صوب تورون، ومن ثم توالت المعارك وأخذت المدن تسقط في حوزته الواحدة تلو الأخرى، ماندان (Mandan) [٢]، وكونادوغو(Konadougou) وسانكاران (Sangaran) وديوما (Diouma) [٣]، ومن ثم اتجه ساموري بأنظاره صوب ممتلكات السيسي، مستغلاً الانقسامات التي حصلت في مملكتهم [٤]، فانتزع منهم بيساندوغو واتخذ منها عاصمة لدولته وذلك عام ١٨٧٢[٥].

تابع ساموري حروبه على المناطق المجاورة، وكلما ازداد تقدمه، ازداد عدد جيشه نتيجة "للانشقاق وحدات جيوش تلك المناطق وانضمامها إلى جيش ساموري" [٦]، إلى إن وصل تعداد جيشه إلى ما يقرب من ١٢ألف جندي، عندها قام ساموري بتقسيمهم إلى فرق تأتمر بأوامر عدد من القادة [٧].

ونظراً لاتساع حدود دولته وازدياد حجم جيشه، وما أحدثه ذلك من أثر في تغيير الخارطة الجيوسياسية في المنطقة، أيقن ساموري في نفسه القوة وأن الوقت قد حان للتخلي عن لقبه موروتيغي (Morotige) (سيد السيف) [٨]، وخلع على نفسه لقب الفاما (Fama) أي ملك، وجاء هذا الحدث الكبير عام ١٨٧٤[٩]، مما يعني ولادة إمبراطورية جديدة على أرض السودان الغربي.

---

(1) - Charton, E : OP, cit, P 5.

(2) - Charton, E : Ibid, P 5.

(3) - La Chatelier, A : L'islam Dans L'Afrique Occidentale, G. Steinheil Editeur 2 Rue Casimir Delavigne 2, Paris, 1899, P 226.

(٤)ـ كيزيربو، جوزيف، المرجع السابق، ص٦٤٨.

(٥)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٥٣.

(6) - La Chatelier, A : OP, cit, P 226.

(7) – Combes, P : Samory Propagateur de l'Islam, Revue de l'Islam paraissant tous les mois fondés en 1895, Les Abonnements Sont Recos Aux Bureaux De La Revue Et à La Libraicaine Africaine Coloniale Et Orientale, 27 Rue Bonaparte, Paris, No 75, 1901, P 19.

(٨)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٥٤.

(٩)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٣.

وبعد ذلك أعلن الفاما عن نيته في الاستمرار بتوسيع حدود دولته على حساب جيرانه[١]، لذلك قام بتحريك جيوشه في الاتجاهات كافة حيث نجح بين عامي ١٨٧٥ـ ١٨٧٨ في ضم المنطقة الشمالية الممتدة من كوروسا (Korosa) إلى مناجم الذهب في بوريه[٢]، وكذلك إقليم واسلو (Ouassoulou) في الوسط[٣]، وفي عام ١٨٧٩ أرسل حملة إلى الجنوب استولت على كونيا (Konia)[٤]، كما ركز نشاطه على الضفة اليمنى لنهر النيجر ونجح في ضمها[٥].

ومن ثم كانت الحرب التي اندلعت بين ساموري وبين الحلف الذي جمع مملكة السيسي مع حاكم كانكان (Kankan)، وكان جنود السيسي قد وصلوا بتقدمهم حتى سارنكان، وفي سلسلة من الحملات عام ١٨٨٠ـ١٨٨١ نجح ساموري في سحقهم، وسيطر على كانكان[٦]، وتوسع في بلاد توما سنة ١٨٨٣[٧]، ووصل شمالا بالقرب من سيجو(Segou) عاصمة إمبراطورية التكرور[٨]، وفي العام نفسه تقدم غرباً محكماً سيطرته على حواف هضبة فوتاجالون[٩] ،وسيطر جنوباً على المناطق الوثنية النائية من سيراليون[١٠]، ووصل عام ١٨٨٤إلى بلد ليمبا(Limba) على الطريق إلى فريتاون[١١]، وإلى الشرق باتجاه رافد النيجر غوالا، ومن ثم دانت له أودينـي(Odienne) بالطاعة[١٢].

وعلى هذه الصورة تكون معالم إمبراطورية الماندنغو بأبعادها وأطرها الجغرافية والسياسية قد اتضحن، إذ امتدت على معظم منطقة أعالي النيجر [١٣]، يحدها من الشمال والشمال الغربي

---

(١)ـ بكاي، منصف: المرجع السابق، ص ٦٨.

(2)- Oliver, S, Roland, G.N: OP, cit, P 240

(3) - Charton, E : OP, cit, P 5.

(4) - Le Chatelier, A : OP, cit, P 226.

(٥)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٤.

(6)- Oliver, S, Roland, G.N: OP, cit, P 240.

(7)- Oliver, S, Roland, G.N: Ibid, P 227.

(8)- Oliver, S, Roland, G.N: Ibid, P 240.

(٩)ـ إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٢٦

(10) - Combes, Paul : OP, cit, P 19.

(11)- Oliver, S, Roland, G.N: OP, cit, P 240.

(12)- Renseignements Coloniaux Et Documents Publiés Par Le Comité De L'Afrique Française, N2, 1896, P 41.

(13) - Peroz, E : Au Soudan français, P 376 .

إمبراطورية التكرور، ومن الشرق مملكة كيندوجو ، ومن الجنوب سيراليون وليبيريا [١]، بينما تحدها مملكة فوتاجالون من الغرب[٢].

ونظراً لأن الدولة كانت في حالة حرب مستمرة، فقد كانت مساحتها متغيرة بين مد وجزر، لذلك لا يمكن إعطاء مساحة دقيقة وثابتة لها، إلا أن القائد الفرنسي بيروز ذكر أن مساحتها بلغت عام ١٨٨٧م، نحو٣٦٠,٠٠٠كم* [٣]، وقد أطلق ساموري على امبراطوريته اسم ساموري دوغو (Samory Dugu)، أي أرض ساموري [٤]، بينما أطلق عليها الفرنسيون اسم امبراطورية واسلو، وذلك نسبة إلى مقاطعة واسلو، من حيث أنها أكبر مقاطعات الإمبراطورية مساحة وسكاناً [٥].

أما عن التسمية الشائعة عند المؤرخين ألا وهي إمبراطورية الماندنغو، فقد جاءت من تجانسها، نظراً لأنها تضم قبيلة واحدة من جميع الأصول وهي الماندنغو[٦]*.

تلك كانت لمحة موجزة وبسيطة عن تشكيل الإمبراطورية، مع الظروف التي مهدت وساعدت على تأسيسها، وتفوقها على جميع القوى التي وجدت في المنطقة، ومن ثم لابد من التعرف على الإجراءات التنظيمية المتبعة في مختلف جوانب الحياة داخل الإمبراطورية.

ثالثاً- التنظيم السياسي والإداري:

تتميز إمبراطورية الماندنغو من الناحية السياسية بأنها قد جمعت بين ثلاث صفات:

- **ثيوقراطية:** التي استمدتها من خلال الدين الإسلامي الذي حكمت باسمه [٧]، والذي كان عاملاً توحيدياً ورابطة ربطت أرجاء الإمبراطورية الشاسعة.

- **عسكرية:** لأنها قامت على مبدأ الجهاد لتطهير غرب أفريقيا من الوثنية [٨].

---

(١)- إلهام، ذهني: المرجع السابق ص، ٥٣.

(٢)- باري، عثمان: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط١، دار الأمين، مصر، ٢٠٠٠، ص٢٥٤.

*- تم اعتماد العام ١٨٨٧ ذلك لأن دراسة التنظيمات داخل الإمبراطورية، ستقوم على أساس هذا العام.

(3)- Peroz, E : Au Soudan français, P 375.

(4)- Triminsham, J: A history of Islam in West Africa, Oxford Paperbacks, London, 1975, P 237.

(5) - Peroz, E : Au Soudan français, P 375.

(6) - La Chatelier, A : OP, cit, P 78.

*- يجب التنويه إلى أن إمبراطورية الماندنغو، استناداً إلى الحدود الإفريقية الحالية، قد امتدت على المنطقة التي تشمل ما يعرف اليوم بجنوب جمهورية غينيا وجنوب جمهورية مالي، وشرق جمهورية سيراليون، وشرق جمهورية ليبيريا، وجزء من غربي ساحل العاج.

(٧)- إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٢٤.

(٨)- السروجي، محمود: المرجع السابق، ص١٥٥.

ـ أوتوقراطية: لأنها حملت صفة الجماعية العميقة، فقد أبعد أقرباء الملك عن مجلسه لمصلحة رجال يمثلون طبقات المجتمع، أو بعبارة أخرى لمصلحة عامة الشعب [١].

وقد ألفت إمبراطورية الماندنغو بمجملها نوعاً من الاتحاد الكونفدرالي، يتبع الحكومة المركزية في العاصمة [٢]، بمعنى آخر، نجح ساموري في جلب الاستقرار لمساحة ضخمة، ولأول مرة كانت تدار المنطقة من قبل البنية الفوقية المفروضة على الدول المدنية الصغيرة [٣].

أ- التنظيم السياسي:

١ـ الحكومة المركزية: تألفت حكومة الإمبراطورية من عدة موظفين على رأسهم الحاكم، يليه ولي العهد، ثم موظفي البلاط.

ـ الحاكم: يمثل رأس السلطة، فهو القائد الأعلى للجيوش [٤]، وهو المسؤول عن تسمية الموظفين، وإصدار القوانين، ووضع الدستور، الذي صاغه ساموري من خلال تفسيره للقرآن الكريم، وفرضه كشريعة تنظم الإمبراطورية في كافة جوانبها [٥]، كما كان يتولى بنفسه النظر في شؤون الناس ودعاويهم، وكان الحكم بالموت مقصور عليه، وفي بعض الأحيان ينيط مهام إصدار مثل هذه الأحكام ببعض الفئات المميزة من المشايخ أو كبار الأتباع، على أن يرجعوا إليه لأخذ الموافقة عليها والسماح بتنفيذها [٦].

وقد احتل الحاكم مكانة مقدسة في نفوس شعبه، فهو ظل الله على الأرض، إذ يتم اختياره وفقاً لإرادة الله، كما أنه المالك لحياة وممتلكات الجميع من بعد الله [٧]، كان لقبه في البداية فاما، وفي عام ١٨٨٤ خلع على نفسه لقب إمام [٨]، ومنذ ذلك الحين حظر على العامة أن يلفظوا اسمه وإنما كانوا ينادونه **يا أبي**، وكانت الشعارات التي تشير إليه هي طبل الشرف بحجمه البالغ الضخامة، والذي ينقل على حصان خلال التنقلات الملكية، والبلطة المهيبة، وسيف العدالة المسمى قاتل الأشرار، فضلاً عن العمامة السوداء [٩].

---

(١)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٧٣.

(2) - Peroz, E : Au Soudan français, P 403.

(3)- Oliver, S, Roland, G.N: OP, cit, P 240.

(٤)ـ إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٢٨.

(5) - Peroz, E : Au Soudan français, P 414.

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٣، ٦٧٤.

(7) - Peroz, E : Au Soudan français, P 230 .

(8)- Oliver, S, Roland, G.N: OP, cit, P 240.

(٩)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٧٢.

ـ ولي العهد: كان ولي العهد الشخصية الثانية في الحكومة من بعد الإمام، ووريثه في الحكم، وكان هذا الامتياز محصوراً بأبناء ساموري، وذلك بموجب القانون الذي صدر بين عامي ١٨٨٤ـ ١٨٨٦، وينص على انتقال ثروة الحاكم وعرشه من بعده وفق نظام الوراثة الأبوي[١]، على أن يخلف الإمام ابنه الأكبر، ومن ثم يخلف الابن الأكبر أخاه الذي يليه[٢]، إلا أن ساموري خالف هذا العرف الذي وضعه بنفسه، عندما أخذ البيعة لأحد أبناءه الصغار سارينكي (sarenkie)، وعينه ولياً للعهد، وطلب من أعوانه من الضباط والحكام أن يقسموا له يمين الولاء، وتمت مبايعته ٢٧ آب١٨٩٠، وقد أقدم ساموري على هذه الخطوة لقناعته بأن سارينكي هو الأقدر من بين إخوته على استكمال ما بدأه والده[٣].

ـ موظفو البلاط: كان الحاكم محاطاً بعدة رجال توزعوا المهام فيما بينهم، يتعاونون معه على تسيير شؤون الحكم في كافة مرافق الإمبراطورية، وفي مقدمة هؤلاء موريفينغ ـ ديان نجيه (Morifing Dyan Nage)، مستشار الحاكم والمعاون ذو المقام الأول، اختاره ساموري لثقته الكبيرة به، وكان من ضمن جملة الموظفين أيضاً كوكيسي (Kokisi) مراقب المالية أو المخازن، وبناما كالا عمارة (Banamakala Amara) المخطط والخبير العسكري، وعمارة كاندي (Amara kande) المستشار القانوني للملك، وتاسيليما نغان(Tasilema Ngan) المتخصص بشؤون العلاقات مع الأوروبيين، ومامادي سيسي (Mamade Sese) المكلف بأعمال الشرطة السياسية، وهناك الشعراء الذين قاموا بدور الوسطاء والمفاوضين[٤] إلى جانب مهامهم الترفيهية، وكذلك أحاط ساموري نفسه وقصره بمجموعة من الحرس، وهم عبارة عن أطفال تتراوح أعمارهم بين الـ١٠ والـ ١٥ عاماً[٥]، ويبلغ عددهم مائتين، مزودين بالبنادق الحديثة المصنوعة محلياً، مهمتهم السهر على حماية الملك[٦].

٢ ـ حكومة الأقاليم:

كانت الأقاليم في إمبراطورية الماندنغو تدار من قبل حكومات فرعية، يرأس كل منها حاكم يتم انتقاؤه إما من بين أقرباء ساموري أو من بين الرجال الثقاة[٧]، ومما يميز الإمبراطورية أن حكام الأقاليم ينتمون إلى أصول مختلفة، بهدف القضاء على جذور الانقسامات التي شهدتها المنطقة سابقاً،

---

(١)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع نفسه، ص٦٨١.

(2) - Peroz, E : Au Soudan français, P 242.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٦٧ـ ٦٦٨.

(٤)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع نفسه، ص ٦٧٣.

(5) - Peroz, E : Au Soudan français, P 359

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٢.

(٧)ـ كردية، باري، إبراهيم، فاضل: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

مما يعزز الاستقرار السياسي في الإمبراطورية ويقوي الحكومة [١]، ومما ساعد على نجاح هذه السياسة إلى حد بعيد، التجانس الثقافي الواسع النطاق الذي ميز إمبراطورية الماندنغو عن سواها من إمبراطوريات السودان الغربي [٢].

ويعد حاكم الإقليم بمثابة الزعيم الديني والسياسي للمقاطعة [٣]، ذلك لأن مهامه الرئيسة تنحصر في أمرين، أولهما العمل على "تقوية الدولة والمحافظة عليها"، وثانيهما العمل على "نشر الدين الإسلامي والقضاء على الوثنية"[٤].

ولما كان من العسير على حاكم الإقليم أن ينجز جميع المهام التي أسندت إليه بمفرده، فقد تم تعيين قائد عسكري يتولى قيادة الجيوش، ورجل دين [٥] للبت في الشؤون الدينية، في حين انفرد الحاكم بالأمور القضائية التي تحدث ضمن الإقليم الذي يحكمه، وفي الحالات الخطيرة يتعين عليه الرجوع إلى الحاكم الأعلى قبل النطق بحكمه [٦].

ونظراً إلى حرص ساموري الكبير على ضمان الأمن الداخلي في إمبراطوريته، ولكي يكون على إحاطة دائمة بمجريات الأحداث ضمن الأقاليم، قام بإرسال "المفوضين والمبعوثين (دوغوكونا سيغي Dogokona Sigi)"، وهم بمثابة عيون ساموري وآذانه، مهمتهم "مراقبة الولاء للملك، وإعلامه بكل ما يجري، فضلاً عن الإشراف على تنفيذ قراراته السامية"[٧].

ب ـ التنظيم الإداري:

مثلت الكافو(Kaufo) أو القرية الوحدة الأساسية في الإمبراطورية، وقد بلغ عدد القرى عام١٨٨٧م، ٦٠٢قرية [٨]، يرأس كل منها أحد أفرادها[٩]، يليها المقاطعة أو الكاونتون (Kaonton)، التي تتألف من تجمع عدة قرى، مشكلة ١٦٢مقاطعة، وقد توزعت هذه المقاطعات في عشر حكومات، حملت اسم حكامها، وهي على التالي:

١ـ حكومة لانكا فالي (Lanka Fale): ضمت جميع مناطق الإمبراطورية الواقعة في الجنوب

---

(1)- Group of Authors: General history of Africa VI, P 660.

(٢)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٨.

(3)- Peroz, E : Au Soudan français, P 405.

(٤)ـ السروجي، محمد: المرجع السابق، ص١٥٧.

(٥)ـ باري، كردية، فاضل، إبراهيم: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

(6) - Peroz, E : Au Soudan français, P 405.

(٧)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٩.

(8) - Peroz, E : Au Soudan français, p 400.

(9)- Person, Y : Person, Yves: Samori une révolution dyula, Dakar, 1968, Tome II, P 91.

والجنوب الغربي، الممتدة من كونيا وحتى الحدود مع ليبريا وسيراليون.

٢ـ حكومة سيسي (Sisi): شملت بلاد كيسي.

٣ـ حكومة نسيخة مهيدي (Nassikh Mahdi): شملت المنطقة الممتدة بين فوتاجالون ودنجيراي (Dinguiray).

٤ـ حكومة ماسية مهدي(Masse Mahdi) : شملت الحدود الشمالية بأكملها حتى كومينا (Koumina)، التي تقابل سيجو، عاصمة إمبراطورية التكرور.

٥ـ حكومة مالينكا موري(Malinka Mory) : امتدت من باجوي(Bague) ، وحتى بالاغوي (Balague)، بمواجهة كيندوجو.

٦ـ حكومة ألفا عمر(Alpha Omar) : امتدت بين بالاغوي وحتى تينغريلا(Tengrela) ، بمواجهة كيندوجو.

٧ـ حكومة مودي فودي(Mody Fode) : شملت المناطق الواقعة جنوب شرق تينغريلا.

٨ـ حكومة مودي فين ديان(Mody Fin-dian) : ضمت المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية من كونيا حتى موساردو(Mousardou) .

٩ـ حكومة فامودو(Famodou) ، ضمت إقليم واسلو.

١٠ـ حكومة باتور(Batour) ، شملت إقليم بات(Bate) .

في حين خضعت كل من كونيا وتورون وكونادوغو (Konadougou)، لاعتماد ما يمكن تسميته برئيس الوزراء*، وقد تمتعت هذه الأقاليم دون غيرها بالعديد من الامتيازات كالإعفاء من الضرائب، كما التزمت باستقبال أفراد الأسرة الحاكمة لمن أراد الإقامة فيها [١].

كما أوجد ساموري تنظيماً متميزاً لأراضي التخوم، بما يضمن الأمن على الحدود، حتى يتسنى له ولحكام المقاطعات التفرغ لتنظيم الشؤون الداخلية ضمن الإمبراطورية الناشئة، فقد كان هذا التنظيم عبارة عن تقسيم الثغور، واسناد مهمة حمايتها للجيوش العظيمة، ومنحها الاستقلالية فيما يتعلق بأمور التجنيد والأحكام[٢]، وهذه الجيوش هي: ١ـ جيش الغرب وتمتد سلطته من النيجر إلى شمال بلاد سيراليون، ٢ـ جيش الشمال ويشرف على الجبهة الشمالية، كما كان مكلفاً بحماية مناجم الذهب في بوريه، ٣ـ جيش الشمال الشرقي المتمركز إلى الجنوب من باماكو، ٤ـ جيش الشرق[٣] مهمته حماية الحدود مع كيندوجو.

---

*ـ موريفينغ ـ ديان نجيه.

(1) - Peroz, E : Au Soudan français, P 403- 405.

(2)- Oliver, S, Roland, G.N: OP, cit, P 240.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٩، ٦٨٠.

يتبين من خلال التنظيم السياسي والإداري، حرص ساموري على معرفة تفاصيل الأحداث التي كانت تجري في مقاطعات إمبراطوريته، والتأكيد على سريان قوانينه في كل مقاطعة، وذلك من أجل ضمان الاستقرار الداخلي، تجنباً لحدوث تمردات داخلية من قبل الشعب كما أن اختياره لرؤساء الحكومات من ضمن أفراد عائلته، ورجاله ممن كانوا موضع ثقته، كان يقيه من خطر الحركات الانفصالية، وجميع هذه الإجراءات كانت تصب في رغبة ساموري في الحفاظ على الوضع القائم في الداخل، حتى يتفرغ بشكل نهائي لحروبه وتوسعاته.

رابعاً- الحياة الاقتصادية:

تنوعت الأنشطة الاقتصادية ضمن إمبراطورية الماندنغو، حيث مارس شعبها جميع الأنشطة من صيد، وتربية الحيوان، وزراعة، وصناعة، فضلاً عن التجارة الداخلية والخارجية.

د ـ الصيد وتربية الحيوان:

يعتبر الصيد أحد الأنشطة الاعتيادية لدى شعب الماندنغو، وقد تميز بالتنظيم وفق قوانين عدة، حيث تم تحديد مواسم معينة للصيد، وقد شرع لكل مواطن الاصطياد باستخدام البنادق أو الأقواس أو الخطاف، أما بالنسبة إلى المصائد فقد كان أصحابها يقومون بنصبها في الأراضي التي منحت لهم بموجب حق الانتفاع ـ سيتم التطرق إليه بالتفصيل في فقرة الزراعة ـ ، وكذلك مارس الماندنغو الصيد النهري عن طريق وضع الفخاخ في الأنهار وإنشاء السدود [١].

كما عمل الماندنغو على تربية الحيوانات الأليفة، التي تعود عليهم بالمنفعة الغذائية والتجارية، وكان الدجاج في مقدمة هذه الحيوانات، وقد تميزت الدجاجات في الإمبراطورية بحجمها الصغير، كما كانت البيوض التي تضعها صغيرة الحجم أيضاً، فضلاً عن ذلك قام سكان الإمبراطورية بتربية الأبقار، التي تميزت بإنتاجها الضعيف للحليب، إذ يبلغ إنتاجها في أفضل الحالات لترين في اليوم فقط، ويرجع ذلك إلى صغر حجمها وإلى الفترة الزمنية الطويلة التي ترضع فيها العجول وإلى جفاف المراعي، كما كانت الخيول تربى بشكل أقل[٢]، وذلك بسبب ضعف ثروة البلاد منها، ونظراً للحاجة الملحة لها، قام ساموري بإنشاء مركز لإكثار الخيول أعطى نتائج حسنة[٣]، كما ظهرت في الإمبراطورية قطعان الثيران بأعداد كبيرة جداً [٤]، فضلاً عن الماعز [٥].

أ- الزراعة:

امتلكت إمبراطورية الماندنغو جميع المؤهلات التي جعلت منها بلداً زراعياً بامتياز، نظراً

---

(1) - Delafosse, M : OP, cit, P 9.

(2)- Peroz, E : Au Soudan français, P 339, 340.

(٣)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٧٦.

(4)- Peroz, E : Au Soudan français, P 374.

(٥)- رودني، والتر: المرجع نفسه، ص ٧٤.

للمقومات الزراعية التي تمتعت بها منطقة أعالي النيجر، فهي غنية بشبكة المياه التي تمثلت بنهر النيجر وروافده الكثيرة، كما تتميز "بخصوبة تربتها التي تشكلت من امتزاج الحجر الرملي مع أوكسيد الحديد والغضار وحجر الصوان، مما ساهم في الحفاظ على البقايا النباتية والحيوانية والدبال، فضلاً عن مناخها الملائم للنشاط الزراعي، حيث تهطل الأمطار خلال ستة أشهر من السنة (من نهاية تشرين الأول، وحتى بداية أيار)"[١]، جميع هذه العوامل أسهمت في اتساع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة، حيث بلغت مساحتها نحو ٢٠٠ كم٢[٢]، بينما توزعت الأراضي الأكثر خصوبة على عدة مناطق أهمها الضفة اليمنى لنهر ميلو، فباستثناء سهول بات وديوما، فإن بقية البلاد عبارة عن تلال تفصلها عن بعضها البعض أنهار صغيرة ذات ضفاف حرجية، وهي ذات تربة خصبة للغاية وتحوي نسبة كبيرة من الدبال[٣]، وكذلك الأراضي الممتدة من كومينا إلى سانساندو (Sansando)، وتعد من أخصب الأراضي الصالحة للزراعة[٤]، فضلاً عن الساحات العامة في مختلف أرجاء الإمبراطورية فقد اعتبرت بساتين حقيقية، تنمو فيها الكثير من الأشجار[٥].

١ـ ملكية الأرض:

تنقسم أراضي إمبراطورية الماندنغو من حيث الملكية إلى نوعين:

١ـ الأراضي الملكية: وهي الأراضي القريبة من أماكن إقامة الإمام في كل من بيساندوغو وكينيران، وكانت مقسمة إلى مزارع صغيرة يعمل فيها العبيد، تحت إشراف ما يمكن تشبيهه بوزير الزراعة سينيكي كونيتيغي (Seniki Kounitige) [٦]، كما جرت العادة أن يمتلك ساموري في كل قرية من قرى الإمبراطورية حقل يزرع باسمه [٧]، يستثمر لصالح الإنفاق على البيت الملكي، من خلال عائدات ضريبة العشر التي فرضت على المزارعين العاملين في هذه الأراضي، وتؤخذاً عيناً بما يتناسب مع منتجات الموسم [٨]، أي أن الحكومة أعطت تلك الأراضي إلى فلاحين يقومون باستثمارها لأنفسهم، على أن تأخذ منهم ضريبة العشر.

٢ ـ أراضي حكومات القرى والأقاليم: كانت ملكية الأرض فيها تخضع لنظام مزدوج، حيث تعد الأراضي وكل ما ينتج عنها ملك المجتمع الذي يمثله رئيس الوحدة السياسية في كل إقليم، أي أن

---

(1) - Colomb : Les populations du haut Niger. Imprimerie Pirata ainé Lyon,1885, P 2.

(2) - Peroz, E : Au Soudan français, P 332.

(3) - Peroz, E : Au Soudan français, P 351.

(4) - Peroz, E : Au Soudan français, P 332.

(5) - Peroz, E : Au Soudan français, P 342.

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٢.

(7) - Peroz, E : Au Soudan français, P 413

(٨)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٤.

تلك الأراضي سواءً أكانت مزروعة أو غير مزروعة توضع تحت تصرف الحاكم، وهو مخول بإعطاء حق الانتفاع بأجزاء من هذه الأراضي لمن يطلبه، بشرط ألا يضر بمصلحة المجتمع، على أن تبقى ملكيتها بيد الحاكم، كما يحق للمنتفع بدوره أن يرهن حق الانتفاع بشكل كلي أو جزئي لشخص آخر، وفق شروط يتم الاتفاق عليها بين الطرفين، وبموافقة رئيس القرية والحاكم، وفي حال وفاة المنتفع، يعتبر حق الانتفاع كغيره من الأملاك التي تورث لأبنائه من بعده، لذلك وجد في إمبراطورية الماندنغو أراضٍ يعود استثمارها لأشخاص عاديين من عامة الشعب بموجب حق الانتفاع وقوانينه، ويتم رسم حدود هذه الممتلكات بحسب الأنهار المهمة وكذلك الممرات الرئيسة[١]، وقد فرضت الحكومة على أصحاب هذه الأراضي ضريبة المودي (Mody) على غرار ضريبة العشر، وكانت عائداتها تنفق لدفع معاشات المرابطين[٢].

٢ـ طرق الزراعة وأهم المزروعات:

استخدم الفلاح في حراثة الأرض أبسط الأدوات، إذ لم يكن قد عرف المحراث بعد، فقد اعتمد في ذلك عصا الحفر والمعزقة والمنجل [٣]، وقد حرص المزارعون على إزالة العشب بشكل نهائي من الحقول عند زراعتها، وكانوا يزرعون في الحقل الواحد عدة أنواع من الحبوب والخضار، حيث يتم تقسيم الحقل إلى مربعات، يفصل بينها بوساطة طرق واسعة جيدة الصيانة، وفي كل مربع يتم تحضير الأرض بشكل مستقل، بما يتناسب مع نوع البذور المزروعة [٤]، ويتم سقاية الحقول بفتح مجرى مائي من النهر لتصل مياهه للحقل [٥].

وكانت هذه الأراضي تستثمر في زراعة مختلف أنواع النباتات من حبوب وخضروات وفاكهة فضلاً عن الحاصلات النقدية، ومن هذه المزروعات على سبيل المثال لا الحصر: البطاطا الحلوة والبصل والناميبيا والفاصولياء والأرز والدخن والقطن والنيلة [٦]، كما زرعت الفاكهة كالبرتقال والأناناس والموز والمانغو [٧].

---

(1) - Delafosse, M : Haut Sénégal Niger Soudan Français séries publiées sous la direction de M. le Gouverneur Clozel, Emile Larosse Libraire Editeur 11 Rue Victor Cousin 11, Paris, 1912, P 7- 10.

(٢)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٤.

(٣)ـ هوبكنز: التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة: أحمد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨، ص ٧١.

(4)- Peroz, E : Au Soudan français, P 354.

(5) - Delafosse, M : OP, cit, P 9.

(6) - Peroz, E : Au Soudan français, P 354.

(7) – Pinchon : Questions Economiques Guinée Française le Cercle de Kankan, Revue Coloniale peraftle 15 de chaque mois, Imprimerie administrative Paul Du Pont 4, Rue du bouloi,4, Paris, No 1, Janvier 1901, P 145.

وقد اتبع الفلاحون في زراعتهم نظام الزراعة الدوري، حيث كانوا يزرعون الأراضي عامين أو ثلاثة أعوام متتالية، ثم يتركونها لتعود سيرتها أجمة [١].

ج ـ الصناعة:

لم تحظ الصناعة في إمبراطورية الماندنغو بأهمية كبيرة، فقد "كان الغرض الوحيد منها هو تلبية الاحتياجات المعيشية للسكان" [٢]، "فلم تهتم الحكومة بالتطوير المهني، ولا بالتقدم العلمي بالنسبة للأدوات المستخدمة في كل نوع من أنواع الصناعة، حتى الوقود المستخدم في العمليات الصناعية، قد اتسم بالبساطة والبدائية، حيث تم استخدام الأخشاب والفحم النباتي" [٣].

أما عن نوعية الصناعات التي سادت في الإمبراطورية، فيمكن تقسيمها في ثلاث مجموعات: الصناعات الاستخراجية، الصناعات الحرفية وصناعة الأسلحة.

١ـ الصناعات الاستخراجية: وجدت هذه الصناعات في الإمبراطورية نتيجة لتوفر الخامات الباطنية، ضمن طبقات الأرض الداخلية، إلا أن أهم هذه الخامات وأكثرها تواجداً على الإطلاق، هي الحديد والذهب الذين تركزا بشكل خاص في منطقة بوريه [٤]، وقد تم استخراج كل من هذين المعدنين بالطرق المناسبة.

بالنسبة إلى الحديد، فقد كان يستخرج ككتل إما من المحاجر أو الحفر الغير عميقة، ثم يجري تسخينه بوضعه في فرن من الصلصال، ويوقد بالفحم النباتي، ويتم النفخ فيه بوساطة منفاخ خاص، وكان الماندنغو يستخدمون في هذه العملية أتوناً دائرياً ارتفاعه قرابة عشرة أقدام وقطره ثلاثة أقدام مع سبعة منافس (فتحات خروج من القاعدة)، ويتم تسخينه لمدة ثلاث أيام، وتترك المحتويات لتبرد، ثم يعاد تسخينها مرة أخرى إلى أن ينتج خام حديد ذا نوعية مقبولة [٥].

أما عن الذهب فقد كان يجري استخراجه عن طريق ادخال أسطوانات رأسية متوازية في باطن الأرض إلى عمق ٤٠قدم، تتصل بعضها ببعض بنفق أفقي، بينما يقوم المشتغلون بالمناجم عند السطح بتفكيك الركاز بالمعاول، ثم يوضع في يقطينة مجوفة يابسة، ويسحب إلى السطح، ويتطلب ذلك درجة عالية من التخصص والتنسيق [٦].

٢ـ الصناعات الحرفية: كانت تتم ضمن طوائف متخصصة، وكان لكل طائفة ورشة عامة ورئيس

---

(١)ـ لويد: أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠، ص ٣٢.

(٢)ـ هوبكنز: المرجع السابق، ص٩٨.

(٣)ـ هوبكنز: المرجع نفسه، ص ٨٦.

(4)- Peroz, E : Au Soudan français, P 251.

(٥)ـ هوبكنز: المرجع السابق، ص ٨٧.

(٦)ـ هوبكنز: المرجع نفسه، ص ٩٠.

مهمته استقبال الطلبات وتمويل الحرفة وتصريف المنتج [١]، وكانت الطوائف بدورها تتحكم بأساليب الإنتاج ومعايير التصنيع والأسعار.

أما عن عضوية الطائفة، فقد كانت تعتمد على الوراثة، حيث شكلت وحدة الأسرة المعيشية الأساس لكل طائفة، وأحياناً كان بإمكان الغرباء الانتساب إلى إحدى الطوائف الحرفية بمجرد أن يستكملوا فترة التدرب على الحرفة، وكثيراً ما كان رؤساء الطوائف يفضلون استخدام الرقيق في العمل [٢].

أما عن أهم الصناعات الحرفية فأهمها:

ـ صناعة الألبسة: كانت في أساسها من الملابس القطنية، على الرغم من وجود ملابس مصنوعة من الصوف والحرير والخيش [٣]، وقد اعتاد النساجون على غزل خيوط القطن على أنوال أفقية ورأسية، ليصنعوا من نسيجه ملابس ذات تصميم معقد غالباً [٤].

ـ الصناعات الجلدية: احترفت قبائل الماندنغو صناعة الجلد الأحمر المسمى بالجلد المراكشي بعد دباغته وصبغه [٥]، كما استخدموا جلود الماشية والماعز في صنع الصنادل والسترات المستخدمة في الحروب، فضلاً عن صناعة محافظ الجيب الجلدية [٦].

ـ صناعة الفخار: وهي حرفة منتشرة في مختلف أرجاء الإمبراطورية، بسبب توفر موادها الأولية [٧]، وقد صنع الحرفيون منها الأوعية اللازمة لحفظ السوائل والمواد الغذائية [٨]، وكانوا يصنعونها عن طريق تدويرها باليد دون استخدام العجلة [٩].

ـ الحدادة: كان الحدادون يصنعون أدوات الزراعة كالمعازق، والأدوات المنزلية كالسكاكين، وأدوات الحرب كرؤوس الحراب والسيوف [١٠]، وقد استخدموا في هذه العملية المنفاخ والكير والسندان ونوع

---

(١)ـ لويد: المرجع السابق، ص ٥٦.

(٢)ـ هوبكنز: المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٣)ـ لويد: المرجع السابق، ص٩٤.

(٤)ـ قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص٣٣.

(٥)ـ رودني، والتر: المرجع السابق، ص٥٥.

(٦)ـ رودني، والتر: المرجع نفسه، ص ٧٤.

(٧)ـ هوبكنز: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٨)ـ لويد: المرجع نفسه، ص٩٧.

(٩)ـ رودني، والتر: المرجع السابق، ص٥٥.

(١٠)ـ هوبكنز: المرجع السابق، ص ٩٨.

من الفحم يصنع من خشب أحمر يكفي وحده لتسخين الحديد [١].

ـ الحلي: كان الصاغة يقومون بتغسيل الذهب أو طرقه أو غربلته، ثم يعبأ في شكل تراب الذهب (تبر)، على أن يوضع في الفرن ويسخن بمساعدة منفاخ صهر، بغية تنقيته، ثم يقومون بتصنيعه [٢].

ـ الصناعات الغذائية: كانت صناعة الأطعمة والمشروبات شائعة، لا سيما في المراكز الحضرية وعلى طرق التجارة، غلب عليها الطابع النسوي [٣]، حيث قامت النساء بإعداد الأطعمة المختلفة كالزيوت والدقيق والمعكرونة الذي كان بمثابة الخبز في الإمبراطورية [٤].

وإلى جانب هذه الحرف كانت العديد من الطوائف تمارس نشاطها في المجالات الأخرى، مثل النجارين والبنائين [٥]، وصانعي السلال [٦].

٣ ـ صناعة البنادق: وجدت هذه الصناعة منذ تأسيس الإمبراطورية، وهي الحرفة الوحيدة التي أدخلت عليها تحسينات بغية تطويرها، إذ كانت في البداية تصنع على الطراز المحلي من نوع شاسبوت(Chassbout)، إلا أن ساموري قام بتطوير هذه الصناعة عام ١٨٨٥، حيث أصبحت تحاكي البنادق الأوروبية المستوردة من نوع غراس(Gras)، وبنادق كروباتشيك (Kropatscheks)[٧]، فقد خصص لها ساموري معملاً، استدعى إليه الحدادين والصاغة، الذين استخدموا تقنية الشمع المذاب في تصنيع القطع الشديدة التعقيد من البنادق الأوروبية بما فيها المدافع المحززة، وقد لجأ ساموري إلى ذلك للتخفيف من مخاطر الاستيراد[٨] وما يمكن أن ينتج عنه من تبعية للإنكليز.

ب ـ التجارة:

تعد التجارة الحلقة الأخيرة في سلسلة الأنشطة الاقتصادية، فلابد لشعب مارس الصيد وتربية الحيوانات والزراعة والصناعة أن يمارس حرفة التجارة، وبالتالي فقد وجد ضمن إمبراطورية

---

(١)ـ لويد: المرجع نفسه، ص٩٧.

(٢)ـ هوبكنز: المرجع السابق، ص٩١.

(٣)ـ لويد: المرجع السابق، ص ٩٧.

(4) - Delafosse, M : OP, cit, P 62.

(٥)ـ لويد: المرجع السابق، ص ٩٧.

(٦)ـ أحمد، قليجة: المرجع السابق، ص ٣٣.

(7) - Groupe d'Auteurs: histoire générale de L'Afrique VII l'Afrique sous domination colonial1880-1935, l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation la science et la culture place de Fontenoy, Paris, 1987, P 147.

(٨)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٦.

الماندنغو حركة تجارية نشطة، بشقيها الداخلي والخارجي.

١ـ التجارة الداخلية:

كانت مقاليد التجارة الداخلية بيد التجار المنتمين إلى قبيلة الديولا، الأغنياء منهم والفقراء [١]،حيث كان هؤلاء يجوبون أرجاء الإمبراطورية سعياً وراء البضائع، وجلبها إلى الأسواق، لتباع فيها [٢]، وقد لقي التجار تشجيعاً ودعماً من ساموري، وذلك عن طريق إعفاء تجارتهم من الضرائب والمكوس [٣]، مما ساهم إلى حد كبير في زيادة نشاطهم.

كما أولت الحكومة تنظيم شؤون الأسواق أهمية كبيرة، حيث أوكلت أمورها في كل قرية، إلى رؤساء يتم تعيينهم بموجب رسم من رئيس القرية، مهمتهم الرئيسة الإشراف على فرض الضرائب على البائعين وقوافل التجارة، وتحديد أسعار البضائع، ويساعد هؤلاء الرؤساء عدد من الشبان المسلحين، يعملون على حفظ النظام في الأسواق، فيتدخلون لفض النزاعات وينظمون وضع كل جماعة أو بضاعة داخل السوق، ومن مهامهم أيضاً تعقب اللصوص والقبض عليهم[٤]، وأهم هذه الأسواق وأشهرها سوق الحبوب في سانساندو(Sansando)، وكذلك ذاعت شهرة كانكان بكونها أهم مراكز الإمبراطورية لبيع الذهب والعاج[٥]، كما كانت تباع الأسلحة والأقمشة في كل من بيساندوغو وساننكورو، بينما افتتحت في كل من كونيا وكومينا أسواق لبيع الذهب والملح والعبيد والخيول والأرز والحبوب فضلاً عن الأسلحة[٦]، كما كانت بايلا(Beyla) مركز تجارة الكولا[٧].

أما بالنسبة لعمليات التبادل التجاري من بيع وشراء التي كانت تجري ضمن الأسواق، فقد كانت تتم عن طريق عملة معدنية مجوفة نقش على أحد جوانبها صورة قضيب، وعلى الجانب الآخر رسم لنقطتين [٨]، كما وجد في الأسواق الصغيرة أسلوب المقايضة خاصة بالنسبة للسلع الرئيسة المحددة القيمة، كما استخدموا النظام العربي المثقال كوحدة للموازين بالنسبة للسلع الهامة ذات القيمة العالية كالتبر، كما استخدموا قطع الملح وسيلة للتبادل، نظراً لارتفاع قيمتها ولإمكانية تقسيمها إلى وحدات أصغر [٩].

---

(1)- Group of Authors: General history of Africa VI , P 661.

(2)- Oliver, Sanderson, Roland, G.N: OP, cit, P 238.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٤.

(4) - Person, Y : Person, Yves: Samori une révolution dyula, Dakar, 1968, Tome II, P 90- 92.

(٥)ـ ذهني إلهام: المرجع السابق، ص٥٣ـ٥٤.

(6) - Peroz, E : Au Soudan français, P 402-403.

(7) - Charton, E : OP, cit, P 26.

(8) - Charton, E : Ibid, P 26.

(9) - Person, Y : Samori une révolution dyula, P 90-92.

٢ـ التجارة الخارجية:

كانت التجارة الخارجية بيد الحكومة، حيث كانت تصرف عائداتها لتمويل الجيش ولتأمين احتياجات الشعب [١]، وقد شهدت الإمبراطورية حركة تجارية نشطة ومزدهرة، ويرجع ذلك إلى امتلاكها عدة مقومات:

ـ سيطرة الإمبراطورية على عدة طرق، تعد من أهم شرايين التجارة في السودان الغربي، **الطريق الأول** يمر من بيساندوغو متجهاً إلى ليبيريا عبر بلاد كيسي وتوما[٢]، **والطريق الثاني** وهو الطريق الذي يصل شمال السودان مع جنوبه، ويبدأ بكارتا (Kartta)، يلتف حول نيورو (Neuro) ثم يدخل عبر كيتا (Kita) ماراً بسيجوري إلى كانكان وبيساندوغو انهاءً ببايلا [٣].

ـ رصيد الإمبراطورية الضخم من الذهب، حيث قدرت عائدات الإمبراطورية السنوية من الذهب المستخرج من بوريه، بما يعادل ٩٠٠٠٠٠ قطعة من الذهب[٤]، أي ما يعادل٣,٦٠٠,٠٠٠ فرنك فرنسي [٥].

ـ ثروتها الهائلة من العبيد، فقد كان العبيد العماد الذي قامت عليه الحركة التجارية عموماً وحركة الصادرات خصوصاً، وقد استمدت الإمبراطورية ثروتها هذه من الحروب المستمرة، فعند الاستيلاء على إحدى القرى، يتم أسر أعداد من سكانها، بغرض بيعهم [٦]، فضلاً عن التمردات التي تحدث في المقاطعات، حيث يقوم الحاكم بالقبض على المتمردين، ويقدمهم عبيداً إلى الإمام، وكنوع من العقوبة، يقوم الإمام ببيعهم في أسواق الدول المجاورة [٧].

أما عن المبادلات التجارية فقد كانت تجري وفق مبدأ المقايضة، حيث كانت الإمبراطورية تصدر ثروتها من العبيد والكولا* والعاج والذهب، وفي المقابل كانت تستورد ما يغطي احتياجاتها من

---

(١)ـ السروجي، محمود: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٢)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٥٩.

(3)- Oliver, S, Roland, G.N: OP, cit, P 58.

(4) – Peroz, E : Au Soudan français, P 251.

(5) - Peroz, E : Au Soudan français, P 252.

(6) - Wahl, M : La France aux colonies, ancienne maison quanin librairies imprimeries réunîtes May & motteroz directeurs, Paris, 1896, P 141.

(7)- Charton, E: OP, cit, P 342 .

*ـ الكولا: وهو عبارة عن مشروب مركب من الكستناء الوردي أو الأبيض.

Peroz, E : Au Soudan français, P 214.

الأسلحة والخيول في **الدرجة الأولى**، وذلك بسبب حاجتها الملحة لها، والتي فرضتها حالة الحرب المستمرة التي كانت تخوضها الإمبراطورية مع الممالك الوثنية، والمؤن في **الدرجة الثانية**، فعلى الرغم من غنى الإمبراطورية بالخضروات والحبوب المزروعة[١]، فقد سعى ساموري إلى زيادة موارد الدولة من الحبوب والذرة والدخن والذرة الرفيعة عن طريق استيرادها، وذلك من أجل إطعام جميع السكان من محاربين ونساء وعبيد[٢]، وذلك بسبب النقص الذي كان يحدث في الإمبراطورية أثناء الحروب، فضلاً عن استيراد الملح في **الدرجة الثالثة**، ذلك لأن منطقة أعالي النيجر تعاني نقصاً شديداً في مادة الملح[٣].

نتيجة لذلك فقد نشطت الصلات التجارية بين الإمبراطورية والحكومات المجاورة، ولاسيما مع حكومة فريتاون البريطانية، التي كانت المصدر الرئيس للسلاح، فقد كانت فريتاون منطقة الإمداد الوحيدة التي يمكن لمبعوثي الماندنغو أن يجروا معها اتصالات مباشرة للحصول على الأسلحة الحديثة[٤]، ويتم الحصول عليها عن طريق مبادلتها بالعاج والذهب والعبيد[٥]، وكانت مدينة ايريماكونو (Eermakono) في جنوب الإمبراطورية مركزاً لهذه المبادلات[٦].

كما قامت المبادلات التجارية بين إمبراطورية الماندنغو وإمبراطورية التكرور، على الرغم من العداء الذي كان قائماً بينهما، وذلك نظراً لحاجة الماندنغو للخيول والملح الذين كانا يشكلان فائضاً عند التكرور، مقابل حصول التكرور على الذهب والعبيد من الماندنغو، وكان مركز المبادلات التجارية في مدينة التكرور أوليسبوغو(Ouolesebougon).

وفيما بعد تمت المبادلات التجارية مع فرنسا- بعد سيطرتها على أراضي التكرور المتاخمة للإمبراطورية- حيث كانت الأقمشة والبضائع الفرنسية ترد إلى الإمبراطورية قادمة من مدينة عبر كينيران، لقاء الذهب والعبيد والأرز[٧].

كما كان تجار الماندنغو يبيعون العبيد في بواكيه (Bouake) - سوق العبيد في مملكة بونا في

---

(1) - Peroz, E : Au Soudan français, P 346.

(2) - Combes, Paul : OP, cit, P 10.

(3) - Cissé, k, Youssouf, t,: La grande geste du Mali, tome2 , Soundjata la gloire du Mali Editions, Karthala-Arsan, Paris, 2009, P 28.

(4)- Fyfe, Ch: History of Sierra Leone, Oxford university press, London, 1962, P 500.

(5) - Groupe d'Auteurs: histoire générale de L'Afrique VII , P147.

(٦)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٩.

(7) - Peroz, E : Au Soudan français, P 402.

ساحل العاج ـ مقابل الحصول على الذهب والمؤن من الحبوب[١]، كما تم بيع العبيد في فوتاجالون وذلك للحصول على الأسلحة والخيول والمواد الغذائية[٢].

وهكذا نجد أن معاملات الإمبراطورية التجارية مع الخارج كانت تتم مع الممالك المحيطة بها، وهذا يدل بدوره على عدم امتلاك الإمبراطورية شبكة متطورة من المواصلات، تمكنها من المتاجرة مع المناطق البعيدة.

وبناءً على ما تقدم، كان اقتصاد الإمبراطورية قائماً على الزراعة والتجارة في الدرجة الأولى، أما الصناعة فقد تميزت بالبساطة، إذ اقتصرت مهامها على تلبية احتياجات السكان المحليين، مما يعني أن اقتصاد الإمبراطورية كان اقتصاداً زراعياً تجارياً في الدرجة الأولى، بينما احتلت الصناعة والصيد وتربية الحيوانات الدرجة الثانية.

خامساً ـ الحياة العسكرية:

حظيت المؤسسة العسكرية بالاهتمام الأكبر من قبل ساموري، فقد كان الجيش عماد الدولة، وسيفها القوي، ودرعها المتين، تشكل في بداية أمره من المتطوعين، ثم تحول إلى آلة حرب حقيقة مجهزة على الطريقة الحديثة[٣]، أطلق عليه اسم الأرائك، وتنعي بلغة الماندنغو الطائر، وهي تسمية مستوحاة من سلاح الفرسان وذلك بسبب سرعة خيولهم[٤]، وقد غلب على جيش الدولة الطابع الوطني وذلك بسبب تجانسه إذ أنه ضم عناصر من جميع قبائل الماندنغو[٥].

أ ـ التجنيد:

تبنى ساموري في تشكيل جيشه أسلوب كتيبة التجنيد ،وعهد بقيادتها إلى ضابط مكلف بإكراه الناس على الالتحاق بالجيش[٦]، وتسهيلاً لمهمته، سن ساموري تشريعات تحدد طريقة تجميع الجنود لإلحاقهم بالخدمة العسكرية، مما أسهم في زيادة عدد المجندين، ففي **بداية التوسعات** كان تجنيد الجيوش يتم عن طريق استثمار أسرى الحرب من الوثنيين، فعند غزو منطقة، يؤخذ أطفالها ويتم

---

(1) - Kamara, A : Bouna et car évolution dioula de Samori destruction d'une cite fortement islamise, Revue gabonaise d'histoire et archeology, Université A l'assaneouattara , Bouake – Coté D'Lvoire, 2017, P 73- 74.

(2)- Charton, E: OP, cit, P 262.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٧٤.

(4) - Simond, Ch : Les Français en Afrique aux Ixe siècle, Librairie Déducation de la Jeunesse 7 Rue des Canettes 7, Paris, P113.

(٥)ـ عبد الله، إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٢٧.

(٦)ـ بانيكار، مادهو: الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨، ص ٣٤١، ٣٤٢.

وضعهم تحت راعية قادة عسكريين لتدريبهم على القتال[١]، ويوضعون كذلك تحت رعاية رجل دين ليعلمهم أصول الدين الإسلامي[٢]، وفي وقت لاحق وبعد **تنظيم شؤون** الإمبراطورية ،وإلى جانب تجنيد الأسرى، أصدر ساموري تنظيماً ينص على فرض ضريبة على كل قرية، تلزم حاكمها بتقديم واحد من كل عشرة رجال من قريته، من بين أولئك القادرين على حمل السلاح، ويبقى هؤلاء في الخدمة إلى أن يحل محلهم رجال الرسوم التالية [٣].

وقد انقسم الجنود من حيث التجنيد إلى قسمين، قسم يمثل القوات الدائمة أو ما يمكن أن يطلق عليه نواة الجيش، وقد تشكل من الأسرى والمتطوعين من القرى [٤]، وقسم آخر يؤلف الوحدات الفرعية، وتنقسم بدورها إلى قوات نظامية من فرسان ومشاة (الصوفا Sofa)، ووحدات تدريبية (بيلاكورو Belakoro) [٥]، وكان هؤلاء البيلاكورو إضافة إلى عملهم، يكلفون عند الحاجة بالقيام بمهام الجلادين ورجال المخابرات [٦].

كما حرص ساموري على أن يحتفظ بحرس خاص به، من بين الأطفال الذين تم أسرهم، يختارهم ساموري بحسب ذكائهم وتكوينهم البدني المثالي، ويعهد بهم لمن يعلمهم، وينشئهم نشأة دينية مشربة بحب الإمام، وتدريبهم على حمل السلاح، وعند بلوغهم سن السادسة عشر يتم إرسالهم إلى الجيش وتدريبهم من قبل قادة متمرسين يختارهم ساموري بنفسه، وبناءً على ذلك تم تشكيل فيلق من مائتي إلى ثلاثمائة من المشاة، مهمتهم إعداد الحرس المكلف بحماية الإمام [٧].

ب ـ تسليح الجيش:

اهتم ساموري منذ البداية بتسليح جيشه بالأسلحة النارية، بينما حمل الفرسان إلى جانبها التامابا (Tamba)، وهي عبارة عن حربة طويلة لها نوع من الخطاف لإيقاع الأعداء عن مطاياهم[٨]، إلا أن ساموري قام فيما بعد باستيراد الأسلحة الحديثة من سيراليون منذ العام ١٨٧٦، ذلك لأن الأسلحة القديمة أصبحت تشكل عبئاً على الجنود بسبب حجمها الكبير، وسرعة تضررها بفعل الرطوبة، فتم استبدالها ببنادق الغراس و الكورباتشيك، ذات الوزن الخفيف، فضلاً عن أنها تتكيف بشكل أفضل مع الرطوبة[٩]، وبينما كان كل جندي مسؤول عن سلاحه، فإن ملكية البنادق تبقى

---

(1) - Charton, E : OP, cit, P 5.

(٢)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٣.

(3)- Peroz, E : Au Soudan français, P 408.

(4) - Peroz, E : Au Soudan français, P 407.

(٥)- باري، عثمان: المرجع السابق، ص ٢٥٥.

(٦)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٣.

(7) - Peroz, E : Au Soudan français, P 409- 410.

(٨)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٥.

(9) - Groupe d’auteurs : histoire générale de L’Afrique VII, P 147.

حكراً على السلطان[١].

ج ـ الملابس:

ارتدت كل فئة من فئات جيش الماندنغو زياً خاصاً يميز إحداها عن الأخرى [٢]، وبشكل عام تألفت ملابس جميع الفئات من الطربوش وقميص خفيف ذو أكمام قصيرة وسروال له شقة عالية وصندل من الجلد [٣].

د ـ نظام التعبئة:

اعتمد ساموري على نظام التعبئة القاسي الذي نظمه على أساس فئات السن، وقام بتطويره حسب الحاجة[٤]، وفي طبيعة الحال كان جيشه مقسماً إلى مشاة وخيالة، وكان جناح المشاة بدوره مقسماً إلى وحدات دائمة، تضم كل منها من عشرة إلى عشرين فرداً، تعرف باسم كولو(Kulu) أي القدم، يقود كل منها كونتيغي(Kuntigi)، وعند تجمع عشرة فرق من الكولو، تتشكل الفرق الهجومية البولو(Bolo) وتعني اليد، يقودها بولوكوتينجي(Bolokuntigi)، بينما كان جناح الفرسان مقسماً إلى وحدات تضم كل منها خمسين فرداً وتسمى سيري(Sere)، وقد جمعت بين هذه الوحدات روابط الصداقة بين جنودها، ومشاعر الولاء لقادتهم المحليين أولاً، وللإمام ثانياً[٥].

وعند الغزو، كان عدد القوات يصل إلى ٤٠ألف مقاتل[٦]، فضلاً عن المقاتلين الدائمين من الصوفا، كان حكام الأقاليم يستدعون من بين القوات الاحتياطية مقاتل من كل إثنين، حيث يقوم كل حاكم بتجنيد جيشه من جميع أنحاء المنطقة التي يديرونها، ليلتحقوا بالجيش المركزي[٧]، وكان يتم توزيع القوات بمجملها على خمسة أقسام، استمدت أسمائها من أعضاء الجسم البشري، فالمقدمة حملت اسم نيان (Nean)أي الوجه، والمؤخرة كوكيسي (Kokisi) أي حامية الظهر، والميمنة كينيبو(Kenebo) اليد اليمنى، والميسرة نوما بنولو (Noma Bnolo)أي اليد اليسرى، وفي القلب ديزي (Dizi) أي الصدر، وتباشر هذه العناصر عملها في المعركة بإشارة من طبلة الحرب التابالا (Tabala)[٨].

---

(١)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٦.

(٢)ـ باري عثمان: المرجع السابق، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٥.

(٤)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٧٦.

(5) - Groupe d’auteurs : histoire générale de L’Afrique VII, P 147.

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٥.

(7) - Peroz, E : Au Soudan français, P 408.

(٨)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٥.

وفي أوقات السلم تستقر القوات الدائمة في ثكناتها، بينما كانت القوات الاحتياطية تسرح مدة ستة أشهر، حيث يعمل أفرادها أثناء ذلك في فلاحة الأرض، وتأمين ما تحتاجه القرية من خدمات، ولدى انقضاء هذه المدة، يقوم هؤلاء بعرض أنفسهم على رئيسهم المباشر، فإذا كان بحاجة إليهم احتفظ بهم، وإن لم يكن هناك حاجة، يسمح لهم بالعودة إلى منازلهم [١].

هـ ـ تموين الجيش:

عمل ساموري على إيجاد موارد ثابتة ودائمة لضمان راحة جنوده وتسليحهم في الحرب والسلم، لذلك عمد إلى تخصيص حقل من كل قرية يزرع بالأرز والدخن، على أن تستثمر حاصلاته في إطعام الجند، وفي الحرب عندما تعجز الدولة عن تقديم الغذاء الكافي للجنود، تعمد إلى فرض ضريبة على كل قرية يلزم فيها الأهالي بتقديم مقدار من الحبوب، تحمله قوافل من النساء والأطفال إلى مراكز تموين الجيش.

أما عن الأسلحة والذخيرة والملابس، فيتم تأمينها من خلال بيع جزء من ممتلكات ساموري أو الحقل الذي تزرعه كل قرية لصالحه، ومن تجارة الرقيق على الحدود، وكذلك عائدات بيع الذهب، وما نهب من القرى التي غزاها ساموري، وقد عهد ساموري إلى أمين الصندوق بتخزين هذه الأشياء كلها، وكان أمين الصندوق يحتفظ بقائمة يدون فيها ما تحتويه الخزينة من أسلحة وذهب وملابس [٢].

و ـ الإعداد للمعارك:

تميز ساموري بخبرته العسكرية الفائقة المستمدة من تجاربه المختلفة، والتي جعلت منه ملهماً وقائداً عسكرياً من الطراز الممتاز، فقد كان يعلم مسبقاً أن الصدام المباشر وحده ليس كافياً لتحقيق النصر، فكيف ذلك وقواته في معارك مستمرة مع الوثنيين، مما قد يتسبب في انهاكها منذ حروبها الأولى، لذلك أعد ساموري عدته قبل كل حرب بما يكفل له تحقيق النصر في جميع المعارك التي سيخوضها، فكان لابد له من ضمان ولاء "هيئة أركان الحرب، لذلك قام بحصر رئاستها في إخوته الثلاثة"[٣](فابيو وماليكا موري ونسيخة مهيدي)، بينما اصطفى لنفسه القيادة العامة [٤]، كما كان يعد جنوده لتحمل شتى الصعوبات التي قد تعترضهم أثناء القتال، فقد دربهم على اجتياز الأنهار في جميع الظروف، وكذلك المشي أياماً كاملة على أقل غذاء، وقبل أي معركة كان يرسل رجال مخابراته للاستعلام عن حالة العدو وعدته وعتاده، كما اتبع أسلوب الحرب النفسية ببث الدعاية في نفوس أعدائه بما يتيح له تحطيم معنوياتهم وإضعافهم، وكثيراً ما لجأ رجاله إلى نصب الكمائن ، وأساليب الخداع والمفاجآت[٥]، ولدى الاستعداد للاستيلاء على مناطق جديدة، كانوا يمهدون لذلك عن طريق

---

(١)ـ السروجي، محمد محمود: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(2) - Peroz, E : Au Soudan français, P 411- 412.

(3) - Peroz, E : Au Soudan français, P 409.

(٤)ـ إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٢٨.

(٥)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٧.

حصارها حتى تنفد مؤنها ومن ثم يقومون باقتحامها وبسط سيادتهم عليها[١]، مما ساعدهم على تحقيق الانتصارات بأقل خسائر ممكنة، وهذا كله يدل على براعة القائد الكبيرة في التخطيط والاعداد للمعارك.

سادساً- الحياة الاجتماعية:

في معرض الحديث عن الحياة الاجتماعية، لابد من تناول العديد من القضايا، نظراً لاتساع الجوانب التي يتوجب على الباحث التبحر فيها، والتي يصعب إجمالها، فيكفي إعطاء نظرة موجزة لأهم هذه القضايا وهي فئات السكان ولغاتهم وفئات المجتمع والأسرة.

أ- فئات السكان:

تميزت إمبراطورية الماندنغو من الناحية البشرية بتجانسها، وقد اندرجت الجماعات المكونة لها تحت اسم قبائل الماندنغو المنتشرين في المنطقة الممتدة من حافة الغابة في الجنوب إلى حافة الصحراء في الشمال، إلا أن هذا التجانس لا يعني التوافق، فمن المعروف أن الماندنغو قد انقسموا إلى عدة جماعات عرقية وهي: جماعة المالنكي(Malinke) وكانوا يؤلفون غالبية سكان الإمبراطورية، إلى جانب البمبارا، والديولا والسراكولي(Sarakolle)، وفي القليل من الحالات الاستثنائية، ضمت الإمبراطورية عناصر مختلطة من الماندنغو مع المغاربة والفولاني وخاصة في واسلو[٢].

وكما تمايز شعب الماندنغو من الناحية العرقية، كذلك تمايزوا من الناحية الجسمانية، فبينما اتصف سكان السافانا في الشمال بطول الأجسام وطول الأطراف والنحافة والبشرة الداكنة، كان سكان الغابة في الجنوب يحملون صفات معاكسة، فقد تميزوا بضآلة الأجسام وقصر الأطراف وقوتها[٣]، اما بشرتهم فلم تكن على حال واحدة، ولكنها عادة ما تكون فاتحة[٤].

ب - اللغة:

تميزت إمبراطورية الماندنغو بالتجانس اللغوي ، كنتيجة طبيعية للتجانس القبلي، رغم ما يلاحظه الباحث من تنوع اللهجات التي تحمل كل منها اسماً خاصاً، إلا أنها تتجمع ضمن نطاق لغة واحدة، ألا وهي لغة الماندنغو، ومن أهم هذه اللهجات، لهجة ماندونكا(Mandunka) ويتحدث بها سكان المنطقة الممتدة من الشرق إلى الغرب، تأتي بعد ذلك لهجة ماننكاكا(Maninkaka) وتنتشر في مناطق أطراف الغابة ومنابع النيجر، ولهجة باماناكا(Bamanaka) وهي إحدى لهجات البمبارا وتنتشر في منطقة منحى نهر النيجر، كما تنتشر عدة لهجات في المنطقة الشرقية، وتعد أقل أهمية

---

(1)- Pietri: OP, cit , P 281.

(2) - Person, Y : Samori une révolution dyula, P 43.

(3)- Marty, P: OP, cit, P 2,3.

(4) - Person, Y : Samori une révolution dyula, P 45, 46.

من اللغات الآنفة الذكر[١].

ج ـ طبقات المجتمع:

يتصف مجتمع الماندنغو بتعدد الطبقات، إلا أنه لم يكن هناك أي فروق طبقية، ويعود الفضل في ذلك إلى سياسة العدالة الاجتماعية التي طبقها ساموري، القائمة على المساواة التي نادت بها الشريعة الإسلامية [٢]، مما أدى إلى اختفاء جميع مظاهر التفاوت الاجتماعي بين الطبقات التي شكلت المجتمع داخل الإمبراطورية، فكل ما يشغل فكر ساموري هو تحقيق الوحدة والتضامن بين شعوب الماندنغو، ويمكن استنباط هذه الطبقات من خلال ما سبق دراسته، حيث يلحظ بوضوح وجود خمس فئات يمكن ترتيبها بحسب مكانتها في السلم الاجتماعي على النحو التالي:

أـ الطبقة الحاكمة: المؤلفة من ساموري ونسائه وأولاده وإخوته، فقد كان ساموري الرجل الأول في الإمبراطورية يعيش في قصره في بيساندوغو مع أبنائه الذين قدر عددهم أثناء زيارة بيروز(١٨٨٧) ب٣٤، بينما بلغ عدد إخوته ثلاثة وكانوا يقيمون في منازل بجوار مقره[٣]، بينما نساؤه اللواتي قدر عددهن ب٢٠ زوجة، فقد أقمن في مجموعة صغيرة من المنازل تبعد عن القرية مسافة ٥٠٠متر، يحيط بها سور من الخشب، باستثناء إثنتين أو ثلاثة من زوجاته المفضلات أقمن معه في قصره في بيساندوغو، وقد خضعن نساؤه لقوانين عديدة وصارمة باعتبارهن زوجات ساموري كأن يحظر على أحد من العامة الحديث معهن[٤].

ب ـ المرابطون (الشيوخ): تمتع هؤلاء بنفوذ كبير في المجتمع، فقد أفادوا من فرض الإسلام على الوثنيين، في إعلاء صوتهم وإظهار تأييدهم لنشر الإسلام بالطرق السلمية، وبفضل نفوذهم لدى ساموري تمكنوا من الدخول في مؤسسات الدولة السياسية، ونجحوا في كثير من المناسبات في تطبيق الشريعة الإسلامية في الجماعات والتنظيمات السياسية في المراكز الرئيسة[٥].

ج ـ المقاتلون: وهم من قامت على أكتافهم الدولة، ووقع على عاتقهم حمايتها من التحديات الخارجية والأخطار الداخلية.

د ـ العامة: وهم التجار والمزارعين والصناع وأصحاب المهن المختلفة.

هـ ـ العبيد: تشكلت هذه الطبقة من ضحايا الحروب المستمرة، إلا أنهم حظيوا بمعاملة رحيمة في

---

(1) - Person, Y : Samori une révolution dyula, P 47.

(2)- Binger, L : Esclavage islamisme et christianisme, Société d'Etudes Scientifiques, Paris, 1891, P 38.

(3)- Peroz, E : Au Soudan français, P 355, 356.

(4) – Binger, L : Du Niger au Golfe de Guinée par le pays de Kong et le Mossi, Paris, 1892, P 158.

(5) - La Chatelier, A : OP, cit, P 239.

الإمبراطورية، كانت أكبر دليل على سياسة العدالة الاجتماعية، وقد اعترف بذلك أعداء الإمبراطورية قبل أصدقاءها، وليس أدل على ذلك قول لويس بنجر(Louis Binger) *:**(وعند المسلمين يلزم إطعام الأسير دائماً مهما كان عمله، ولن يموت جوعاً، وفي أوروبا لا يعبأ المرء بتقديم الطعام لهذا المسكين إذا فصل من عمله، ويحتمل جداً أن يهلك جوعاً في اليوم التالي دون أن يعبأ بأمره أحد)** [١].

من جهة أخرى عمل ساموري على فرض الإسلام كعامل توحيدي يجمع بين سكان الإمبراطورية، ولما كان دخول الإسلام بداية ملجأً للهرب من العبودية، فقد أسلم الكثير من الوثنيين دون قناعة، مما دفع ببعضهم إلى العودة إلى وثنيتهم، وفي هذه الحالة يعاقب المرتد بتجريده من ممتلكاته وبالنفي إلى مناطق جرداء، ولم يستثن من هذا الحكم أحد ، حتى والد ساموري نفسه، عندما شوهد وهو يمارس إحدى العبادات الوثنية صدر بحقه حكم النفي[٢]، إلا أن هذا القانون لم يلبث أن استبدل بعد ذلك بقانون التسامح الديني، وذلك بعد العام ١٨٨٦، عندما ثار والد ساموري وإخوته ضد هذا الإجراء، تلاه حركة المعارضة الكبيرة التي نظمها الشعب، ليقوم ساموري بعد ذلك بفرض سياسة التسامح الديني[٣].

د- الأسرة:

مثلت الأسرة أصغر وحدة تنظيمية في الإمبراطورية، وقد كان تماسكها وتوافقها من الأهمية في تحقيق استقرار المجتمع، لذا حظي تنظيم العلاقات الأسرية باهتمام ساموري ورعايته، ومن ذلك تشجيعه للنظام الأبوي الذي اعتمدته قبائل الماندنغو بشتى فروعها[٤]، ذلك أن مجتمع الماندنغو قد أعطى أهمية كبيرة للرجل وفضله على المرأة، وقد تم التوصل إلى هذه الحقيقة من خلال قول بيروز بأن للمرأة تأثير كبير على الزوج، إلا أن الرجل يحرص على إخفاء ذلك، حرجاً من أقرانه[٥].

وكذلك وضع ساموري قوانين ناظمة للزواج والطلاق وفق الشريعة الإسلامية، إلا أن الماندنغو قد حرصوا على التباعد في النسب بمقتضى الأعراف والتقاليد، حيث اعتاد الرجال على اختيار زوجاتهن من الخارج، وهذا يعني أن المصاهرة كانت تتم بين أفراد ينتمون إلى أحياء مختلفة

---

*- لويس بنجر (١٨٥٦- ١٩٣٦): ولد في ١٤ تشرين الأول، في ستراسبورغ(Strasbourg) ، مستكشف وضابط فرنسي، سافر في رحلة استكشافية من السنغال إلى النيجر عام ١٨٨٧، ووصل إلى غراند بسام عام ١٨٨٩، وعاد في إلى ساحل غينيا عام ١٨٩٢ للإشراف على المستعمرات الفرنسية هناك.

Archives nationales : site de Paris, N^0 de notice L 0243010.

(1)- Binger, L : Esclavage islamisme …, P44.

(2) - Peroz, E : Au Soudan français, P 230.

(٣)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٠، ٦٨١.

(4) - Peroz, E : Au Soudan français, P 414.

(5) - Peroz, E : Au Soudan français, P 271.

داخل القرية، أو من ضمن قرى أخرى.

أما عن السن القانوني للزواج، فبخلاف الوثنيين الذين حددوا سن الزواج للشاب بألا يقل عن الثلاثين، فقد كان الشاب المسلم يقدم على الزواج بمجرد أن يستأنس في نفسه القدرة على بناء أسرة تحمل أسمه، أما عن الفتاة فتصبح مؤهلة للزواج ما بين سن العاشرة والثانية عشر وهو سن بلوغها، ويتم الزواج وفق طقوس معينة حيث يذهب الخاطبون إلى دار الفتاة ويقدمون الهدايا من الكولا والقماش، فإذا تمت الموافقة من الطرفين، يتم الاتفاق على قيمة المهر، والذي يكون عبارة عن أبقار في المجتمعات الرعوية، أو قماش من أنواع ثمينة، ويعد هذا المهر حقاً للمرأة قد يقاسمها فيه أهلها، ومن ثم تجري مراسم الزواج في احتفال كبير قد يدوم على مدار أسبوع كامل.

أما الطلاق وكان شائعاً في مجتمعات الماندنغو، فقد أجيز لأسباب معينة من أهمها العقم والخيانة الزوجية وفي هذه الحالة يعطى للمرأة صداقها [١].

كما تتميز الأسرة عند الماندنغو بتعدد الزوجات، وذلك لما عرف عن الزنوج عموماً ميلهم إلى الإكثار من النساء والأولاد[٢]، لذا فقد كان تعدد الزوجات مقبولاً في الإمبراطورية، وقد نظم قانون تعدد الزوجات وفق الشريعة الإسلامية، حيث أصبح مقتصراً على أربعة زوجات شرعيات، ويقصد بكلمة شرعيات، أنه أجيز الزواج من الجواري والمحظيات، وفقاً لقوانين الشرع، أما القانون المحلي فيقصر عدد الزوجات بحسب موارد الزوج، حيث يشير العدد الكبير من الزوجات على مقدار الثروة، وغالباً ما يكون للفقراء زوجة واحدة[٣]، ومما يستوجب التنويه إليه في أثناء الحديث بهذا الصدد، بأن زواج الحر من العبدة، يجعل من العبدة امرأة حرة[٤].

والطريف في الأمر أن الزوجة في كثير من الأحيان تحرض زوجها على الزواج من أخريات، على أن يأخذ بمشورتها عند اختيارهن، كما أنها تصبح سيدة عليهن [٥].

أما عن واجبات الزوجين، فقد قامت على توزيع المهام فيما بينهما، فبينما كان الرجل يسعى خارجاً في طلب الرزق، فإن مهام المرأة قد انحصرت في المنزل لإعداد الطعام وتربية الأولاد، ولما كانت الإمبراطورية في حالة حرب دائمة، مما يضطر الرجل للغياب عن المنزل لإيام كاملة، فقد كان العبء يزداد على المرأة ، ففي هذه الحالة تخرج النسوة من منازلهن، لجلب المياه من الآبار، وفي المناطق التي لا تتوفر فيها الآبار يخرجن إلى الأنهار والبرك، كما انخرطن في بعض الأعمال الزراعية، فضلاً عن المنتجات الغذائية التي تصنع في البيوت، حيث يحملنها إلى الأسواق

---

(1)- Person, Y : Samori une révolution dyula, P 55.

(2)- Barot, M : Guide pratique de l’Européen dans l’Afrique occidentale, Ernest Flammarion Editeur, Paris, P 27.

(3) - Delafosse, M : OP, cit, P 61.

(4) - Delafosse, M : Ibid, P 72.

(5) - Delafosse, M : Ibid, P 63.

البعيدة[١]، كما شاركت النساء والأطفال في الحروب، حيث كانت النساء تقوم بطهي الطعام للمحاربين، في حين كان الأطفال يتولون أمر العناية بالخيول وإطعامها[٢].

وهكذا نجد أن الأسرة ضمن إمبراطورية الماندنغو وإن اعتمدت النظام الأبوي، وأعطت الرجل الأفضلية على المرأة، إلا أن المرأة كان لها الدور الأكبر في حفظ الأسرة وتماسكها، فقد قامت بدور الأم والأب معاً، ذلك لاضطرار الرجل للتغيب كثيراً عن المنزل لانشغاله في الحروب، فكانت الأم في هذه الحالة تقوم بمهام الرجل إلى جانب مهامها في العناية بالمنزل والأولاد، من خلال سعيها وراء الرزق وجلبها للماء، ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب وإنما تغيبت عن منزلها هي أيضاً أثناء المعارك، لخدمة المحاربين والعناية بغذائهم.

وفي نهاية المطاف يمكن القول إن مجتمع الماندنغو وإن رفع من شأن الرجل، وفضله على المرأة كزوجة، إلا أنه أنصفها كأم، إذ يتضح من حادثة افتداء ساموري لأمه، سمو المكانة التي حظيت بها الأم في نفوس أبناءها، ومدى استعدادهم للبذل في سبيلها.

سابعاً- الحياة الثقافية:

شكل الدين الإسلامي محور الحياة الثقافية في إمبراطورية الماندنغو، نظراً إلى طموح ساموري في تكريس الطابع الديني الإسلامي الذي اتسمت به دولته، وكانت مظاهر هذا الدين قد سادت في جميع أنحاء الإمبراطورية، لما بذله ساموري من جهود في نشره، وقد تطلب منه ذلك جهداً أكبر في المناطق المفتوحة التي كانت تدين بالوثنية، إذ كان لابد من القضاء على طقوسها كخطوة أولى، حيث قام ساموري بهدم الأصنام والرموز الوثنية، وكخطوة ثانية قام بتشجيع سكانها على اعتناق الإسلام، وذلك عن طريق بناء المساجد، حيث قام أئمتها بمهمة الإشراف على دخول سكانها الإسلام، وحثهم على الامتثال لأوامر الله وفق منطوق كتاب الله وسنة نبيه الكريم [٣].

إلا أن نشر الإسلام الصحيح لم يقتصر على مناطق الوثنيين فحسب، ففي المدن التي كانت بأصلها تدين بالإسلام، عني ساموري بتصحيح المفاهيم الدينية الخاطئة التي نتجت عن اختلاط المسلمين بجيرانهم الوثنيين، وفي سبيل رسالته تلك، أكثر ساموري من بناء المساجد في جميع أنحاء الإمبراطورية وزودها بالأئمة والواعظين والمبشرين لتعريف الناس أمور دينهم على الوجه الصحيح [٤]، مما يعني أن ساموري قد بنى مسجداً في كل قرية [٥].

---

(1) - Delafosse, M : OP, cit, P : 62.

(2) - Ménaud, J : Les pionniers du Soudan avant avec et après Archinard 1879- 1894, Société des Puplications Modernes, Paris, 1931, Tome 1, P 361.

(٣)- كمارى، موسى: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٤)- السروجي، محمد محمود: المرجع السابق، ص١٥٨.

(5)-Baratier : A travers l'Afrique, Modern_ Biblisoiheque, Paris, 1912, P 48.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب، فقد لجأ ساموري إلى أسلوب الترغيب لكي يشجع الناس على التفقه في الدين، حيث نظم المسابقات في تحفيظ القرآن وبعض العلوم الإسلامية وخصص جوائز للفائزين [١].

ومن ثم فقد كانت المكانة التي حظي بها الفقهاء والعلماء في ظل حكم ساموري، نتيجة طبيعية لأهمية الدين الإسلامي في الدولة أولاً، ولأهمية الرسالة التي يقومون بتأديتها ثانياً، لذا قام ساموري بتقريب علماء القادرية* وتكريمهم[٢]، على الرغم من أنه لم يثبت اعتناقه أي طريقة صوفية[٣]، كما قام بتعيين العالم كاراماكو صديق شيخاً للبلاط[٤]، وهذا الشيخ ينتمي إلى عائلة كورفا(Corfa)، التي تصنف من ضمن أهم العائلات العلمية العريقة في المنطقة، كما ضم بلاطه فضلاً عن ذلك العديد من العلماء، أمثال سانورو صديق (Sanoro Seddik) وأمارا كابا (Amara Kaba)وعمر بن محمد الفاضل [٥].

وقد أثمرت سياسة ساموري الدينية عن ازدهار الإسلام في عدد من المدن التي اعتبرت بحق إحدى أهم حواضر الإسلام في السودان الغربي في تلك الفترة، وأهم هذه المدن على الإطلاق كانكان، بيساندوغو، بانينكورو(Baninkoro) ، وكونيا [٦].

ومن البديهي أن يؤدي الاهتمام بالإسلام إلى الاهتمام باللغة العربية وثقافتها، فهي اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم، كما أن أداء شعائر الصلاة بلغة غير العربية تعد باطلة، لذا قام ساموري بفرض اللغة العربية كلغة للثقافة والكتابة على الرغم من محافظة الماندنغو على لغتهم المحكية [٧]، وذلك حتى يتعلم جميع أفراد الإمبراطورية العربية.

---

(١)- كمارى، موسى: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

*الطريقة القادرية: طريقة صوفية تعد أقرب الطرق إلى مذهب السنة والجماعة، أسسها عبد القادر الجيلاني(١٠٧٨-١١٦٦)، في بغداد خلال القرن الخامس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، ودخلت السودان الغربي في القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي، وهي أوسع الطرق الصوفية انتشاراً في المنطقة. قحام، بن شعبان، عمار، سلمى: المرجع السابق، ص ١٩- ٢٢.

(٢)- كمارى، موسى: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٣)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٦.

(٤)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٥٥.

(5)- La Chatelier, A : OP, cit, P 227.

(6)- La Chatelier, A : Ibid, P 238.

(7) - Manès, J : Ouvrages Reçus Par la Société, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux section centrale, Bulletin publie le comité de rédaction J. Gibelin rédacteur en chef, Imprimerie G. gounouilhou 11 rue guraude 11, Bordeaux, N0 2, 16 Janvier 1888, P 349.

أما عن التعليم فمن الملاحظ أن نظرة ساموري التوحيدية قد انعكست في هذا ميدان أيضاً، إذ أدرك ساموري أهمية وجود نظام تعليمي موحد، وقد طبق نظريته هذه ببنائه المدارس القرآنية في كافة أنحاء الإمبراطورية[١]، ونظراً لأن لغة الكتابة عند الماندنغو هي العربية، فإن التعليم في مدارسها يتم حتماً باستخدام اللغة العربية.

ولكي يرفع ساموري عدد التلاميذ اللذين يرتادون هذه المدارس، لجأ إلى تطبيق نظام التعليم الإلزامي، حيث فرض على رعاياه إرسال أطفالهم إلى المدارس بانتظام، ومن لم يرسل ابنه إلى المدرسة يعاقب بالسجن[٢]، وقد بلغ من اهتمامه بسير العملية التعليمية، بأن يستوثق بنفسه من أداء الطلاب في المدارس، فقد كان يعمد وبشكل غير متوقع إلى استدعاء تلميذ من بين التلاميذ حتى لوكان من أسرة تسكن في أقاصي الدولة، فيختبره بنفسه، وإذا تبين له جهل التلميذ وأنه لا يتابع دروس الشيخ، فإن ساموري في هذه الحالة يلقي باللوم على والديه ويعاقبهم بفرض غرامة كبيرة عليهما، أما أولاد ساموري نفسه فعليهم أن يقدموا أعمالهم يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع، فإذا كان تقديمهم غير مرضٍ فإن المسؤولية ذلك تقع على عاتق نسائه[٣].

وفي إطار حرصه على الجهاز التعليمي، قام ساموري بإرسال مفتشين إلى القرى، كانوا بمثابة جهاز تربوي، مهمته اختبار المستوى العلمي للمشايخ الذين يقومون بعملية التدريس، فإذا كان أدائهم جيداً فإن ساموري يوصي لهم بالمكافآت السخية، أما إذا ثبت تقصيرهم فإنهم يعاقبون بشدة [٤].

ومع ذلك، وعلى الرغم من الاهتمام الشديد، والرعاية العظيمة التي حظي بها التعليم، فقد قابل ساموري القليل من الأطفال الذين يتقنون العربية قراءة وكتابة، وبحسب رأي بيروز: ((إن هذه النتيجة غير المشجعة ترجع إلى عدم كفاءة الشيوخ أكثر من أن تكون راجعة إلى قلة ذكاء التلاميذ)) [٥].

مما سبق يظهر اهتمام ساموري الكبير بالثقافة والتعليم، ويرجع السبب الأكبر لحرص ساموري على توعية شعبه ونشر الثقافة بين العامة، انتماؤه إلى الطبقات الشعبية، وكان لذلك أثره في إثارة حماسته لجعل الكفاءة الشخصية والموهبة أساساً للتفاضل، ولذلك شجع على قيام المدارس القرآنية [٦]، كما ساهمت المدارس في تحقيق طموحه في نشر الإسلام، حيث أن المسنين من الوثنيين كانوا أقل اهتماماً بتعليم أولادهم بسبب تقدمهم بالسن، ولرغبتهم في عدم تفويت فرصة التعليم على

---

(١)- السروجي، محمد محمود: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(2) - Baratier : A travers l'Afrique, P 48.

(3) - Peroz, E : Au Soudan français, P 414, 415.

(٤)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٧٤.

(5)- Peroz, E : Au Soudan français, P 415.

(6)- Anderson, J: West Africa in the nineteenth and twentieth centuries, Heinemann Educational Book, London, 1972, P 70.

أبنائهم، قاموا بإرسالهم إلى هذه المدارس القرآنية [١].

وهكذا نلحظ بأن الحياة العلمية ضمن الإمبراطورية تتصف بالجمود، وعدم الاهتمام بتنمية الفكر الإبداعي، وذلك لحصر المنهج العلمي في إطار التعليم الديني والعلوم المساعدة، دون الاهتمام بغيرها من العلوم، وفي الواقع أن حماسة ساموري في نشر الثقافة الإسلامية، تعزى في المقام الأول إلى رغبته في زيادة التجانس بين أفراد شعبه وكسب محبتهم وبالتالي خضوعهم له، بما يخدم الأمن والسلام الداخلي، وما يدفع إلى اعتقاد ذلك ـ مع عدم التشكيك في إخلاص ساموري لعقيدته ـ اتباعه سياسة المحافظة على الوضع القائم في المناطق التي شكلت نواة دولته، حيث أبقى شعبها على الطريقة القادرية بل وشجع علمائها، على الرغم من عدم اعتناقه لها، وذلك من أجل تأمين خضوع الناس له، فضلاً عن أنه كان رجل حرب ودولة ولم يكن رجل دين، فلم يؤثر عنه مؤلفات دينية أو فتاوى، فإنجازاته في هذا المجال لم تتعدَ تفسير القرآن واتخاذه لقب إمام، فقد كان شغله الشاغل المعارك والحروب وزيادة رقعة الدولة، كما أن القارئ لسيرة ساموري الأولى يدرك حقيقة هذا الأمر ، فلم تكن حروبه دينية وإنما سياسية، بدليل أنه قام بالاستيلاء على مدن سكانها بالأصل من المسلمين مثل كانكان [٢]، كما أنه حصر توسعاته على المناطق التي تضم قبائل الماندنغو، لا مناطق الوثنيين بشكل عام، مما يدل على أنه حمل شعار الدين ونشره من أجل أن يمنح نفسه حقاً شرعيا يجيز له الاستمرار بتوسعاته في مدن الماندنغو الوثنية، وإخضاع شعوبها واسترقاقهم باسم الدين، خاصة إذا ما تذكرنا أن العبيد شكلوا إحدى الدعامات التي قام عليها اقتصاد الإمبراطورية.

---

(1) - Marty, P : OP, cit, P 96.

(2) - La Chatelier, A : OP. Cit, P 244.

الفصل الثاني: مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي في أعالي النيجر ١٨٨١-١٨٩٣:

أولاً- أسباب توسع فرنسا في السودان الغربي ١٨٧٩م:

يعود تاريخ احتكاك فرنسا بالمنطقة إلى القرن السابع عشر [١]، إلا أن نشاطها في تلك الفترة اقتصر على أجزاء صغيرة منها، عند مصب نهر السنغال، وذلك لانشغالها بمستعمراتها في القارة الأمريكية (كندا وجزر البحر الكاريبي) [٢]، إلا أنها غيرت من سياستها تلك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتبدأ بالتمدد داخل السودان الغربي [٣]، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- الأسباب السياسية والعسكرية: توالت هزائم فرنسا في أوروبا خلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وفقدت بنتيجتها إمبراطوريتها الاستعمارية في العالم الجديد، وفي الهند، فأخذت تفكر ببناء إمبراطورية جديدة[٤]، فما كان منها إلا أن اتجهت بأنظارها نحو أفريقيا حيث رأت فيها المجال المناسب لنشاطها الاستعماري[٥]، ثم جاءت هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام ١٨٧١م وفقدانها الألزاس واللورين[٦]، لتؤكد صحة هذه النظرية ، حيث صرح ليون غامبيتا(Leon Gambetta)* عن ضرورة قيام فرنسا بالتعويض عن كارثة الراين، عن طريق بناء مستعمرة كبيرة في أفريقيا، ومنذ ذلك الوقت أصبح التوسع الفرنسي في غرب أفريقيا من أهم الأهداف السياسية الفرنسية[٧].

وإذا كانت فرنسا قد وضعت يدها على تونس في العام ١٨٨١م، إلا أنها كانت تهدف من وراء ذلك إلى تأكيد سيطرتها على البحر المتوسط، وإظهار هيبتها في القسم الغربي منه، إلا أن احتلال الانكليز لمصر في العام التالي أخل بموازين القوى في القسم الشرقي من هذا البحر، فثارت ثائرة فرنسا، وصممت على ضرورة الاستمرار في سياستها التوسعية في القارة الأفريقية [٨]، دفاعاً عن هيبتها التي أُهدرت أمام الدول الأوروبية، ولتثبت أنها مازالت قوية وقادرة على التوسع وبناء إمبراطوريتها من جديد.

---

(١)- زهير، بن مبروك: المرجع السابق، ص٢١.

(٢)- قليجة، أحمد: مرجع سابق، ص٧٦.

(٣)- زهير، بن مبروك: المرجع السابق، ص٢١.

(٤)- رياض، زاهر: استعمار أفريقيا، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ص ١٥٣.

(٥)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٩.

(٦)- كردية، باري، سعيد، محمد: المرجع السابق، ص١٥٨.

*- ليون غامبيتا (١٨٣٨- ١٨٨٢): زعيم الحزب الجمهوري اليساري المتطرف منذ عام ١٨٧١، وفيما بعد رئيس حكومة فرنسا ١٨٨١-١٨٨٢. الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت، ج٤، ص٢٩٧.

(٧)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص٦٥.

(٨)- ذهني، إلهام: المرجع نفسه، ص٦٨.

ب ـ الأسباب الاقتصادية: مثل القرن التاسع عشر عصر الانقلاب الصناعي في أوروبا، الذي أثر بشكل كبير على حركة الاستعمار، حيث أوجدت الثورة الصناعية حوافز جديدة دفعت عجلة الاستعمار الأوروبي إلى إيجاد مستعمرات جديدة، فقد أصبحت الحاجة ماسة للمواد الأولية من جهة، وضرورة إيجاد أسواق جديدة لتصريف الفائض من الإنتاج من جهة أخرى، فوجدت الدول الصناعية في أفريقيا مجالاً حيوياً حيث تتوافر المواد الخام الزراعية والمعدنية، فضلاً عن أنها مجال مناسب لتشكيل سوق واسعة لتصريف الفائض من المنتجات [١].

أما بالنسبة لفرنسا بشكل خاص، فتأتي الأسباب الاقتصادية في مقدمة الدوافع التي دفعت بها إلى التوسع في السودان الغربي ،حيث كانت فرنسا كغيرها من الدول الأوروبية تعاني من نقص فادح في المواد الأولية ،خصوصاً بعد الهزيمة التي لحقت بها أمام ألمانيا وخسارتها الألزاس واللورين[٢]، ولعل أصدق تعبير عن هذ الوضع، مقولة الاقتصادي الفرنسي بول لوري(Paul Lory): **((اليوم التجارة والصناعة الفرنسية تعيشان معاناة كبيرة، فأصبحت الحاجة ماسة إلى إيجاد مجالات حيوية في المستقبل، وأن أسواق العالم القديم تغلق كل يوم أمام منتوجاتنا الطبيعية والصناعية، نستطيع القول أنه لم يبقَ في الكرة الأرضية إلا منطقتين تستطيع فرنسا استعمارهما: الهند الصينية وأفريقيا...، الجزائر تقع في بوابة عالم أفريقيا ،وتشكل قاعدة صلبة تسهل علينا القيام بعملية منظمة، وما علينا إلا مد أيدينا لبناء إمبراطوريتنا داخل أفريقيا والسودان))**[٣].

وفي هذا الصدد لا يمكن إغفال عوامل الجذب الاستعماري الموجودة على أرض السودان الغربي، والمتمثلة في ثرائه بالمواد الخام، وعدم فاعلية سكانه في ميدان الانتاج، لقسوة الظروف الطبيعية، وانتشار الأمراض الفتاكة، كلها عوامل ساعدت وشجعت الاتجاه الاستعماري للمنطقة [٤].

وكان مما أغرى فرنسا بالتوسع في السودان الغربي أيضاً، وسهل عليها ذلك، موقعه الاستراتيجي وقربه من أوروبا، حيث أتاح لها ذلك استغلال المواد الخام ونقلها إلى فرنسا عن طريق المواصلات البحرية، كما سهل عملية نشر القوات العسكرية بهدف زيادة نفوذها في المنطقة واحكام السيطرة عليها [٥]، فضلاً عن وجود قواعد لفرنسا في هذا القسم من القارة منذ القرن السابع عشر، وكذلك قربه من مستعمرة الجزائر التي اتخذتها فرنسا قاعدة لبناء إمبراطوريتها في المنطقة[٦].

وهكذا انطلقت فرنسا مدفوعة بعدة اعتبارات للتوغل داخل السودان الغربي، منطلقة عبر

---

(١)ـ الجمل، شوقي ـ إبراهيم، عبد الله: المرجع السابق، ص٥٧.

(٢)ـ محمد، قهاري: دور سكان منطقة أزجر والقهار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد: ٢٤، حزيران ـ ٢٠١٦، ص ٢٦.

(3) - Rollano, G : La France en Afrique et le transsaharien, Augustin Challamel Editeur Librairie Algérienne Et Coloniale 5 rue Jacob 5, Paris, 1890, P 10.

(٤)ـ زهير، بن مبروك: المرجع السابق، ص١٨.

(٥)ـ اسماعيل، حلمي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ٢٠٠٤، ص٤٢.

(٦)ـ نمير، عقيل: تاريخ الجزائر الحديث، تاريخ الجزائر الحديث، جامعة دمشق، ٢٠٠٧ـ ٢٠٠٨، ص ٢٨٢.

حوض نهر السنغال، عندما أرسل حاكم السنغال الفرنسي، القائد جوزيف جاليني (Joseph Gallieni)* إلى منطقة أعالي السنغال وأعالي النيجر عام ١٨٧٩، بمهمة التوسع وبناء قواعد في المنطقتين، حيث تبنت فرنسا مشروع يهدف لربط نهر السنغال بنهر النيجر[١]، إلا أن جاليني اصطدم بمقاومة إمبراطورية التكرور في أعالي السنغال، مما أعاق تقدمه، فلم يستطع مد النفوذ الفرنسي إلى أبعد من مدينة، ومن ثم تم تكليف العقيد بورغنيس ديسبورد(Borgnis-Desbords)*، بمهمة التوسع في المنطقة، خلال شتاء عام ١٨٨٠ـ ١٨٨١، وقد نجح في مد النفوذ الفرنسي على بقعة تقدر ب٢٠٠كم، بعد انتصاره على التكرور، وأنشأ حصنين ، أحدهما في بافولابي(Bafoulabe) والآخر في كيتا(Kita)[٢]، لتجد فرنسا نفسها بعد ذلك وجهاً لوجه أمام إمبراطورية الماندنغو[٣]، التي كانت تسعى هي الأخرى إلى مد نفوذها في النيجر، مما أدى إلى نشوب سلسلة طويلة من الحروب بينهما.

وقد مرت المواجهات بين الفرنسيين وإمبراطورية الماندنغو في منطقة أعالي النيجر بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى ١٨٨١ـ ١٨٨٣: وهي مرحلة الصدام الغير مباشر، حيث لم يكن أحد من الطرفين يرغب في قتال الطرف الآخر.

المرحلة الثانية ١٨٨٥ـ١٨٩١: وهي مرحلة بدء القتال وإعلان الحرب من كلا الطرفين، حيث كانت فرنسا تهدف إلى احكام نفوذها على الضفة اليسرى لنهر النيجر وإبعاد الماندنغو عن هذه المنطقة.

المرحلة الثالثة ١٨٩١ـ ١٨٩٣: وهي المرحلة التي أعلنت فيها فرنسا الحرب الشاملة على الإمبراطورية، وحشدت قواتها بهدف القضاء عليها وإزالتها من الخارطة.

ثانياً ـ المرحلة الأولى من القتال١٨٨١_١٨٨٣:

أ ـ بعثة ألكاماسا (Alkamassa) ١٨٨١:

---

*ـ جوزيف سيمون جاليني (١٨٤٩ـ ١٩١٦): ولد في ٢٤نيسان، في غارون هوت(Haute-Garonne) ، تخرج من مدرسة سانت سير(Sant Seer) ، العسكرية سنة ١٨٧٠ برتبة ملازم، أرسل إلى السنغال عام ١٨٧٦، حيث كلف بمهمة التوسع الفرنسي هناك.

Archives nationales : site de Paris, N^0 de notice L 1061067.

(١)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٠٤.

*ـ غوستاف بورغنيس ديسبورد (١٨٣٩ـ ١٩٠٠): ولد في بروفينس(Provins) ، ضابط في المدفعية البحرية، شارك في غزو الصين (١٨٦٨ـ ١٨٧١)، ومن ثم في غزو السودان الغربي (١٨٨٠ـ ١٨٨٣).

Archives nationales : site de Paris, N^0 de notice L 0747387.

(2) - Trefeu, E: Nos marins vice-amiraux contre-amiraux officiers généraux des troupes de la marine et des corps, Berger Levraut et Cie Libraires Editeurs 5 rue des Bocaux Arts5, Paris, 1888, P 620-621.

(٣)ـ باري، كردية، محمد، سعيد: المرجع السابق، ص ١٦٠.

تمثل بعثة ألكاماسا أول اتصال بين الفرنسيين وإمبراطورية الماندنغو، إذ لم يكن الفرنسيون اصطدموا بهذه الإمبراطورية من قبل، وذلك بسبب انشغالهم بقتال إمبراطورية التكرور [١]، إلا أنهم سمعوا عن أعمال حاكمها ساموري وعن حروبه [٢].

جاءت هذه البعثة إلى معسكر ساموري في شهر آب، بأمر من قائد حصن كيتا [٣]، تلبية لنداء باجوبا (Bagoba) حاكم كينيران(Keniera) ، وكان قد استنجد بالفرنسيين، لمساعدته في دفع قوات ساموري وابعاده عن المدينة [٤].

ولما كان أمر إرسال حملة عسكرية لنجدة كينيران، من صلاحيات قائد الحملة وليس من صلاحية قائد الحصن [٥]، فقد اكتفى مونسيغور(Monsegur) بتشجيع باجوبا على مقاومة الحصار، وفي نفس الوقت أرسل الملازم ألكاماسا_ وهو مسلم عمل في خدمة الجيش الفرنسي* _ إلى ساموري لإقناعه بفك الحصار وعقد صلح مع باجوبا [٦].

التقى ألكاماسا مع ساموري في معسكره في غالابا (Galaba) جنوبي كينيران، وفي البداية أحسن ساموري استقباله، إلا أن حديث ألكاماسا عن الوفاق والرأفة، أثار غضبه، وأراد قطع رأس ألكاماسا، إلا أنه لم يلبث أن عدل عن قراره، واستبدل الإعدام بالسجن مدى الحياة، ومن ثم تم تخفيف الحكم إلى السجن لمدة عشر سنوات، إلا أن ألكاماسا تمكن من الهرب والعودة إلى حصن كيتا[٧].

وهكذا كانت بعثة ألكاماسا وتعامل ساموري معه نذيراً بإشعال الحرب بين فرنسا والماندنغو، فقد أثبتت البعثة أن إمبراطورية الماندنغو عدوة لفرنسا، وأنها ستواجه أثناء زحفها داخل السودان الغربي ،عدواً يصعب مراسه، إلا أن هذه البعثة لم تكن كافية للوقوف على المقدرة العسكرية للإمبراطورية، فالملازم ألكاماسا لم يدخل أراضي الإمبراطورية ،وإنما التقى بملكها في معسكره

---

(١)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص١٤٧.

(2) - Prost, D : OP, cit, P 15.

(3) - Prost, D : Ibid, P 15.

(٤)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص١٤٧.

(5) - Sarzeau, J : Les Français aux colonies Sénégal et Soudan français Dahomey Madagascar Tunisie, Bloud & Barral Libraires Editeurs 4 rue Madame et rue de Rennes 59, Paris, P38.

*- التحق السكان الأصليون بخدمة الجيش الفرنسي، بموجب المرسوم الذي صدر عام ١٨٥٧ من قبل حاكم السودان الفرنسي، الذي نص على تشكيل فرقة من السود تحت مسمى الرماة السنغاليين، وذلك لسد النقص الكبير الذي كان يعاني منه الجيش الفرنسي.

Bouteiller, J: De Saint-Louis a Sierra-Leone Huit ans de navigation dans les rivières du sud, Augustin Challamel Editeur Librairie Coloniale 5, rue Jacob et rue Fürstenberg, 2 Paris, 1891, P 8, 9.

(٦)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٤٧.

(7)- Pietri: OP, cit, P 281.

بالقرب من كينيران، لذا يمكن القول أن بعثة ألكاماسا انتهت بالفشل الذريع، إذ لم تحقق الهدف الذي أرسلت من أجله وهو إبعاد الماندنغو عن المدينة بالطرق السلمية كما أنها لم تجلب لفرنسا أي معلومات عن عدوها المستقبلي ألا وهو إمبراطورية الماندنغو وحاكمها ساموري.

ب ـ حملة بورغنيس ديسبورد ١٨٨٢:

وصل ألكاماسا إلى كيتا، وأخذ ينتظر قدوم قائد الحملة العقيد ديسبورد، الذي وصلها في كانون الثاني١٨٨٢(١)، وهناك قص عليه ألكاماسا تفاصيل رحلته، وإهانة ساموري له(٢)، فغضب ديسبورد غضبا شديداً، واعتبر إهانة ألكاماسا إهانة لشرف فرنسا(٣)، لذا قرر تأديب ساموري عن طريق تحقيق نصر فرنسي عند كينيران.

أعد ديسبورد حملته المكونة من ٢٠٠ مقاتل(٤)، وانطلق من حصن كيتا في ١٦ شباط(٥)، واتجه جنوباً نحو كينيران، دون أن يكون لديه أية معلومات عن جيش ساموري ولا عن وضع المقاومة في كينيران(٦)، وبيمنا كان يسير باتجاه المدينة، كان ساموري يضيق الخناق عليها إلى أن سقطت بيده في ٢٢ شباط(٧)، بعد حصار دام ستة شهور(٨)، فدخلها وأخذ يبث الرعب فيها، حيث نفذ حكم الاعدام بالكثير من وجهائها بعد أن وجهت إليهم تهمة الخيانة(٩)، كما أرسل جنوداً من قواته ليقتفوا أثر من لاذ بالفرار(١٠).

وكان ديسبورد حينها قد تمكن من عبور نهر النيجر إلى الضفة اليمنى، وعند قرية كاديالا (Gadilla)على بعد ٤٦كم من كينيران(١١)، تمكن الفرنسيون من رصد تحركات جنديين من الماندنغو أثناء مطاردتهم للسكان الفارين، ونجحوا في إلقاء القبض على أحدهم بينما تمكن الآخر من

---

(١)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص١٤٨.

(2)- Pietri: OP, cit, P 284.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٥٦.

(4) - Prost, D : OP, cit, P 16.

(٥)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص١٤٨.

(6) - Prost, D : OP, cit, P 16.

(٧)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص١٤٨.

(8) - Faidherbe, L : Le Sénégal La France dans L'Afrique occidentale, Librairie Hachette et Cie 79 Boulevard Saint Germain 79, Paris, 1889, P 321.

(٩)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٥٦.

(10)- Prost, D: OP, cit, P 17.

(11) - Annales Sénégalaises De 1854 – 1885, suivies des traites passes avec les indigènes, Maisonneuve Frères Et CH Leclerc, 25, Quai Voltaire, 25, Paris, 1885, P 371, 372.

الفرار، ليعود إلى معسكر سيده ويخبره بأمر الحملة الفرنسية [١].

ولدى استجواب الفرنسيين للجندي الأسير، اعترف لهم بما حدث لكينيران، إلا أن ذلك لم يثن ديسبورد عن عزمه [٢]، وبعد إصدار الأوامر بإعدام مقاتل الماندنغو [٣]، استأنف ديسبورد سيره وسرعان ما وصل إلى كينيران في ٢٦ شباط [٤]، ليجدها مدمرة ومهجورة منذ خمسة أيام خلت.

ولما كان الهدف الحقيقي للحملة هو الانتقام لكرامة فرنسا، فإن سقوط كينيران لم يكن يعني هزيمة فرنسا، ولا نهاية حرب ديسبورد التي لم تكن قد بدأت بعد، وخصوصاً أن قوات الماندنغو لم تكن قد غادرت المكان، إذ وجد ديسبورد لدى وصوله، أن الماندنغو قد أحاطوا المدينة بأربع معسكرات متوضعة على شكل مستطيل كبير [٥]، مما دفعه إلى أن يعسكر مع جيشه بالقرب من النهر في مكان يفصله عن كينيران حوالي أربع كيلومترات [٦].

كان ساموري على علم بقدوم الفرنسيين، ولم يكن ذلك يخيفه، فقد ألقى بجنوده خطاباً عنيفاً أعلن فيه عن عزمه على مقاومة الفرنسيين، وأنه سيقطع رأس قائدهم، ويجعل من جنودهم خدماً لنسائه[٧]، وبالفعل لم يدخر ساموري الوقت، فبمجرد وصول الفرنسيين بالقرب من كينيران بدأ على الفور هجومه ،حيث أرسل مجموعة من قواته لقتالهم في معسكرهم، عندها قام ديسبورد بحركة سريعة ونظم قواته من مشاة وخيالة على شكل مربع ليصد هجوم الماندنغو، الذين كانوا يتقدمون بسرعة نحو جموع الفرنسيين ،فتصدى لهم المدافعون من الجيش الفرنسي بنيران كثيفة فرقتهم وشتت جيشهم، فتراجع الماندنغو بسرعة وهربوا نحو كينيران[٨].

أدرك ديسبورد أنه يواجه خصماً عنيداً، لا يتوانى عن اغتنام أي فرصة للانقضاض على عدوه، لذا قرر أن يأخذ زمام المبادرة في هذه الجولة، ليبدأ الهجوم على معسكرات الماندنغو، وبعد قتال قصير، قام ساموري بالانسحاب مع جميع قواته [٩]، واضعاً بذلك نهاية المواجهة مع الفرنسيين.

اكتفى القائد الفرنسي بالنصر الذي حققه عند كينيران، ولم يقم بمطاردة جيش الماندنغو إذ لم

---

(1) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 Discours et allocutions prononcés a Dakar Bamako Ségou, Gouvernement général de L'Afrique occidentale Française, Gorée, 1934, P 47.

(2) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933, Ibid, P 47.

(3)- Pietri: OP, cit, P 295.

(٤)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٤٨.

(5) - Prost, D: OP,cit, P 17.

(6) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 : OP, cit, P 47.

(7) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 : Ibid, P 47.

(8) - Sarzeau, J : OP, cit, P 40, 41.

(9) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Op, cit, P 373.

يجد جدوى من ذلك، بسبب قلة عدد أفراد الحملة الذين أنهكهم التعب، ونقص الذخائر والمؤن [١]، وتعذر وصول الامتدادات إذ أصبح بتقدمه معزولاً عن قواعده [٢]، لذا أمر جنوده بالانسحاب إلى ساحل النيجر في ٢٧ شباط، فأرسل ساموري أخاه فابو(Fabou) على رأس عدد من القوات، في أثرهم، فأدركوا الجيش الفرنسي أثناء عبورهم إلى الضفة اليسرى للنهر، وبادروهم بعدة طلقات نارية[٣].

ومن ثم جدد فابو هجومه على الفرنسيين بالقرب من نهر كوبا(Koba)، حيث دارت معركة قصيرة بين الطرفين في ٢ آذار، أصيب فيها قائد الفرسان الضابط دي ميلفيل(De Melville) ، وبعدما تم النصر لجيش الماندنغو، عادوا أدراجهم سالكين الطريق الشمالي الشرقي، بينما واصلت الحملة سيرها إلى أن استقرت في كيتا في ١١ آذار [٤].

كانت المعركة التي خاضها جيش الماندنغو مع القوات الفرنسية بقيادة ديسبورد، المعركة الأولى التي يخوضها ضد قوة خارجية مزودة بالأسلحة الحديثة، كما لم يكن في الحسبان أثناء حصارهم لكينيران بأنهم سيقاتلوا جيشاً آخر، كما أن بعثة الملازم ألكاماسا جاءت بقصد إحلال السلام بين الأطراف المتنازعة، ولم تكن تحمل أي معنى للتهديد، لهذا لم يكن جيش الماندنغو معداً لقتال الفرنسيين.

ومن جهة أخرى كان بإمكان ساموري عند سماعه خبر قدوم الفرنسيين، أن يأمر جيشه بالانسحاب والعودة إلى ثكناتهم، إلا أن كثرة أعداد مقاتليه وانتصاراتهم المتلاحقة، أعطته المزيد من الثقة، ففضل المواجهة.

ولما لم يكن بمقدور ساموري معرفة مدى قوة عدوه، ولا نوعية عتاده الحربي، لذلك تحولت الثقة الكبيرة بالنصر إلى شلل تام منذ بداية الصدام، عندها آثر الانسحاب على ألا يخوض حرباً ستكلفه الكثير من الأرواح، إلا أن انسحابه لم يكن يعني استسلامه، وإنما جاء قراره هذا من أجل إعادة النظر في الوضع الجديد الذي نتج عن التدخل الفرنسي على الساحة، ولإعادة ترتيب خططته الاستراتيجية التي تكفل له النصر على عدوه، ولما كان ساموري يمتلك خبرة عسكرية كبيرة، فقد كانت المعركة التي خاضها مع قوات ديسبورد كافية لمعرفة مكامن قوة الفرنسيين ومكامن ضعفهم، فتوصل إلى أن الوسيلة الأنسب لقتالهم، هي حرب العصابات، من خلال عمليات الكر والفر، والقتال عن بعد، ومن ثم طبق نظريته هذه في الميدان، وبالفعل نجح في إحراز النصر على الفرنسيين، مما جدد ثقته بنفسه، وبقدرة جيشه على مواصلة القتال، إذ لم يكن ساموري يألف الاستسلام أو الهزيمة قط.

أما بالنسبة لفرنسا، فقد عرفت من خلال بعثة ألكاماسا وحملة ديسبورد أن ساموري يمثل

---

(1) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, OP, cit, P 374.

(٣)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص٦٥٦.

(3) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Op, cit, P 374.

(4) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Ibid, P 375.

خطراً على المشاريع الفرنسية في المنطقة، كما عرفت فيه قائداً يصعب مراسه كما يصعب استمالته، لذا كان على فرنسا أن تعيد النظر في خططها المقبلة، لتضع في حساباتها، إمبراطورية الماندنغو، وطموح ملكها ومشاريعه التوسعية، مما يجعل من هذه الإمبراطورية نداً لا يستهان به أمام المشاريع الفرنسية.

ج ـ الزحف والامتداد نحو باماكو ١٨٨٣:

عدت مدينة باماكو واحدة من أهم مدن أعالي النيجر خلال القرن التاسع عشر، إذ صنفت ضمن أكبر المدن التجارية في السودان الغربي [١]، فضلاً عن كونها منطقة زراعية خصبة، نظراً لموقعها الهام في قلب المنطقة الزراعية الغنية بالقرب من رأس السهل الداخلي لدلتا النيجر [٢].

كانت باماكو خاضعة لسلطة إمبراطورية التكرور، بعدما قام الحاج عمر بضمها إلى ملكه، خلال سلسلة الحملات التي شنها في منطقة أعالي النيجر، ما بين عامي ١٨٥٩ـ ١٨٦٢، وبعد وفاته (١٨٦٤)، خلفه ابنه أحمد [٣]، وفي عهده دب الضعف الشديد في الإمبراطورية بسبب النزاعات التي نشبت بين أفراد عائلته حول العرش [٤]، مما أضعف قبضة الإمبراطورية على المناطق الواقعة تحت سيطرتها، مما جعلها محط أطماع كل من الفرنسيين وإمبراطورية الماندنغو على السواء.

ولما لم يكن ديسبورد راضياً عن توقف مسيرة الجيش الفرنسي عند كيتا، قام بجمع قادة جيشه في ٥ تشرين الثاني، ليخبرهم بعزمه على غزو النيجر، قائلاً لهم جملته المشهورة: **(لسنا في السودان للتحدث بل للعمل، علينا أن نذهب إلى النيجر ونسيطر عليه)**[٥]، فكان ذلك بداية التحول في الإستراتيجية العسكرية الفرنسية، وكانت الخطوة الأولى في تنفيذ هذا المشروع: احتلال مدينة باماكو، ذلك لأنها أقرب نقطة إلى النيجر بالنسبة لكيتا، فموقعها هذا جعل منها القاعدة الأنسب للتوسع والسيطرة على النهر الكبير، كما أن الفرنسيين أرادوا أن يجعلوا منها أول ميناء تجاري لهم على النيجر[٦].

كان ساموري أثناء ذلك يحاصر مدينة نياغاسولا(Nigassola) على الضفة اليسرى للنيجر، فقد كان يخطط للثأر من هزيمته أمام فرنسا، بضربهم في كيتا وطردهم منها، فأخذ يشق طريقه على الضفة اليسرى لليجر، وكان قد وصل في توسعاته إلى كنجابا (Kangaba)، مهدداً بذلك نياغاسولا

---

(1)- Ancelle, J : Les Français Au Sénégal Notice Historique (1346-1883), Revue de de géographie, dirigée par M, Ludovic Drapeyron, septième année, Tome XIII, Juillet-Decembre 1883, Institute géographique, 15 rue Soufflot 15, à Paris, P 113.

(٢)ـ مجموعة مؤلفين: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي إقليم الصحراء الكبرى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ـ السعودية، ١٩٩٩، المجلد ١١، ص٤٨٧.

(٣)ـ ذهني إلهام: جهاد الممالك الإسلامية....، ص ٤٩ـ ٥٠

(٤)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٤٥

(5) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 : OP, cit, P 18.

(6) - Pietri : OP, cit, P 391.

فأرسل حاكمها إلى الفرنسيين في كيتا مستنجداً بهم، إلا أنهم لم ينجدوه وإنما اكتفوا بتشجيعه [١].

عندها شعر ديسبورد باقتراب خطر ساموري، فرأى ضرورة الإسراع في احتلال باماكو، ونظراً لأن حملته على كينيران لم تؤدي غرضها في تأديب ساموري، فقد أراد أن يستغل حملته هذه في تلقينه درساً قاسياً، واحتلال باماكو في الوقت نفسه، فقرر أن يسلك في مسيرته نحو باماكو الطريق الأطول، الذي يمر بنافادييه(Nafadie) ونياغاسولا، لضرب قوات ساموري هناك، إلا أن الجنود الأوروبيين كانوا قد عانوا كثيراً من آثار قسوة المناخ، اعترضوا على هذا القرار، فاضطر ديسبورد إزاء ذلك أن يعدل عن قراره، بأن يسلك الطريق الأقصر، الذي يمر عبر فولادوغو(Fouladougou) وبيلدوغو(Beledougou)[٢].

وهكذا غادرت الحملة الفرنسية المكونة من٥٤٢مقاتل [٣]، حصن كيتا في ٧ كانون الثاني، وعبرت فولادوغو ومن ثم بيلدوغو، وبعد نجاحها في توطيد نفوذها في هذه المناطق، تابعت سيرها إلى أن وصلت إلى باماكو في الأول من شباط، وسط ترحيب سكانها [٤]، وعلى رأسهم زعيم المدينة تيتي(Titi) [٥].

أما بالنسبة للسلطان أحمد حاكم التكرور، فلم يبد أي محاولة لصد الفرنسيين ومنعهم من دخول باماكو، كما أنه لم يقم بأي مبادرة لاسترجاعها، فقد اكتفى بحصارهم اقتصادياً بإغلاق طرق النيجر التجارية بين باماكو وسيجو، لمنع الفرنسيين من تموين حملتهم، مما اضطرهم إلى الاعتماد على ثروات المدينة ومؤنها [٦].

وهكذا لم تواجه الحملة أي عراقيل أثناء دخولها باماكو، وعلى الفور شرع الفرنسيون في بناء الحصن، وتم اختيار موضعه غربي المدينة في منطقة تبعد عنها بنحو ٥٠٠ متر، حيث وضع ديسبورد حجر الأساس في الخامس من شباط ١٨٨٣ [٧].

وفي تلك الأثناء كان ساموري يعد العدة لمهاجمة نياغاسولا، إلا أنه تراجع عن ذلك، وقام بتغيير خطته، ووجه جهوده نحو الشمال الشرقي، على طول النيجر باتجاه باماكو [٨]، وقد جاءت هذه الانعطافة الكبيرة في خطة ساموري، بتحريض من الأخوة توري - (كاراموكو Karamoko،

---

(1)- Pietri: OP, cit , P 361, 362.

(2)- Demaffey, A: OP, cit, P 249, 250.

(3) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, OP, cit, P 376.

(4) - Demaffey, A: OP, cit, P 250.

(5) - Pietri : OP, cit, P 396.

(6) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 : OP, cit, P 48.

(7)- Ancelle, J : OP, cit, P 113.

(8)- Pietri: OP, cit, P 362.

تيكورو Tiekoro وصديقورو Sidikoro) -[١]، وهم من كبار تجار باماكو المنتمين إلى قبائل الديولا [٢]، وكانوا قبل ذلك قد جاهروا بولائهم للفرنسين [٣]، إلا أنهم في الخفاء أرسلوا مبعوثيهم محملين بالهدايا إلى ساموري، يستنجدون به، مؤكدين له صداقتهم، وليس ذلك فحسب، بل أرسلوا أولادهم وعبيدهم للقتال في صفوف جيش ساموري وأقنعوه بأن النصر الذي سيحققه في باماكو، أكبر بكثير من النصر الذي سيحققه في كيتا [٤].

كان تيتي زعيم باماكو على علم بما يفعله الإخوة توري، وخوفاً على مكانته التي سيخسرها تحت حكم ساموري، قام بإخبار ديسبورد بأمرهم، عندها قام ديسبورد باستدعائهم للتحقيق معهم، فأقسموا له بأن ما وصله من معلومات عار عن الصحة، مؤكدين له أن قوات الماندنغو لا تنوي الهجوم على باماكو [٥]، فتركهم ديسبورد وشأنهم.

بالتأكيد لم يكن لجوء الإخوة توري إلى ساموري، بدافع الخوف على مدينتهم من المحتل الفرنسي، وإنما بدافع حصولهم على مركز الصدارة في المدينة، بإبعاد طبقة الزعماء المحليين من النياري، الموالين للفرنسيين [٦].

وهكذا، وبناءً على تشجيع الإخوة توري، أخذ ساموري يعد حملة تعدادها ثلاثة آلاف مقاتل، وجهز نفسه وجيشه للزحف إلى باماكو [٧]، إلا أن اندلاع عدة تمردات ضده في المناطق الجنوبية من إمبراطوريته، حال دون قيادته للحملة، فجعل أخاه فابو قائداً عليها، في حين عاد ساموري أدراجه إلى الجنوب ليقمع التمردات التي نشبت فيه [٨].

خرج فابو في أواخر آذار[٩] على رأس جيشه الكبير، وسار ببطء شديد، إذ كان يخشى هجوماً مباغتاً من قوات ديسبورد، إلا أن الإخوة توري أخبروه بأن الفرنسيين قد عسكروا بالقرب من باماكو ولا يرغبون في الخروج منها، عندها استأنف فابو سيره، مستولياً على جميع قرى قبائل الماندنغو الحدودية، مؤمناً بذلك طرق إمدادات الحملة، فلما أتم استعداداته، أعلن بأن الأوان قد حان

---

(1)- Pietri: OP, cit, P 399.

(٢)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ٦٥٧.

(3) - Pietri : OP, cit, P 399.

(4) - Pietri : Ibid, P 396.

(5)- Pietri: Ibid, P 406.

(٦)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٥٧.

*- تقع كونغ شمال شرقي ساحل العاج.

Le Chalelier, A : OP, cit, P 248.

(7) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 : OP, cit, P 48.

(8)- Pietri: OP, cit, P 362.

(9)- Annales Sénégalaises De 1854- 1885, OP, cit, P 383.

لقتال الفرنسيين وجهاً لوجه.

وفي تلك الأثناء تلقى فابو نصيحة من نجولو تراوير (Nagolo Traouer) أحد وجهاء بيلدوغو، يدعوه فيها إلى إرسال حملة، لقطع طريق الامتدادات بين كيتا وباماكو، عبر بيلدوغو، واعداً إياه بجمع الأنصار في بيلدوغو والقرى المجاورة لها (دوسيماساسDosemasas، غينيا (Guinina)، وديياكوDiako)، وكانت جهوده هذه، على أمل بأن يتولى زعامة القرية في حال سيطرة الماندنغو على المنطقة[١].

وجد فابو في اقتراح نجولو فرصة لإرباك الفرنسيين عن طريق قطع خطوط الامتدادات والاتصالات بين باماكو وكيتا، وكذلك تشتيت الفرنسيين من خلال قتالهم على جبهتين، ففي الوقت الذي يحارب فيه جزء من قواته في بيلدوغو، يقوم بنفسه بشن الهجوم على باماكو.

وفي انتظار الرد من نجولو، قام فابو بترك مفرزة في كسابا(Kassaba)، بالقرب من ممر سيبي(Sibi)*، مكونة من خمسين فارساً، ومائتين من المشاة، بقيادة مساعده فاسينا(Fassina)، في حين تابع فابو تقدمه، وبينما كان في مخيمه مع جنوده على بعد ٤٠كم من باماكو، جاءه الرد من نجولو، يعلمه فيه بنجاح مهمته، وأن البلاد نهضت بأكملها ضد الفرنسيين، وأن سكانها هاجموا حامية غينيا المسؤولة عن حماية خط الإمداد في بيلدوغو، وأصبح بإمكان فابو إرسال مفرزة إلى المنطقة، وبناءً على ذلك أصدر فابو أمره لفاسينا بتجميع جنوده والتوجه نحو قرى بيلدوغو[٢].

علم ديسبورد بما حصل لحامية غينيا، من خلال الرسالة التي أرسلها قائدها إليه، والذي أبلغه فيها بالوضع الحرج الذي كانت تعاني منه الحامية، طالباً منه إرسال نجدة على جناح السرعة، وعلى الفور جهز ديسبورد حملة مكونة من ٨٠ رجلاً، ستون منهم من البمبارا، وجعل على قيادتهم الملازم بيتري(Pietri) ، وأمرهم بالتوجه إلى غينيا لنجدة الحامية[٣].

غادرت الحملة باماكو في ٣١آذار، ووصلت في اليوم التالي إلى غينيا، فلم تجد أثراً لقوات الماندنغو، فسار الفرنسيون إلى معسكرهم في كسابا ليجدوه خالياً من أي جندي، ذلك أن فاسينا كان قد غادره مع جميع قواته في الأول من نيسان، متجهاً نحو لواء التلغراف المتمركز بين دياكو وباماكو، حيث كان قائد لواء التلغراف يشرف على نصب أعمدة بمساعدة سكان المنطقة، تحت حراسة مجموعة من قبائل الولوف بقيادة ماديبا (Madeba)، كما كان الكابتن بونييه (Bonnier) يقوم بعملية المسح في ديو(Dio)، ولم يكن معه سوى اثنين وثلاثين حارساً [٤].

---

(1)- Pietri: OP, cit, P 363.

*- تقع سيبي جنوب باماكو على بعد ٤٠كم.

Ancelle, J : OP, cit, P 115.

(2) - Pietri : OP, cit, P 364.

(3) - Pietri : Ibid, P 367.

(4)- Pietri: Ibid, P 369.

بدأت العمليات ضد لواء التلغراف في الثالث من نيسان، حيث أرسل فاسينا فيصلين، واحد مكلف بمهاجمة لواء التلغراف، والآخر لمراقبة ضباط بعثة الطبوغرافيا، وقد أصدر فاسينا أوامره بعدم مهاجمة البعثة.

ولدى هجوم الماندنغو على لواء التلغراف، قامت جماعات الفولاني بالتصدي لهم ونجحوا في رد الهجوم، فكانت النتيجة انسحاب الماندنغو من ساحة القتال، بعد وقوع جرحين في صفوفهم، وعادوا أدراجهم إلى دوابوغو (Douabougou)[١] إلى أن وصلوا إلى نهر بوادنكو(Bouadnko) حيث خيموا هناك.

في تلك الأثناء كانت الحملة الفرنسية بقيادة بيتري قد وصلت دوابوغو(Douabougou) صبيحة الخامس من نيسان، وهناك عرفوا من السكان بأمر معسكر الماندنغو في بوادنكو، فلم يدخر بيتري الوقت، وقرر مهاجمة معسكر الماندنغو في نفس اليوم، لكي يسبق جنوده خبر وصولهم إلى الماندنغو، مما يحرمهم فرصة تجميع صفوفهم، وكان له ذلك، فعندما رأى الماندنغو جموع الفرنسيين والبمبارا، أصيبوا بالذعر الشديد، ومع ذلك لم يفروا من أمامهم، واشتبكوا معهم في معركة حامية، استغرقت نصف ساعة هزم فيها الماندنغو، وكانت النتيجة سقوط ٢٥ قتيل من قواتهم، ووقوع خمسة عشر مقاتل في الأسر[٢]، وانسحب فاسينا على أثرها باتجاه سيبي، في حين ذهبت مجموعة من البمبارا في أثرهم، ولم تنته المطاردة إلا بحلول الليل، دون أن يحصدوا ثمارها، بل على العكس فقد البمبارا ثلاثة من جنودهم، سقطوا في كمين أعده الماندنغو، وهكذا عاد البمبارا إلى معسكر الفرنسيين، في حين اتخذ فاسينا طريقه إلى باماكو ليلتحق بمعسكر سيده فابو[٣].

أما بالنسبة لفابو، ففي الوقت الذي أصدر أوامره لفاسينا بالذهاب إلى بيلدوغو، قام بالإسراع إلى باماكو ووصل في الأول من نيسان إلى نهر أوياكو(Oueyako) على بعد ستة أمتار من باماكو، حيث عسكر مع قواته واراء النهر[٤]، عندها تيقن ديسبورد من تواطئ الإخوة توري مع الماندنغو، واشتراكهم في المؤامرة ضد الفرنسيين، فأمر بإلقاء القبض عليهم، وإعدامهم رمياً بالرصاص، وفي الوقت نفسه أرسل حملة استطلاعية مكونة من ١٤ جندي، لتفقد أحوال جيش الماندنغو، ونجحت هذه الحملة في مهمتها، وعادت إلى باماكو دون أن تصاب بأذى، عندها قرر ديسبورد أن يخرج بنفسه على رأس جيش لطرد قوات الماندنغو من المنطقة بدلاً من انتظار هجومهم [٥].

في الواقع كان وضع الحملة الفرنسية في باماكو قبل مجيء الماندنغو سيئاً للغاية، فقد أنهك الجنود الفرنسيون بفعل تفشي الحمى الصفراء، وارتفاع الحرارة، فضلاً عن السير المتواصل، حتى أنهم معظمهم فقدوا القدرة على القتال، ففي نهاية آذار لم يكن هناك سوا ١٥٠ جندي فرنسي،

---

(1) - Pietri : OP, cit, P 370.

(2) - Nicolas, V: Le livre d’or de l’infanterie de la marine, La primeriez et Librairie Militaires 11 Place Saint Andre des Arts, Paris, 1891, P 282.

(3) - Nicolas, V: Ibid, P 282.

(4) - Sarzeau, J : OP, cit, P 45.

(5) - Pietri : OP, cit, P 407.

و٢٠٠ جندي سوداني يستطيعون خوض المعارك[١]، ومع ذلك لم يأبه ديسبورد لهذه الصعوبات، وجمع حملته المكونة من٢٤٢ مقاتل، وخرج في الثاني من نيسان، للقاء جيش الماندنغو المكون من ثلاثة آلاف مقاتل[٢].

وكان الماندنغو قد أحسنوا دفاعاتهم، فقد احتلوا موقعاً استراتيجياً حصيناً جداً خلف نهر أوياكو، متخذين من ضفافه المتعرجة خط دفاع يحميهم من هجمات الفرنسيين، فقد شكلت النباتات الكثيفة المحيطة به خندقاً طبيعياً، من أفضل الخنادق التي يمكن الاختباء وراءها[٣].

بدأت المعركة عند الساعة التاسعة صباحاً، حيث بادر فورنييه(Fournier) قائد فرقة السودانيين باطلاق النيران على الماندنغو، فلما صدت قوات الماندنغو الهجوم قام مشاتهم بالهجوم على الجبهتين اليمنى واليسرى للجيش الفرنسي، فقام رجال المشاة البحرية وعمال المدفعية بصد هذا الهجوم، وقد استهلك الفرنسيون الكثير من الطلقات، ذلك لأن جيش الماندنغو كان كبيراً وعنيداً[٤].

ونظراً للموقع الاستراتيجي لجيش الماندنغو وضخامة عدده، فضلاً عن قلة عدد الجيش الفرنسي، كل ذلك شكل دافعاً للماندنغو للاستمرار في هجومهم العنيف على الفرنسيين، الذي ما لبث أن تركز على الجبهة اليسارية، عندها قام ديسبورد بتغيير سريع في ترتيب صفوف جيشه، وأمر جنوده بالتجمع على الجناح الأيسر، حيث كان هجوم الماندنغو على أشده هناك، وأخيراً وبعد جهود مضنية نجح الفرنسيون في دفع قوات الماندنغو، وإجبارهم على التراجع إلى وراء النهر[٥].

اكتفى ديسبورد بما حققته الحملة، وقرر الانسحاب والعودة إلى باماكو، فقد انتصفت الظهيرة، والحرارة مرتفعة جداً، مما أصاب الجنود الفرنسيين بالإرهاق[٦]، كما أن الطبيب البيطري الذي حل محل الطبيب الوحيد ـ فقد منعه المرض من الخروج مع الحملةـ لم يعد قادراً على علاج الجرحى بمفرده، لهذا كله أمر ديسبورد جنوده بالانسحاب، وكان قد اطمئن على وضع جيش الماندنغو، وأنه لم يعد يجرؤ على مغادرة حصونه، وللمزيد من الحماية، أمر ديسبورد جنود المؤخرة بحماية الجيش أثناء تنفيذ عملية الانسحاب[٧].

فلما رأى الماندنغو الجيش الفرنسي يخلي ساحة المعركة، سارعوا إلى مغادرة مواقعهم، وباغتوا الجيش الفرنسي بهجوم خاطف، ولما لم يكن بمقدور الفرنسيين التوقف للقتال، فقد اكتفوا

---

(1) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 : OP, cit, P 48.

(2) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Op, cit, P 385.

(3) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Ibid, P 385.

(4) - Pietri : OP, cit, P 408.

(5) - Sarzeau, J : OP, cit, P 46.

(6)- Nicolas, V: OP, cit, P 281.

(7) - Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 : OP, cit, P 48.

بالدفاع، كما أسرعوا خطاهم إلى أن وصلوا إلى باماكو خلال ساعة ونصف [١].

اعتبر الماندنغو انسحاب الفرنسيين نصراً لهم، مما زاد من عزمهم على مواصلة القتال حتى يتم لهم طرد الفرنسيين من باماكو، فقاموا بترسيخ قواعدهم عند أوياكو، وحصنوا الضفاف بالحواجز والجدران الحجرية، وفي تلك الأثناء وصل فاسينا إلى معسكر أوياكو، والتحق مع قواته بجيش الماندنغو، واضعاً بين يدي سيده أحد الأسرى الثلاثة ويدعى جاريوت (Griot)، وكان فاسينا قد أجهز على الأسيرين الآخرين.

سر فابو بوجود رهينة من رهائن الجيش الفرنسي لديه، ورأى بأن يستغل ذلك للقيام بحرب نفسية، فقام بقطع يد جاريوت اليمنى، وحمله إياها، وأرسله إلى ديسبورد بعد أن حمله رسالة ينذره فيها بأنه لا فائدة من وقوفه في وجه جيوش الماندنغو، فالخير له بأن يسحب قواته ويرحل عن باماكو.

ابتلع ديسبورد هذه الإهانة، وبقيت قواته في مخبئها خلف جدران الحصن، في الوقت الذي كان فيه الماندنغو يصولون ويجولون في المنطقة ويطلقون النيران المتفرقة لإخافة الفرنسيين، بينما أصدر ديسبورد أوامره بعدم إطلاق النار عليهم[٢]، إذ لم يكن يرغب في البدء بحرب لا طائل منها، بل وستؤدي إلى مزيد من الخسائر في العتاد الحربي، ذلك بسبب الوضع الحرج الناتج عن قطع الماندنغو لخطوط الإمداد مع كيتا، فضلاً عن إغلاق السلطان أحمد منافذ النيجر، مما أدى إلى محاصرة الحملة في باماكو، لذا فضل التريث حتى يعود بيتري، عندها سيقوم بتعبئة كامل صفوفه، ليبدأ هجومه الكاسح الذي سيقضي على تواجد الماندنغو في المنطقة. (رأي الباحث)

أما عن سبب تأخر بيتري بالقدوم إلى باماكو، فهو انشغاله بحملة التطهير التي كان يقوم بها في بيلدوغو، حيث أحرق القرى التي ساندت فاسينا، وأعدم المتواطئين معه، وكان من بين من أعدهم حاكم بيلدوغو، في حين تمكن نجولو من الهرب، ومن ثم أخذت الحملة طريقها إلى باماكو، ووصلتها في اليوم التاسع من نيسان [٣].

وبوصول بيتري إلى باماكو، أخذ ديسبورد يعد العدة لقتال الماندنغو، فجمع حملة مكونة من ٣٧١ مقاتل، وخرج لقتال الماندنغو في الثاني عشر من نيسان [٤].

في ذلك الوقت كان الماندنغو قد أحكموا السيطرة على أوياكو من النهر إلى الجبل*[٥]، على

---

(1) - Sarzeau, J : OP, cit, P 47.

(2) - Pietri : OP, cit, P 410- 411.

(3) - Pietri : Ibid, P 380.

(4) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Op, Cit, P 388.

*- يقصد به أحد جبال إقليم الماندنغ الممتدة بين باماكو وكنجابا. مجموعة مؤلفين: تاريخ أفريقيا العام، أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، المجلد الرابع، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٨، ص١٤٧.

(5)- Pietri: OP, cit, P 412.

جبهة طولها ١٥٠٠متر[١]، إلا أنهم ارتكبوا خطأ عسكرياً كبيراً بإبقائهم مؤخرة الجيش بدون حماية، فاغتنم الفرنسيون الفرصة، وانتشروا بسرعة كبيرة في السهل وراء أوياكو، فأصيب الماندنغو باضطراب شديد، وتفرقوا منذ الطلقات الأولى، إذ سارعوا إلى الهرب، قسم باتجاه النهر، وقسم باتجاه الجبل، ولم يصمد منهم إلا فرقة واحدة مكونة من أربعمائة رجل، حيث قاوموا من مسافة بعيدة، مما اضطر الفرنسيون إلى استخدام المدفعية لتفريقهم[٢]، وهكذا نجح الفرنسيون في إجلاء الماندنغو عن المنطقة بشكل نهائي، وقد بلغ عدد القتلى منهم بما يقدر ب٦٠٠ قتيل[٣]، أما بالنسبة لفابو فقد فر باتجاه الجبل و تمكن من النفاذ من بين صخوره[٤].

وبعد الانتهاء من المعركة قام الجنود الفرنسيون بإحراق معسكر فابو وإبادته عن بكرة أبيه بعدما استولوا على ما فيه من مؤن[٥]، وبعدها عادوا إلى باماكو لإكمال بناء الحصن، وتم التزود بالوقود الذي كان قد انقطع منذ ٣٠آذار[٦].

وبالتالي تم لفرنسا ما أرادت، فقد هزمت الماندنغو هزيمة ساحقة، إذ تمكنت من إجلائهم عن المنطقة، دون أي خسائر في صفوف جيشها(باستثناء القتيلين من أسرى البامبارا)، كما أن هذه المعركة لم تكلفها من العتاد الحربي ما كلفته بها المعركة السابقة[٧]، إلا أن الأمور لم تنته عند هذا الحد كما ظنت فرنسا، فلم يكن فابو ليرضى بهذه الهزيمة، فقد أراد استرجاع كرامته التي أهدرت، لذلك قام بإعادة بناء قواته في بانكومانا(Bankhoumana) على بعد ٦٥كم من باماكو[٨]، وسرعان ما علم ديسبورد بذلك، فقرر أن يفاجئ فابو قبل الانتهاء من تجهيز جيشه، فجمع حملة صغيرة من ٩٩ من المشاة تحت قيادة بيتري، غادرت باماكو في ١٩نيسان[٩]، مما اضطر فابو للهرب، فقام الفرنسيون بمطاردته، واستمرت المطاردة عشرة أيام، أضرم خلالها الفرنسيون النار في العديد من القرى التي أعلنت عدائها للفرنسيين، وأخيراً عبر فابو الضفة اليمنى للنيجر، ولجأ إلى حدى قراها، فقام الفرنسيون بقصفها، فغادرها على عجل ليبحث عن مكان أكثر أماناً في الداخل[١٠].

وهكذا انتهت حملة الماندنغو على باماكو بالفشل، وانتهت بنهايتها المرحلة الأولى من

---

(1)- Ancelle, J : OP, cit, P 116.

(2)- Pietri: OP, cit ,P 413.

(3)- Peroz, E: Au Soudan français, P 11.

(4) - Sarzeau, J : OP, cit, P 48.

(5)- Ancelle, J : OP, cit, P 116.

(6) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Op, cit, P 388

(7) - Pietri : OP, cit, P 414.

(8) - Annales Sénégalaises De 1854- 1885, Op, cit, P 388.

(9)- Nicolas, V: OP, cit, P 283.

(10) - Sarzeau, J : OP, cit, P 47.

العلاقات الفرنسية مع الإمبراطورية، إذ أمر ساموري بعد ذلك قواته بعدم القيام بأي مبادرة ضد الفرنسيين [١]، لكي يتفرغ لقمع التمردات في جنوب إمبراطوريته[٢]، ومن ثم لانشغاله في حروبه على الجبهة الشرقية في محاولته ضم مملكة كيندوجو إلى نفوذه[٣].

كما أن الفرنسيين بدورهم لم يوجهوا جيوشهم ضد الماندنغو، فقد كان اهتمامهم منصباً على التوسع في مناطق سيطرة التكرور فضلاً عن تدعيم سلطتهم في مناطق حكمهم [٤].

ثالثاً- المرحلة الثانية ١٨٨٥-١٨٩٠:

بدأ الصدام المباشر بين فرنسا وإمبراطورية الماندنغو بدءً من العام ١٨٨٥، بسبب إرسال فرنسا حملاتها على الضفة اليسرى للنيجر في محاولتها لمد نفوذها على كامل المنطقة هناك، مما أدى إلى دخولها في حرب مباشرة مع الماندنغو، الذين اعتبروا أنفسهم الأحق في حكم المنطقة.

أ- حملة العقيد أنطوان كومبس* (Antoine Combes) آذار/ نيسان عام ١٨٨٥:

استغل الفرنسيون انشغال ساموري في حروبه على الجبهة الشرقية [٥]، من أجل السيطرة على مناطق نفوذه على الضفة اليسرى من نهر النيجر، بدأت الحملة في شهر آذار (١٨٨٥)[٦] بقيادة كومبس الذي خرج من كيتا على رأس قوة مؤلفة من ٩٣٣مقاتل [٧]، وعبرت عدة مدن على الضفة اليسرى [٨]، واستمرت في سيرها إلى أن وصلت مناجم الذهب في بوريه، حيث نصب الفرنسيون

---

(١)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٠.

(٢)- كيزيربو، جوزيف: المرجع نفسه، ص ٦٥٧.

(3)- Collieaux, M: Contribution a L'etude de L'hstoire de L'ancien Royaume de Kenedougou, Bulletin du Comite d'etudes historiques et scientifiques de L'Afrique occidentale Françoise, Tome VII N^{o} 1, Imprimerie du Gouvernement General, Goree – Senegal, 1924, P 142.

(4)- Faidherbe, L : OP, cit, P 359.

*- أنطوان كومبس (١٨٤٩- ١٩١١) : ولد في ٤ آذار ١٨٤٩، في فوا(Foix) ، عمل في سلاح القوات البحرية منذ عام ١٨٦٧، شارك في الحرب الفرنسية الألمانية عام ١٨٧٠، ثم كلف بمهمة قيادة الحملات في السودان الغربي عام ١٨٨٤.

Archives nationales : site de Paris, N0 de notice L 0575052.

(5) - Sarzeau, J : OP, cit, P 52.

(6)- Nicolas, V: OP, cit, P 292.

(7) - Wahl, M: OP, cit, P 48.

(8) – Hubier, M : La Cinquième Campagne du Haut Fleuve 1884- 1885, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux, Bulletin deuxième série neuvième année imprimerie G. gounouilhou 11 Rue guraude 11, Bordeaux, No 9, 4 Janvier 1886, P 19.

ثكناتهم هناك[١].

الجدير بالذكر أن الحملة الفرنسية لم تواجه أي مقاومة، فقد كان معظم جيش الماندنغو يخوض الحرب مع سيده ضد مملكة كيندوجو، أما الحاميات التي كانت معسكرة على الضفة اليسرى، فقد سارعت بالانسحاب وعبرت النهر إلى الضفة اليمنى[٢]، فاستغل كومبس ذلك لتأديب أنصار ساموري في عقر دارهم، وأرسل حملة إلى الضفة اليمنى، قامت بتدمير إحدى القرى هناك[٣]، ومن ثم اتجه مع الجزء الأكبر من حملته إلى نياغاسولا ـ التي كانت قد اعترفت بتبعيتها للفرنسيين منذ العام ١٨٨٢[٤]ـ لكي يربط خطوط المواصلات بينها وبين كيتا، عن طريق بناء حصن في نياغاسولا[٥].

ولحماية الحصن ريثما يكتمل بناؤه، ومن أجل تضليل قوات الماندنغو وصرف أنظارهم عن نياغاسولا، "عهد كومبس إلى الكابتن لوفيل (Loviel) بأن يعسكر في نافاديه الواقعة في منتصف الطريق بين نياغاسولا والنيجر" [٦] على بعد ٨٠كم جنوب شرقي نياغاسولا [٧]، وتنفيذاً لتعليمات كومبس، عسكر لوفيل مع مئة من جنوده بالقرب من نافاديه، في منطقة تدعى سيكي(Siki)[٨]، وبذلك يكون كومبس قد أنهى جميع مهامه خلال شهرين[٩]، مما دفعه إلى ترك المنطقة والعودة إلى باماكو[١٠] في نيسان ١٨٨٥.

ب ـ القتال عند نهر كومودو(Kommodo) ٣١ أيار ١٨٨٥:

لم يكن ساموري ليقف ساكناً إزاء التوسع الفرنسي على الضفة اليسرى، كما أن السكوت عن

---

(1)- Gebelin : Le Traité de Paix avec Samory, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux, Bulletin deuxième série neuvième année imprimerie G. gounouilhou 11 Rue guraude 11, Bordeaux, No16, 16 Aout 1886, P 490.

(2)- Sarzeau, J: OP, cit, P 52.

(3)- Wahl, M: OP, cit, P 146.

(4)- Peroz, E: Au Soudan français, P 243, 244.

(5)- Hubier, M : OP, cit, P 29.

(6)- Gebelin : OP, cit, P 490.

(7)- Nudant : l'Expansion Française dans l'Afrique Centrale, Revue du cercle militaire bulletin des réunions d'officiers des armées des terre et de mer revue violette Directeur, Le lieutenant-colonel frogard, N0 38, 21 Septembre 1901, P 312.

(8)- Nicolas, V: OP, cit, P 292.

(9)- Bechet, E: Cinq ans de séjour au Soudan Français, Librairie Plon Eplon nourrit et cit Imprimeurs Editeurs rue Garanciere 10, Paris, 1889, P 158.

(10)- Nicolas, V: OP, cit, P 292.

الاستفزاز الفرنسي دون رد يعني إساءة كبيرة لكرامته وسمعته، فعلى الرغم من حروبه مع مملكة كيندوجو، قاد ساموري بنفسه حملة لقتال الفرنسيين قوامها من خمسة إلى ستة آلاف مقاتل [١]، ودفعبهم إلى الضفة اليسرى لنهر النيجر[٢]، إلا أنه توقف عند سيتيجينا(Setignia) على الضفة اليسرى لنهر كومودو، ليعقد اتفاقاً مع حاكمها[٣].

كان ساموري يخطط لعبور نهر كومودو، ومهاجمة الفرنسيين في نياغاسولا، إلا أن القائد الفرنسي بونارد(Bonnaed) أفسد عليه خطته، عندما خرج في ٣٠ أيار ليستكشف المنطقة مع عشرين جندي، على بعد بضع مئات من الأمتار من سيكي، عندها شاهد معسكر الماندنغو وراء النهر، فعاد أدراجه مسرعاً ليخبر لوفيل بالأمر، والذي ما إن سمع بذلك حتى سارع إلى جمع ما معه من جنود، إذ لم يكن أمامه الوقت الكافي لإرسال نجدة إلى نياغاسولا، وسار بهم إلى كومودو، لقتال جيش الماندنغو[٤].

علم ساموري من جنوده بأمر بونارد وأدرك أن الفرنسيين لن يقفوا ساكنين منتظرين قدوم الماندنغو، لذا أصدر أوامر إلى مالينكا موري بقيادة أربعة آلاف مقاتل والسير إلى نهر كومودو من أجل التصدي لهجوم فرنسي مرتقب[٥]، وبالفعل سار مالينكا مع قواته إلى النهر، حيث تجمعوا في موقع حصين، إذ اختبأوا وراء غطاء نباتي أشبه بالغابة خلف النهر.

وسرعان ما وصل لوفيل مع جنوده إلى النهر، حيث واجه مشكلة في عبوره، فجمع جنوده على شكل مربع، وعبروا النهر بالكامل، وفي اليوم التالي عند الساعة الثامنة صباحاً وصل الفرنسيون إلى أطراف الغابة حيث كان الماندنغو يعسكرون خلفها، عندها هاجم الماندنغو القوات الفرنسية، وقاموا في الوقت نفسه بإشعال الحرائق في محاولة للإحاطة بهم وإجبارهم على الاستسلام، إلا أن محاولتهم هذه فشلت، فقد نجح الفرنسيون بفضل سلاح المدفعية من هزيمة الماندنغو وتفريقهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من ملاحقتهم، بسبب نقص الذخيرة، فقاموا بالانسحاب قاصدين نياغاسولا، من أجل إعادة شحن الحامية بما يلزمها من مؤن وذخيرة.

وقد بلغت خسائر الماندنغو في هذه المعركة ٤٠٠ قتيل و ٧٠٠ جريح[٦].

ج ـ حصار الماندنغو لقرية نافادييه ١ حزيران ١٨٨٥:

توقف لوفيل في نافادييه للاستراحة في ٣١ أيار، على أن يتابع طريقه إلى نياغاسولا في

---

(1)- Wahl, M: OP, cit, P 146.

(2)- Nicolas, V: OP, cit, P 293.

(3)- D'Estampes, L: La France Au Pays Noir, Bloud & Barral Editeurs 4, Rue Madame Et Rue De Rennes, 59, Paris, P 159.

(4)- Bechet, E: OP, Cit, P 158.

(5)- D'Estampes, L: OP, cit, P 159.

(6)- Nicolas, V: OP, cit, P 293- 295.

اليوم التالي[١]، فرأى ساموري ضرورة الإسراع في حصار الفرنسيين في نافادييه، واغتنام الفرصة لرد الهزيمة التي لحقت بجيشه في كومودو، فأرسل في اليوم نفسه جيشاً ضخماً من ٣٠٠٠ مقاتل تحت قيادة مالينكا موري، وأمره بالسير إلى نافادييه لحصارها[٢]، متبعين تكتيكهم المعهود في حصار العدو حتى يجبروه على الاستسلام.

وفي صباح اليوم التالي ،حوالي الساعة السابعة، شدت الفرقة الفرنسية رحالها في طريقها إلى نياغاسولا[٣]، إلا أنها فوجئت بقوات الماندنغو تغطي التلال المحيطة بالمنطقة، فأصدر لوفيل أوامره بالعودة إلى الحصن داخل نافادييه، فسارع الماندنغو إلى إحاطة المدينة بأربع معسكرات تبعد عن الحصن نحو ٣٠متر، أحد هذه المعسكرات يقبع في الطريق إلى نياغاسولا[٤].

أما لوفيل فلم يحرك ساكناً إزاء هذا الحصار، فقد منعه نقص الذخيرة من القتال، فاكتفى بالإرسال إلى بيروز(Peroz) قائد حصن نياغاسولا طالباً النجدة، والذي قام بدوره في إرسال نجدة إلى العقيد كومبس[٥].

كان كومبس حينها في كوندو(Koundou) يستعد للذهاب إلى كايس(Kayes)، وعندما وصلته أخبار الحصار في نافادييه، جمع قواته على عجل، وعاد أدراجه في طريقه إلى نياغاسولا، حيث ضم قواته إلى القوات المتواجدة هناك، فاجتمع لديه ١٥٠ جندي[٦]، وخرج بهم في الثامن من حزيران[٧]، من أجل نجدة لوفيل، وفك الحصار عن نافادييه، وبسبب انتشار الماندنغو على طول الطريق المؤدي إلى نافادييه، قام كومبس بتغيير مسار الحملة، تجنباً للاشتباكات التي ستحصل في حال عبور قواته الطريق المباشر، مما سيعرقل وصول النجدة إلى نافادييه، لذلك عبر كومبس بقواته الغابة الضخمة عند سهل كوكورو، ومن ثم سار بهم عبر جبال سيكي، وقد استغرقت عملية العبور هذه يومين، لتصل الحملة أخيراً إلى نافادييه في العاشر من حزيران[٨]، وسرعان اشتبك الفرنسيون

---

(1)- Nicolas, V: OP, cit, P 296.

(2)- Legendre, P: Notre épopée coloniale Librairie Charles Tallandier 4, Rue Cassette, 4, Paris, P 416.

(3)- Nicolas, V: OP, cit, P 296.

(4)- Legendre, P: OP, cit, P 419.

(5)- Nicolas, V: OP, cit, P 298.

(6)- Frey,H: Campagne dans le Sénégal et dans le Haut Niger 1885- 1886, Librairie Plon E. Plon Nourrie et Cie imprimeurs éditeurs Rue Garancière 10, Paris, 1888, P 28.

(7)- Peroz, E: La Tactique dans le Soudan, Revue maritime et colonial couronnée par l'Academie des sciences le 28 Décembre 1874, Librairie Militaire de la Baudoin et Cie Librairies-éditeurs 30, Rue et passage Dauphine, 30, Paris, 1890, P 106.

(8)- Peroz, E: La Tactique dans le Soudan, P 107.

مع قوات الماندنغو في معركة ضارية استمرت خمس ساعات، انتهت بهزيمة الماندنغو وسقوط ٦٠٠قتيل[١]، بينما كانت الخسائر في صفوف الجيش الفرنسي نحو ٢٠ جريح[٢]، وكانت النتيجة رفع الحصار عن نافادييه وإنقاذ الحامية.

د ـ القتال عند نهر كوكورو(Kokoro) ١٤حزيران ١٨٨٥:

كان لوفيل وجنوده في حالة يرثى لها بسبب حالة الجوع والعطش التي حلت بهم أثناء الحصار، ولم يكن الفرنسيون يرغبون في حرب أخرى مع الماندنغو، إلا أن ساموري لم يكن كذلك، فقد أراد أن يسبق الفرنسيين إلى نياغاسولا، فأرسل قواته لتعترض طريق عودتهم عند كوكورو[٣]، على بعد عشر كيلومتر أمام نياغاسولا[٤]، مما اضطر الفرنسيون لقتالهم.

لم يكن الطريق أمام الفرنسيين إلى كوكورو ممهداً، فقد اعتمد الماندنغو استراتيجية تقوم على اشغال الفرنسيين بمعارك جزئية تستنزف قوة جنودهم ومدخراتهم، حتى إذا ما وصلوا إلى كوكورو، انقضوا عليهم بكل سهولة، لذلك قام الماندنغو بعدة مناوشات على طول الطريق ، إلا أن الفرنسيين صمدوا أمامهم وأخيراً نجحوا في الوصول إلى معسكر الماندنغو عند ضفاف كوكورو وذلك في ١٤حزيران[٥].

كان جيش الماندنغو مقسماً على محاور، محور يضم من أربعة إلى خمسة آلاف مقاتل تحت قيادة فابو، وقد اتخذ مواقعه في مكان حصين خلف ضفاف شديدة الانحدار، والمحور الآخر تراوحت أعداد مقاتليه من ثمانية إلى عشرة آلاف مقاتل، بقيادة دورو ديابيلا(Doro-Diabila)، وقد تجمع جنوده على شكل نصف دائرة على الحواف الخلفية للنهر، وكان هذا الفيلق يتلقى أوامره من ساموري مباشرة.

وأمام ذلك كان على الجيش الفرنسي أن يحارب جيش فابو في البداية، واشتبكوا معه في قتال عنيف وبدا أن النصر سيكون من حليف الماندنغو، إلا أن الموازين ما لبثت أن انقلبت، وذلك أن القائد بيروز مع ٣٥ من المشاة، قاموا بالتفاف على ميمنة الماندنغو ونجحوا في اختراقها، فبينما كان الماندنغو منشغلين بالهجوم، قام بيروز برمي حزمة من الحراب أوقعت جريحين، فأصيب بقية الجنود بذعر شديد، وأثناء محاولتهم الفرار، تعثروا على الضفاف الزلقة، فوقع عدد كبير منهم في النهر، وغرقوا فيه.

وبعد انتصار الفرنسيين على جيش فابو، أصبح جيش دورو ديابيلا مكشوفاً أمامهم، وقد نجحوا بكل سهولة في كسر مقاومته، محرزين بذلك نصراً نهائياً على جيش الماندنغو، الذي

---

(1)- Nudant : OP, cit, P 312.1

(2)- Peroz, E: La Tactique dans le Soudan, P 107.

(3)- Legendre, P: OP, cit, P 420.

(4)- Frey,H: OP, cit, P 29.

(5)- Wahl, M: OP, cit, P 146.

خسر ٦٥٠من جنوده سقطوا قتلى في المعركة، فضلاً عن وقوع ١٨٠٠جريح[١]، مما مكن الفرنسيين بعد ذلك من عبور النهر في طريقهم إلى نياغاسولا، بينما الماندنغو يلاحقونهم على طول الطريق، حيث وصلت الحملة أخيراً إلى نياغاسولا في ١٥ حزيران[٢]، وقد بلغت خسائرهم ٢٧ قتيل، فضلاً عن إصابة ٣٥% من جنودهم بالجراح[٣].

هـ ـ حملة الماندنغو على الضفة اليسرى للنيجر ١٨٨٥:

كان لإخفاق الفرنسيين في طرد الماندنغو من أمام نياغاسولا وقع الكارثة عليهم، فقد استثاروا بحملتهم ردود أفعال انتقامية، فاندفع جيش الماندنغو بتأثيرها تحت قيادة مالينكا موري[٤] نحو مناطق السيطرة الفرنسية، مستغلين ضعف الموقف الفرنسي بعد موقعة كوكورو، مبتدئين هجومهم على قلعة نياغاسولا، فبعد دخول الحامية الفرنسية إلى القلعة، فرضت قوات الماندنغو حصاراً خانقاً عليها، ولم يكن بمقدور العقيد كومبس دفع الماندنغو بعيداً عن الحصن، بسبب نقص الذخيرة إذ لم يكن بحوزة جيشه سوى مائتي بندقية[٥]، ولما لم يجد جدوى من البقاء في نياغاسولا، قرر مغادرتها بعدما أسند قيادة القوات إلى الملازم بيروز، تاركاً معه حامية معززة مع فرقة من المدفعية وفرقة من المشاة[٦]، وعاد إلى كيتا التي وصلها في ٢٩تموز[٧].

وبانسحاب كومبس أعلن الماندنغو انتصارهم، بل وكانوا من الجرأة بأن زحفوا إلى نياغاسولا نفسها، مسيطرين على المدينة بأكملها في ٧آب [٨]، وقاموا باحراقها[٩] انتقاماً من السكان لتعاونهم مع الفرنسيين، ومن ثم أخذوا بالامتداد على محافظات أعالي السنغال، وأخذت المدن تسقط بأيديهم الواحدة تلو الأخرى[١٠]، حيث قاموا بتدميرها بالكامل وأحرقوها[١١]، مما أدى إلى قطع خطوط

---

(1)- Nicolas, V: OP, cit, P 300- 302.

(2)- Nicolas, V: Ibid, P 302.

(3)- Hubier, M : OP, cit, P 21.

(4)- La Chatelier, A: OP. cit, P 30.

(5)- Peroz, E: Au Soudan français, P 257.

(6)- Le Bras, J : De Colonnes Borgnis-Desbordes A La Colonne Combes 1880-1885, Au temps des expeditions et des colonnes de pénétration de l'Ouest-Africain: les médecins coloniaux de la Marine au Sénégal et dans le Haut-Fleuve, N0 130, Décembre 2015, P 48.

(7)- Hubier, M : OP, cit, P 21.

(8)- Tellier, G: Autour de Kita étude Soudanaise, Henri Charles- Lava nucelle Editeur militaire 10 Rue Danton, Boulevard Saint- Germain 11, Paris, P 29.

(9)- Peroz, E: Au Soudan français, P 12.

(10)- Sarzeau, J: OP, cit, P 53.

(11)- Tellier, G: OP, cit, P 29.

الإمداد بين كيتا ونياغاسولا المارة عبر مورجولا وبيرغو(Birgo)[١]، كما أغاروا على فتافي (Fatafi) وأحرقوها[٢]، بينما قامت الحاميات الفرنسية بالانسحاب من هذه المناطق وتجمعت في قلعة نياغاسولا[٣].

وهكذا وبحلول شهر أيلول (١٨٨٥) كان ساموري قد هدد المستعمرات الفرنسية على جبهة امتدت مسافة٣٥٠ متر في أعالي السنغال، وأعلن أنه سيتابع زحفه حتى يصل مياه نهر السنغال أمام بافولابي[٤]،لولا اضطرار قواته إلى التوقف أمام كيتا، مع حلول موسم الأمطار، إذ أعاق تقدمهم ارتفاع منسوب مياه نهر باخوي وسرعة جريانه، فرابطت القوات على الضفة اليسرى للنهر[٥]، بانتظار الوقت المناسب لتنفيذ الهجوم على كيتا.

و- حملة العقيد هنري فري*(Henri Frey) ١٨٨٥- ١٨٨٦:

اضطرب الموقف في فرنسا بعد فشل حملة كومبس، وظهر تيار يدعوا إلى التخلي عن السودان الغربي في الوقت الذي رفض فيه الضباط المرشحون قيادة الحملة القادمة، بسبب خوفهم من الفشل الذي ستكون نتيجته الحتمية تنظيم الانسحاب من النيجر إلى السنغال[٦]، إلا أن الرأي استقر أخيراً على تكليف العقيد هنري فري مهمة قيادة الحملة، حيث سلمت إليه المهام في أيلول ١٨٨٥ [٧].

غادر فري فرنسا ووصل كايس في كانون الأول[٨]، وهناك شحن قواته البالغ عددها ٩٠٠مقاتل[٩]، استعداداً لقتال مالينكا موري، الذي كان معسكراً في جاليه(Gale) أمام كيتا، على رأس قواته البالغ عددها من ثمانية عشرة آلاف من الفرسان والمشاة [١٠].

---

(1)- Hubier, M : OP, cit, P 21.

(2)- Frey, H: OP, cit, P 32.

(3)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 247.

(4)- Sarzeau, J: OP, cit, P 53.

(5)- Frey H: OP, cit, P 106, 107.

*- هنري فري(١٨٤٧- ١٩٣٢): ولد في ٩ كانون الثاني، في مدينة كورسيكا(Corse)، من سلاح القوات البحرية، التحق بالخدمة منذ عام ١٨٦٦، خدم في مكتب قوات المشاة البحرية، كان مراسلاً في اللجنة الفنية للمستعمرات، ثم أصبح ملازم أول في تونكين، ثم قائد حملة ١٨٨٥- ١٨٨٦ على السودان الغربي، برتبة عقيد.

Archives nationales :site de Paris, N0 de notice L 1037037.

(6)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 243- 245.

(7)- Frey, H: OP, cit, P 33.

(8)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 245.

(9)- Sarzeau, J: OP, cit, P 54.

(10)- Frey, H: OP, cit, P 106.

غادر فري كايس متجهاً إلى كيتا فوصلها في ١٠ كانون الثاني ١٨٨٦[١]، وهناك قام بوضع خطته التي قامت على الحيلة والخداع، إذ عمد بدايةً إلى تضليل مالينكاموري، ووضعه بين طرفي كماشة، ومن ثم الإطباق عليه، وذلك عن طريق تقسيم قواته إلى قسمين الأول تحت قيادة كومبس على أن يتجه إلى باماكو ومنها إلى نافادي(Nafadie)[٢]، لقطع خطوط الامدادات عن جيش الماندنغو في جاليه، والثانية تحت قيادة فري مهمته الهجوم المباشر على معسكر جاليه، على أن تلتقي المجموعتان في نياغاسولا[٣].

وبالفعل خرج كومبس في اليوم السادس عشر من كانون الثاني ١٨٨٦[٤] على رأس ٢٧٠من المشاة[٥]، وسار بمحاذاة الضفة اليمنى للنهر[٦]، فانخدع مالينكا موري بمرور كومبس[٧]، ولم يدر بخلده أن هناك فرقة أخرى تستعد لمهاجمتهم، فلم يتخذ الاستعدادات المناسبة للمعركة القادمة.

في الواقع كان اختيار كومبس كطعم مناورة ذكية جداً، فقد ظن مالينكا موري أن كومبس لايزال يقود الفرنسيين في حملتهم تلك، ولاتزال قوتهم قليلة العدد، وأن هدفهم الرئيسي هو فك الحصار عن حامية نياغاسولا، فلم يكن ليدرك الأحداث التي كانت تجري في فرنسا، ولا قرارات القيادة العليا هناك، ولا خطة القائد فري. (رأي الباحث)

في تلك الأثناء خرج فري من حصن كيتا ووصل باليكو(Baliko) على بعد ٢كم من جاليه، فكان ذلك مفاجأة كبيرة، دفعت مالينكا إلى إصدار الأوامر بالانسحاب من جاليه واحراقها[٨]، بعدما جمع ما يمكن جمعه من مقاتليه، تتبعه قافلة من النساء والرقيق المنتشرين في الحقول وقد كلفوا بجمع ما يمكن جمعه من المؤن، وسرعان ما انتشر الرسل بين الجميع، لإبلاغهم بأوامر القائد بالانسحاب جنوباً والتجمع في نابو(Nabou)[٩].

كان إقدام مالينكا على الانسحاب خطوة سليمة، إذ أنه أدرك أن حربه هذه لن تجني ثمارها، فهو بطبيعة الحال لن يتمكن من التقدم والسيطرة على كيتا، كما أنه كان بعيداً نوعاً ما عن خطوط الامداد، ولم يغب عن خاطره الفرقة التي يقودها كومبس لابد أنها ستهدد الخطوط الخلفية إذا ما أراد

---

(1)- Frey, H: OP, cit, P 142.

(2)- Chailley, M: Histoire de l’Afrique Occidentale Française, Berger Levraut, Paris, 1968, P 260.

(3)- Frey, H: OP, cit, P 142.

(٤)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(5)- Faidherbe, L: OP, cit, P 409.

(6)- Sarzeau, J: OP, cit, P 53.

(7)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 249.

(8)- Frey, H: OP, cit, P 144, 145.

(9)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 249, 250.

الانسحاب ولما كانت المناطق المحيطة بجاليه قد أحرقت في وقت سابق، فقد كان من العسير الاعتماد عليها في تموين جيشه في حال انقطاع الامدادات، فالخير له أن يوحد قوات الماندنغو الموزعين على مختلف الجبهات في جبهة واحدة، فالتشتت لن تكون نتيجته سوى الهزيمة . (رأي الباحث)

وهكذا أسرع الماندنغو إلى نافادي ولم يلبثو فيها طويلاً، فقد اتجهوا بسرعة إلى نابو، إلا أنهم مع حلول الليل، توقفوا عند ضفاف نهر فاتاكو دجينو(Fatako- Djingo)على بعد خمس كيلومترات من نافادي ونصبوا معسكرهم هناك[١].

أما فري فقد فشل في إدراك قوات الماندنغو في نافادي حيث وصلها قبل كومبس، فقام بتعقبهم حتى النهر، وهناك لمح فري سحب الدخان المنبعثة من معسكر الماندنغو، فذهب إلى مصدر النيران، ليجد جنودهم وقد غطوا في نوم عميق على أثر التعب والإهراق الذي حل بهم أثناء مسيرتهم، ولم يضيع فري فرصة تحقيق نصر ساحق، فأعطى أمراً لجنوده باطلاق النار على المعسكر، وقاموا بعد ذلك باجتياح المكان موقعين مذبحة كبيرة في صفوف الماندنغو، فيما تمكن مالينكا موري مع من تمكن من جنوده من الهرب متخذين طريقهم إلى نابو[٢].

لم يقم الفرنسيون بتعقب الماندنغو على الفور، فقد مكثوا في فاتاكو دجينو لبعض الوقت لأخذ استراحة، فلما حانت الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي هموا بالرحيل لاقتفاء أثرهم، وكانوا قد علموا بمسلك الماندنغو عن طريق الصيادين من سكان المنطقة، وبما أن خطة فري تقتضي بمباغتة الماندنغو في نابو قبل أن يتمكنوا من تجميع صفوفهم، فقد أسرعوا الخطى عبر سلسلة الوديان والتلال الصخرية، وبعد مسيرة نصف يوم تمكن الفرنسيون من الوصول إلى حيث يكمن الماندنغو، الذين ما إن شاهدوا الفرنسيين، حتى دب الذعر فيهم، فهم لم يكادوا ينسون هزيمة الأمس، فأسرعوا بالفرار وتفرقوا بين الجبال[٣]، أما مالينكا موري فقد هرب إلى ضفاف النيجر، ومنها عبر إلى الضفة اليمنى[٤]، عندها كف فري عن ملاحقته إذ لم يجد فائدة من ذلك، فعاد أدراجه إلى نافادي في العشرين من كانون الثاني، حيث التقى بقوات كومبس، ومن هناك سارا معا إلى نياغاسولا في الثاني والعشرين[٥]، التي كانت حاميتها قد استردت شيئاً من قوتها بعد تلقيها امتدادات المؤن والذخيرة من كيتا[٦]،ونجحت بعد ذلك في طرد القوات التي كانت تحاصرها[٧]، قبل وصول فري وكومبس إليها.

---

(1)- Frey, H: OP, cit, P 151.

(2)- Mademba , A : Au Sénégal et Au Soudan Français, Bulletin du Comite d'etudes historiques et scientifiques de l'Afrique occidentale Français, Année 1930 Tome XIII, Libraire Larosse, Paris, No 2, 1930, P 125.

(3)- Frey, H: OP, cit, P 155- 158.

(4)- Faidherbe, L: OP, cit, P 415.

(5)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 251.

(6)- Sarzeau, J: OP, cit, P 55.

(7)- Peroz, E: Au Soudan français, P 246.

يمكن القول أن حملة فري بالنسبة لساموري، كانت بمثابة الشعرة التي قسمت ظهر البعير، فقد خسر في ثلاثة أيام ماجناه خلال ثلاثة أشهر، فضلاً عن الخسائر الكبيرة في الأرواح، بينما خرج الفرنسيون بمكاسب كبيرة إذ غنموا من هذه الحملة الكثير من الخيول والأسلحة التي خلفها الماندنغو في الميدان، فضلاً عن وقوع الكثير من الأسرى بين أيديهم[١]، بينما لم يقتل من الجيش الفرنسي سوا ضابط سوداني، وأصيب جندي فرنسي[٢].

أزعجت الهزائم التي تعرض لها الماندنغو ساموري وأرعبته في نفس الوقت، وقد صادف في هذه الفترة الحرجة من حياة الإمبراطورية تزايد التهديد من ناحية الشرق، لذا قرر ساموري أن يهادن الفرنسيين حتى يتمكن من إخضاع الجبهة الشرقية[٣]، فأرسل مستشاره عمر ديالي إلى فري في نياغاسولا، ليتفق معه على شروط السلام[٤]، إلا أن فري أجاب بأنه لا سبيل إلى المفاوضات طالما هناك جندي واحد من الصوفا على الضفة اليسرى، فما كان من ساموري إلا أن أرسل إلى أتباعه في بوريه وسيكي وولايتين آخريتين، يأمرهم بإخلاء المنطقة استعداداً للمفاوضات[٥].

ز- معاهدة كينيبيا كورا (Kenieba Koura) ١٦نيسان ١٨٨٦:

أدرك الفرنسيون صعوبة هزيمة إمبراطورية الماندنغو هزيمة كاملة بالقوات المتاحة لهم، فعملوا على احتواءها، على أن يقصروا نفوذها على المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى، كما أدرك ساموري نفس الشيء، وهو صعوبة هزيمة الفرنسيين بما لديهم من أسلحة متقدمة، وبالنتيجة اجتمع الطرفان على توقيع معاهدة سلام.

ويعزى هذا التحول السريع في موقف الفرنسيين إلى التغير المفاجئ في ميزان القوى، بسبب اشتداد خطر ثورة السراكولى* في سنغامبيا(Senegambia)*، هذه الثورة التي لم يقتصر أثرها على تعطيل فرنسا وإعاقتها عن مواصلة حروبها التوسعية فحسب، بل هددت أيضاً الوجود الفرنسي في سنغامبيا[٦]، مما دفعهم إلى وضع نهاية مؤقتة للحرب بينهم وبين ساموري، لتكون لهم حرية

---

(1)- Faidherbe, L: OP, cit, P 415.

(2)- Frey, H: OP, cit, P 154.

(٣)- عبدالله، إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي، ص ١٣١.

(4)- Faidherbe, L: OP, cit, P 415.

(5)- Frey, H: OP, cit, P 165.

*- السراكولى: هي الثورة التي قادها محمد الأمين في سنغمبيا عام ١٨٨٤- ١٨٨٥. ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٠٩.

*- سنغامبيا: مصطلح أطلق على المناطق الواقعة ما بين نهري السنغال وغامبيا، من منبعيهما في بأعالي فوتاجالون، إلى مصبيهما في المحيط الأطلسي. إبراهيم، عبد الله: مؤتمر برلين وآثاره على الخريطة السياسية لغرب أفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ع١٢، ١٩٨٣، ص٩.

(6)- Oloruntmehin, O: Franco_Samori relations 1886_1889: Diplomacy as war, Journal of the Historical Society of Nigeria, Vo1, VI, no 1, December 1971, P 71.

الحركة في تركيز مواردهم العسكرية لمواجهة المشكلات الأكثر عجالة وتهديداً في سنغامبيا.

وبناءً على جميع تلك المستجدات، بدأت المفاوضات في نياغاسولا في الأول من شباط، حيث أرسل ساموري عمر ديالي مع ٥٠فارساً للتفاوض مع فري[١]، إلا أن الاتفاقية في هذه المرحلة لم تتعد أن تكون ورقة عمل، في حين استمرت المفاوضات في كينيبا كورا، حيث أرسل فري إلى ساموري وفداً مؤلفاً من الكابتن تورنييه(Tournier) وبيروز، والملازم السوداني محمد راسين(Madou Racine)، مع ستة من الفرسان و٢٠ من المشاة، اجتمعوا مع ساموري في كينيبا كورا، حيث تم توقيع المعاهدة في ٢٩آذار، ولم يبق سوى مناقشة البنود القابلة للتنفيذ[٢]، عندها أرسل فري إلى تورنييه يحثه فيها على الإسراع في إنهاء المفاوضات، وأن يمنح ساموري الكثير من التنازلات كمسألة ضرورية، وكان هدف فري أن يؤجل الصدام مع ساموري إلى أن يحين الوقت المناسب[٣]، فتم انجاز الصيغة النهائية للاتفاقية في ١٦ نيسان[٤].

كانت مواد الاتفاقية الأربعة عشر تهدف إلى تنظيم ثلاثة أمور وهي تخطيط الحدود، والأمن والعلاقات التجارية، فقد عالجت المادة الأولى من الاتفاقية موضوع الحدود، حيث نصت على وضع كل من سيكي وبوريه وقرى ديوما وكنجابا تحت الحماية الفرنسية، على أن يكون النيجر حداً فاصلاً بين ممتلكاتهم على الضفة اليسرى وممتلكات ساموري على الضفة اليمنى بدءاً من نقطة التقاءه مع نهري بافينغ وتنكيسو(Tenkisso)[٥]، وهنا يظهر ضعف معرفة الفرنسيين بجغرافية السودان، فمن المعروف ان نهر بافينغ فرع من نهر السنغال، بينما نهر تنكيسو فرع من النيجر.

بينما ضمنت المادة الثالثة الأمن لكلا الطرفين بالنسبة للأراضي الخاضعة لكليهما، وقد أقر الطرفان بألا يعبر أحدهما النيجر إلى أراضي الطرف الآخر دون إذنه، كما نصت على احترام المؤسسات المحلية القائمة، ونصت المادتان الخامسة والسادسة على أن أي خرق للاتفاقية، يخضع للقوانين والأعراف السائدة في البلد المختص، واهتم الجزء الأكبر من الاتفاقية بالعلاقات التجارية وحرية التجارة بين دولة ساموري والمصانع الفرنسية في السنغال، ونصت المادة التاسعة على ضمان الحماية للتجار على الجانبين، بينما نصت المادة العاشرة على ضمان حق ساموري في الاستمرار بجباية الضرائب والمكوس من القوافل الداخلة إلى دولته و الخارجة منها، ونصت المواد الرابعة والثامنة والحادية عشرة والثانية عشرة على ضمان حرية الأنشطة التجارية على النيجر وفي داخل دولة ساموري للقوافل التجارية المعتمدة، كما اشترطت المعاهدة على ساموري أن يظهر معاملة تفضيلية خاصة للقوافل القادمة من المواقع الفرنسية، كما اشترطت عليه المعاهدة أن يفعل كل

---

(1)- Frey, H: OP, cit, P 165.

(2)- Frey, H: Ibid, P 177.

(3)- Oloruntmehin, O: The treaty of Niagassola 1886; an episode in Franco-Samori relations in the era of scramble, Journal of the Historical Society of Nigeria, Vo1, VI, no 4, June 1969, P 607.

(٤)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(5)- Oloruntmehin, O: The treaty of Niagassola 1886, P 609.

ما في وسعه لتوجيه كل صادرات إقليمه إلى المنشآت الفرنسية، وقد وضعت هذه العبارات خصيصاً كمحاولة لمنع التجارة بين ساموري والبريطانيين في سيراليون[١].

من الواضح أن فرنسا كانت تسعى من خلال هذه الاتفاقية، إلى وضع إمبراطورية الماندنغو داخل دائرة النفوذ الفرنسي، فقد استغلت فرنسا المواد التي تنظم العلاقات التجارية في عملية تخطيط الحدود، وحاولت أن تقتطع من الإمبراطورية بوريه وكنجابا، ليعلنوا عليها حقوق الحماية، كما أن النصوص الخاصة بالتجارة كانت تهدف إلى جعل إمبراطوية الماندنغو سوقاً تجارية، ومن ثم السيطرة على تجارة الإمبراطورية، مما يمكنهم في المستقبل من المطالبة بالحقوق السياسية، نظراُ لتشابك الشؤون الاقتصادية مع الشؤون السياسية. (رأي الباحث)

هذه كانت شروط المعاهدة التي تم الاتفاق عليها نظرياً، إلا أن التنفيذ كان بخلاف المتفق عليه، فعلى الرغم من موافقة ساموري على الانسحاب من الضفة اليسرى للنيجر، وقبوله لحماية فرنسا الاسمية، إلا أنه رفض في النهاية الاستجابة لكل مطالبهم، فاضطر تورنييه ـ تحت ضغط فري بضرورة الإسراع في تسوية الأمور ـ إلى الاعتراف بسلطة ساموري الإسمية على ولايتي كنجابا بوريه[٢]، كما أنه لم يستجب لشروط فرنسا فيما يتعلق بالتجارة مع البريطانيين، ويظهر أنه استثمر تلك البنود لصالحه، إذ حصل من التجار الفرنسيين على ما يحتاجه، في الوقت الذي رفض فيه أن تكون هذه المواد قيداً على علاقاته السياسية والاقتصادية مع البريطانيين، إذ استمرت قوافله في جلب السلاح من سيراليون[٣].

وبذلك تكون معاهدة كينيبا كورا قد حققت لساموري السلام المنشود على الجبهة الفرنسية، مما أتاح له توجيه جهوده نحو مملكة كيندوجو من جهة، وفي قمع الثورات الداخلية من جهة أخرى، كما أعاد تنظيم دولته في كافة المناحي، فقد منحته الهدنة فسحة من الوقت لجني محصول الأراضي، وللمحافظة على انسياب حركة التجارة وتدفقها، كما عمل على تقوية أجهزة الدولة الاقتصادية والحربية بصفة عامة[٤].

أما عن موقف الفرنسيين من الاتفاقية، في الحقيقة لم يكونوا يولونها أي أهمية قياساً للأهداف التي يفترض أنها وقعت لأجلها، فقد كانت الأسباب الباطنية لتوقيعها لكي تكون حجة بين أيديهم لدعم مطالبهم في مواجهة القوى الأوروبية المتنافسة على السودان، أما من الناحية الدوبلماسية فلم يكن لهذه الاتفاقيات قيمة تذكر، فقد اقتصرت أهميتها على تأكيد حق الفرنسيين في المناطق الداخلية للسودان[٥].

وهذا ما يفسر السبب في اعتماد القادة الفرنسيين في الميدان هذه الاتفاقية أساساً للعلاقات بين

---

(1)- Oloruntmehin, O: The treaty of Niagassola 1886, P 607, 608.

(2)- Kanya, F: The Conquest of the Western Sudan, a study in French military imperialism, Cambridge University Press, , London 1969, P 133.

(3)- Oloruntmehin, O: The treaty of Niagassola 1886, P 610, 611.

(4)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 320.

(5)- Meniaud, J: Ibid, Tome I, P 320.

الطرفين[١]، على الرغم من رفض الحكومة الفرنسية التصديق عليها[٢]، ذلك لأنها منحت ساموري حقوقاً في بوريه، وحرمت فرنسا حرية الملاحة في أعالي النيجر، فضلاً عن أنها لم تضمن أمن المؤسسات الفرنسية في نياغاسولا وباماكو[٣] خاصة أن فري قام بسحب جميع القوات الموجودة في المنطقة، من أجل القضاء على ثورة السراكولي[٤].

وتحت وطأة التفكير بحرب جديدة في المستقبل القريب، قد تهدد مخططات الفرنسيين في السودان عموماً، قامت الحكومة الفرنسية بتكليف بيروز بمهمة جديدة في بلاط ساموري، للحصول على تنازل مباشر عن جميع الأراضي المتاخمة للضفة اليسرى للنيجر، والانسحاب الفوري لقوات الماندنغو من هناك[٥].

ح ـ معاهدة بيساندوغو ٢٥ آذار١٨٨٧:

أسندت القيادة الفرنسية إلى جاليني ـ بعد ترقيته إلى رتبة كولونيل ـ مهمة قيادة حملة ١٨٨٦ـ ١٨٨٧ في السودان الغربي، والذي غادر فرنسا إلى السودان في العشرين من تشرين الثاني ١٨٨٦[٦].

ولما كان تدعيم الموقف في السودان الغربي هو الشغل الشاغل لوكيل وزارة المستعمرات، فضلاً عن حفظ السلام، لذلك أوصى جاليني بالعمل على تدعيم نفوذ فرنسا ونشر تجارتها وتحسين الإنتاج الزراعي في المناطق الخاضعة لهم، وكان رأيه أن الانتصارات التي حققتها فرنسا قد أظهرت قوتها بما فيه الكفاية، وأن الوقت قد حان لجني ثمار تلك الانتصارات[٧].

وهنا يعود الخلاف في وجهات النظر بين القادة الفرنسيين إلى الظهور من جديد، إذ أن جاليني كان مهتماً بإبعاد النفوذ البريطاني عن السودان أكثر من اهتمامه بتدعيم السلطة الفرنسية، وكان مقتنعاً بأن أغنى أراضي السودان تلك الواقعة في الجنوب في أعالي وادي النيجر وروافده، وفي الأراضي التي تفصله عن الأنهار الجنوبية[٨].

وقد اتفقت نظريته فيما يتعلق بالوجود البريطاني مع مخاوف وزير البحرية، إذ كان المقيمون في سيراليون يرغبون في وضع إمبراطورية الماندنغو ضمن محميتهم، وبالتالي سيصل النفوذ

---

(1)- Oloruntmehin, O: The treaty of Niagassola 1886, P 611.

(2)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 255.

(3)- Peroz, E: Au Soudan français, P 13.

(4)- Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 200.

(5)- Peroz, E: Au Soudan français, P 13.

(6)- Chailley, M: OP, cit, P 262.

(7)- Kanya, F: OP, cit, P 176.

(8)- Hargreaves, J: The European partition of West Africa (History of West Africa), Longman, London, 1970, P 415.

البريطاني حتى جدران باماكو، فلو حدث هذا الأمر فإن فرنسا ستضطر إلى أن تخلي مواقعها في السودان الغربي، ذلك لأن زعماء السودان سيتحدون تحت راية بريطانيا ضد فرنسا، لذلك كان لابد لفرنسا من تدعيم حقوقها على الضفة اليسرى للنيجر، عن طريق قانون يثبت حقها في حيازته، بإمضاء من ساموري نفسه، لذلك تم تكليف الملازم بيروز من قبل وزارة البحرية بمهمة التفاوض مع ساموري لاقناعه بالتخلي عن الضفة اليسرى للنيجر لصالح الفرنسيين دون قيد أو شرط، ووضع إمبراطوريته تحت حماية فرنسا[١].

وصل بيروز إلى بيساندوغو في الخامس من شهر شباط ١٨٨٧، وعلى الفور بدأت مفاوضاته مع ساموري، وقد استمرت لمدة شهر لم تنقطع خلالها المفاوضات إلا لبضعة أيام، كان ساموري أثناء ذلك، متردداً ما بين خوفه من القتال مع الفرنسيين مرة أخرى، وبين تقويض مكانته وثروته من خلال التخلي عن الضفة اليسرى والاعتراف الرسمي بتبعيته لفرنسا، إلا أنه اضطر بعد ذلك إلى الموافقة على الشروط التي اقترحتها فرنسا، وتم توقيع الاتفاقية في ٢٥آذار١٨٨٧[٢]، وقد تضمنت خمس مواد نصت على ما يلي:

المادة الأولى: تحديد خط تقسيم الحدود بين إمبراطورية الماندنغو والأراضي الخاضعة للسيطرة الفرنسية في السودان، وقد تم تعيين خطوط التقسيم بين مناطق النفوذ من نهر النيجر حتى تجوبيري (Tiguiberri)، ونهر تنكيسو من تيجوبيري إلى المنبع.

المادة الثانية: وضع كل دولة ساموري في الحاضر وما يمكن أن يستجد فيها في المستقبل تحت الحماية الفرنسية.

المادة الثالثة: تتضمن الحرية التجارية للفرنسيين ضمن ممتلكات الإمبراطورية.

المادة الرابعة: إلغاء جميع ما سبق من المعاهدات والاتفاقيات والاشتراطات المناقضة لهذا الاتفاق.

المادة الخامسة: تصبح الاتفاقية سارية المفعول فور تصديق الحكومة الفرنسية عليها[٣].

تتمثل أهمية هذه الاتفاقية في المادتين الثانية والرابعة، حيث تنص الثانية على تحويل إمبراطورية الماندنغو إلى محمية فرنسية، بينما تنص الرابعة على الغاء معاهدة كينيبا كورا التي أقرت باستقلال امبراطورية الماندنغو و ضمان سيادتها، كما أنها وبشكل عام قد حققت للفرنسيين كل ما يريدونه فقد اتسع نفوذ فرنسا في الجنوب، كما أن النفوذ البريطاني قد أصبح بموجبها بعيداً عن المنطقة، إذ اقتصرت أملاك بريطانيا على النقاط التي احتلتها على الساحل في وقت سابق، في حين أغلقت في وجهها الطرق المؤدية إلى الداخل بمقتضى الاتفاقية[٤].

---

(1)- Peroz, E: Au Soudan français, P 32.

(2)- Peroz, E: Au Soudan français, P 371- 373.

(3)- Das Staatsarchiv Sammlung der officiellen Actenstiicke zur Geschichte der Gegenwart, Begrundet Aegidi und Klauhold, Verlag von Duncker & Humblot, Liipzig, 1896, P 172, 173.

(4)- Oloruntmehin, O: Franco_Samori relations 1886_1889 , P 79.

من اللافت أن ساموري قد وافق على توقيع هذا الاتفاق رغم أنه يقوض سلطاته، ويمكن تفسير ذلك بأنه كان يأمل بأن الوضع الجديد لن يدوم طويلاً، وأنه لن يتخلى عن سيادته إلى الأبد، إذ أن الظروف الداخلية في إمبراطوريته، فضلاً عن صراعه مع مملكة كيندوجو، قد تطلبا أن يقدم على فض الاشتباك مع الفرنسيين، وكان في تصوره أنه بعد قضائه على مملكة كيندوجو، سيستدير لمواجهة الفرنسيين، وما يؤكد ذلك، الرسائل التي أرسلها إلى السلطات البريطانية في فريتاون أثناء مفاوضاته مع الفرنسيين، حيث أكد لهم فيها أن صدامه مع الفرنسيين آت لاريب فيه[١].

أما فرنسا التي لم تكن تدري ما يدور في خلد ساموري، فقد عزت سبب توقيعه الاتفاقية إلى اللهجة المتعالية التي خاطبت بها ساموري أثناء المفاوضات، فقد حرصت مراراً على تذكيره بتفوق فرنسا، وأن توقيع معاهدة مع إمبراطورية الماندنغو يعد بمثابة تنازل من الحكومة الفرنسية في تقديم الحماية لزعيم أسود تعد سلطته ضيئلة بالمقارنة مع فرنسا[٢].

ط ـ علاقات الإمبراطورية مع فرنسا خلال عامي ١٨٨٧ـ ١٨٨٨:

رأينا كيف وضعت اتفاقية بيساندوغو حداً للاقتتال بين الفرنسيين والماندنغو، إلا أن ذلك لم يكن يعني أنها وضعت نهاية للحرب بينهما، فقد تلى توقيع الاتفاقية مرحلة من التوتر، يمكن تسميتها بالحرب الباردة، بدأها ساموري عندما أرسل الرسل إلى بوريه والمناطق المحيطة بها عقب توقيع الاتفاقية، لتحريض السكان ودفعهم للثورة ضد الوجود الفرنسي بينهم، وقد صرح علناً بانه لم يتخل عن سيادته على هذه المناطق خاصة بوريه وأن الفرنسيين لن يمكثوا فيها طويلاً، وأنه سيعاقب كل من يتعاون معهم[٣].

ومن جهة أخرى استمر ساموري في علاقاته مع البريطانيين كما لو أنه لا وجود للاتفاق مع الفرنسيين، فقد أرسل بعثة بقيادة أحد أقاربه إلى البريطانيين في سيراليون، أكد خلالها بأنه يفضل النفوذ البريطاني على النفوذ الفرنسي، وسيفعل كل ما في وسعه للمحافظة على الطرق التجارية كشرايين تربط إمبراطوريته بمستعمرة سيراليون[٤]، وقد رحبت بريطانيا بدورها بهذا التعاون، وذلك لما شكلته معاهدة بيساندوغو من خطر على نفوذها، ذلك لأن السيطرة الفرنسية قد امتدت بمقتضاها إلى الأراضي الداخلية لسيراليون، وخاصة أن جاليني أعلن في ٢٩نيسان ١٨٨٧ بأن الحماية الفرنسية تمتد على طول الضفة اليسرى للنيجر من سيجو حتى سيراليون وليبريا، فضلاً عن فوتاجالون، وعلى ذلك فإن فرنسا تسعى منذ العام ١٨٨٧ إلى التوغل في سنغامبيا والنيجر، مما يقوض النفوذ الريطاني في السودان، ويقلل من شأنه، فلو استمرت فرنسا في سياستها تلك، فإن إنكلترا ستجد نفسها قد أحيطت بالمعاهدات الفرنسية من كل جانب في السودان، فالخير لها أن تقوم بعقد معاهدات مماثلة مع الزعماء الوطنيين، ومن هذا المنطلق قامت بالتعاون مع ساموري، باعتباره

---

(1)- Oloruntmehin, O: Franco_Samori relations 1886_1889, P 80.

(2)- Peroz, E: Au Soudan français, P 372.

(3)- Gallieni: Deux campagnes au Soudan Français, Hachette, Paris, 1891, P 382.

(4)- Oloruntmehin, O: Franco_Samori relations 1886_1889, P 80.

من أهم زعماء المنطقة[١].

أما فرنسا فقد عمدت إلى عزل إمبراطورية الماندنغو ومحاصرتها من كل جانب، من خلال ربط عدد من الأقاليم المحيطة بالإمبراطورية بالسياسة الفرنسية، ومن هذه الاتفاقيات، تلك التي عقدتها مع دنجيراي(Dinguiray) إحدى امارات التكرور، والاتفاقية المعقودة مع فوتاجالون، وكلاهما عقدتا خلال العام ١٨٨٧[٢]، كما استخدمت مملكة كيندوجو لتشن حرباً بالوكالة ضد الماندنغو،و بناءً على ذلك رفضت طلب ساموري تزويده بالسلاح في حربه مع كيندوجو[٣] التي كان قد بدأها منذ نيسان ١٨٨٧[٤]، بحجة أن اتفاقية بيساندوغو لا تنص على ذلك، في الوقت الذي استمرت فيه بدعم كيندوجو، كما أنهم احتجوا لدى ساموري مطالبين بإنهاء الحرب ضد كيندوجو، وأثاروا رعاياه ضده، كما أرسل جاليني إلى قائد الموقع الفرنسي في سيجوري، تعليماته بالعمل على إثارة النشاط المضاد لساموري بين الشعوب المجاورة، وإمعاناً في ازعاج الماندنغو، قام الفرنسيون بتوقيع اتفاقية تعاون مشترك مع مملكة كيندوجو في منتصف العام ١٨٨٨[٥].

أما عن موقف ساموري من السياسة الفرنسية، فإنه لم يقف مكتوف اليدين، ففي تشرين الأول ١٨٨٨، احتج ساموري لدى لويس أرشينارد*(Louis Archinard) - الذي خلف جاليني في قيادة السودان - احتج لديه ضد الأنشطة المعادية التي أثارها الفرنسيون ضده، وأشار إلى أن الاتفاق المعقود بينهما لا يخول فرنسا أن تتدخل بينه وبين رعاياه، لكن الفرنسيين تجاهلوا ذلك، مستغلين انهماكه في حرب كيندوجو، ومحاولاته إخماد الثورات الداخلية، وكرد فعل من ساموري على ذلك، عمد إلى خلق الصعوبات في وجه فرنسا في مناطق الحدود، باتباع سياسة الأرض المحروقة التي أجبرت شعوب مناطق بأكملها على تركها والانتقال إلى مناطق أخرى[٦].

يتضح مما سبق أن فرنسا اختطت لنفسها عقب اتفاق بيساندوجو، سياسة تقضي بتفادي المواجهة المباشرة مع ساموري، إلا أنها استمرت في معاداته بشكل غير مباشر، إذ عمل الفرنسيون على إضعاف ساموري من خلال إثارة الفتن الداخلية ومساعدة مملكة كيندوجو، ولكنهم لم يفلحوا في تحقيق نتائج كبيرة على المستوى الداخلي، ومن ثم انتهجت فرنسا بعد قضائها على ثورة السراكولى*

---

(١)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٥٣.

(2)- Oloruntmehin, O: Franco_Samori relations 1886_1889, P 84.

(3)- Meniaud, J: OP, cit, Tome II, P 135.

(٤)- إبراهيم، عبدالله: المسلمون والاستعمار الأوروبي، ص ١٣٣.

(5)- Meniaud, Jacques: OP, cit, , Tome II, P 135.

*- لويس أرشينارد(١٨٥٠- ١٩٣٢): ولد في ١١ شباط في مدينة لو هافر(Le Haver) ، التحق بخدمة الجيش الفرنسي منذ عام ١٨٧٠، حيث شارك في الحرب الفرنسية البروسية، ومن ثم انتقل إلى الخدمة في السودان الغربي.

Archives nationales :site de Paris, N0 de notice L 0046072.

(6)- Oloruntmehin, O: Franco_Samori relations 1886_1889, P 83.

*- تم لفرنسا القضاء على ثورة الساركولي في كانون الأول ١٨٨٧، عندما نجحو في أسر قائدها محمد الأمين وقطع رأسه. إبراهيم، عبدالله: المسلمون والاستعمار الأوروبي، ص ١١٨.

سياسة توسعية، جرت عليها العداوات مع العديد من الممالك الأفريقية كالتكرور وفوتاجالون وكايور فضلاً عن ساموري، وفي إطار مواجهة هذه العقبات جميعها، عملت فرنسا إلى تهدئة الموقف، ووضع نهاية للحرب المكشوفة مع الماندنغو.

ويرجع هذا التطور إلى مخاوف فرنسا عقب زيارة الميجور البريطاني فستنغ(Festing)* لساموري، وما استتبع ذلك من اتصالات بين فرنسا وبريطانيا في الثاني عشر من حزيران ١٨٨٨، وفي تلك الفترة تزايد خوف فرنسا من أية ترتيبات قد تحدث بين ساموري وبريطانيا قد تكون موجهة ضد مصالحها، لذلك سعى أرشينارد إلى المحافظة على جو الصداقة مع ساموري، دون التخلي عن التحالف مع تيبا حاكم كيندوجو، لكنه سعى في إيقاف القتال بين المملكتين[١]، وكان الهدف من ذلك احتواء فرنسا لإمبراطورية الماندنغو للتخفيف من تورطها، حتى تتمكن من توجيه أنشطتها في باقي الاتجاهات.

وفي المقابل كان ساموري مستعداً لقبول الاتجاه نحو التهدئة، فقد كان بحاجة ماسة لوقف القتال على جميع الجبهات، بعد خسارته الكبيرة أمام أسوار سيكاسو، فبعد حصار دام ستة عشر شهراً، أضطر إلى الانسحاب في أواخر آب ١٨٨٨، بعدما فقد حوالي سبعة آلاف من جنوده، بمن فيهم خيرة القادة أمثال: لاناكافالي(Lanakafali)[٢]، فابو وماليكا موري[٣]، مما أضعف قوة الماندنغو العسكرية، وأفسد مخططات قائدها، فكان لابد من أخذ فسحة من الوقت لاعادة تنظيم القوات.

وهكذا نجد أن العلاقات بين فرنسا والماندنغو خلال عامي ١٨٨٧ـ ١٨٨٨ قد مرت بحالة من الحرب الغير معلنة، إلى أن جنح الطرفان إلى السلم، نظراً لالتقاء مصالحهما في هدنة مؤقتة، ريثما يتمكن كل طرف من التقاط أنفاسه، ومن ثم ينقض على الطرف الآخر.

ي ـ نياكو* (Niako) ٢١ شباط ١٨٨٩:

مثلت هذه الاتفاقية المرحلة الأخيرة من التعايش بين فرنسا والماندنغو، وكانت فرنسا هي البادئة فيها، إذ استغل أرشينارد ماقام به ساموري من حملات ضد سانكاران وأمانا(Amana) الواقعتان على الضفة اليسرى للنيجر، واستنجاد سكانها بالفرنسيين، فاتخذ من ذلك ذريعة للاحتجاج

---

*ـ فستنغ: ضابط بريطاني أرسلته سلطات سيراليون إلى ساموري في ١٨ يناير/ كانون الثاني ١٨٨٨، وقد نجح في أخذ امتياز من ساموري بمد خط حديدي يربط بين فريتاون وإمبراطورية الماندنغو، مما أثار مخاوف فرنسا، إلا أن فستنغ توفي أثناء عودته في أغسطس/ آب، قبل أن يلتقي برؤسائه فذهبت جهوده أدراج الرياح.

Fyfe, C: OP, cit, P 474- 478.

(1)- Meniaud, J: OP, cit, Tome II, P 135 .

(٢)ـ إبراهيم، عبدالله: المسلمون والاستعمار الأوروبي، ص ١٣٣.

(3)- La Justice, Quatorueme année, N 10, Paris, Juin 1893, P 2.

*ـ كانت نياكو العاصمة الاحتياطية للإمبراطورية منذ أواخر آب ١٨٨٨.

Meniaud, J: Op, cit, Tome II, P 135.

لدى ساموري لإيقاف غارات الماندنغو، وتعهد أرشينارد بأن يبذل ما في وسعه من أجل السيطرة على نشاط شعوب المناطق الخاضعة لفرنسا، ومنعهم من عبور النهر ومهاجمة رجال الصوفا، ومضمون هذا الرد أن النيجر بأكمله يمثل الحدود بين إمبراطورية الماندنغو ومناطق النفوذ الفرنسي[١].

في الواقع كان أرشينارد يفكر من وراء ذلك في إجراء ترتيبات جديدة على الحدود، لذلك أرسل الكابتن بوناردو(Bonnardot) إلى نياكو، لتوقيع المعاهدة التي حملت اسم المدينة نياكو وذلك في ٢١ شباط[٢]، التي وتعد أشمل وأدق من سابقتيها، فقد تضمنت عشرة مواد، نصت على الآتي:

المادة الأولى: يمثل نهر النيجر من منابعه الخط الفاصل بين إمبراطورية الماندنغو على الضفة اليمنى، ومناطق النفوذ الفرنسي على الضفة اليسرى.

المادة الثانية: يضع ساموري نفسه مع جميع ممتلكاته تحت حماية فرنسا.

المادة الثالثة: يحتفظ الفرنسيون وساموري بحرية التعامل مع الأقاليم غير المشمولة في المعاهدة.

المادة الرابعة: لا يجوز تحت أي ظرف من الظروف، السماح لقوات الطرفين القيام بما يلي: عبور المواطنين النيجر دون إذن من الطرف الآخر، منع القوات المسلحة من العبور إلى الطرف الآخر.

المادة الخامسة: حرية الملاحة في النيجر.

المادة السادسة: يتعهد ساموري بتقديم الخدمات والتسهيلات لجميع الزائرين الفرنسيين في جميع أنحاء الإمبراطورية في المستقبل، وكذلك تتعهد فرنسا بتقديم التسهيلات للزائرين الماندنغو على أراضيها.

المادة السابعة: ضمان حرية دخول القوافل التجارية لكلا الطرفين إلى أراضي الطرف الآخر سواءً في البر أو في النهر.

المادة الثامنة: الزام ساموري بتعزيز تجارة القوافل مع أعالي السنغال، وفعل كل ما يمكن لحصر تجارته مع المحطات الفرنسية.

المادة التاسعة: إلغاء جميع المعاهدات السابقة.

المادة العاشرة: تعد هذه الاتفاقية نافذة منذ توقيعها، إلا أنها تصبح نهائية بعد تصديق الحكومة الفرنسية عليها[٣].

تأتي أهيمة اتفاقية نياكو بأنها أرست الهيمنة الفرنسية على كامل الضفة اليسرى، واعتبر نهر النيجر بحد ذاته فاصل الحدود بين مناطق النفوذ، كما فرضت دخول عناصر فرنسية إلى أراضي الإمبراطورية سواءً من التجار أو من غيرهم، يلاحظ أن هذا البند لم يكن يشكل خطراً على الحكم

---

(1)- Meniaud, J: OP, cit , P 135.

(٢)- إبراهيم، عبدالله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٣٥.

(3)- Das Staatsarchiv Sammlung, OP, cit, P 172, 173.

الفرنسي بقدر خطورته على سلطة الماندنغو، إذ خبر الماندنغو أرض السودان بأكملها منذ زمن، أما أراضي السودان على الضفة اليمنى فلم تزل مجهولة نوعا ما لدى الفرنسيين، مما يتيح لهم وضع الخطط لضمان السيطرة الفرنسية على تلك الأراضي مستقبلا، كما أعطت المعاهدة العلاقات التجارية أبعاداً جديدة، إذ نظمت المعاملات التجارية بين الطرفين، كما لو أن فرنسا تعترف بسلطة الماندنغو على أنها قوة يحسب لها حساب، بما قدمته من ضمانات وتسهيلات لتجار الماندنغو، بل وذهبت لأبعد من ذلك عندما طالبت بفتح طريق القوافل الذي يصل أعالي نهر النيجر مع أعالي نهر السنغال، وهذا ما يذكرنا بهدف فرنسا من حركتها التوسعية، وهي ربط نهري النيجر والسنغال، فكان طريق التجارة الواصل بين الإقليمين بداية تحقيق أهدافها السياسية الإستعمارية. (رأي الباحث)

ومع ذلك فقد عدت فرنسا هذه الاتفاقية بمثابة تأجيل لمواجهة لا مفر منها، فلم يكن الهدف الحقيقي منها التحالف مع ساموري، وإنما المحافظة على الاتصالات الدبلوماسية معه بما يضمن لها قطع الطريق على بريطانيا للتفاهم مع ساموري[١].

أما بالنسبة لساموري فيمكن القول بأنه كان ينظر للاتفاقية على أنها مجرد مناورة عسكرية تضمن له تهدئة الموقف على الجبهة مع فرنسا، من أجل تعزيز موقفه في مكان آخر، يضمن من خلاله تحقيق نصر مؤكد على الفرنسيين في المستقبل، وما يؤكد هذا التفسير، ماقام به ساموري من اتصالات بزعماء التكرور والإتفاق معهم ضد الفرنسيين[٢].

والجدير بالذكر أن فرنسا على الرغم من إيقافها الحرب بين كنديجو والماندنغو[٣]، إلا أنها استمرت في سياستها في إثارة رعايا ساموري في الداخل، وفي محاباة تيبا وتقديم المعونة العسكرية له[٤]، ورداً على ذلك رفض ساموري تلبية دعوة أرشينارد لزيارته في سيجوري، فاستشاط أرشينارد غضباً، وألقى باللائمة على ساموري، وعلى الفور قاد حملة إلى الضفة اليسرى وأغار على كوروسا، وكانت حتى ذلك الحين تخضع لسلطة الماندنغو، فاستولى أرتشنارد عليها في ١٧أنسيان ١٨٨٩، وتقدم إلى حدود فوتاجالون[٥]، ورداً على ذلك قام ساموري في ٢٣أيار ١٨٨٩ بإرسال نسخته من اتفاقية نياكو إلى أرشينارد[٦].

وبذلك تم نقض اتفاقية نياكو، ومنذ ذلك الحين ساءت العلاقات بين فرنسا والماندنغو، منذرة باندلاع الحرب من جديد.

---

(1)- Oloruntmehin, O: Franco-Samori relations 1886- 1889, P 87.

(2)- Meniaud, J: OP, Cit, Tome II, P 137.

(3)- Meniaud, J: Ibid, Tome II, P 135.

(4)- Meniaud, J: Ibid, Tome I, P 394, 395.

(5)- Manes, J: Soudan Francais Resume de la Campagne 1888-1889, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux, Bulletin deuxième série neuvième année imprimerie G. gounouilhou 11 Rue guraude 11, Bordeaux, No 20, October 1889, P 616.

(6)- Oloruntmehin, O: Franco_Samori relations 1886_1889, P 90.

ك ـ الفترة الانتقالية ما بين السلم والحرب ١٨٨٩ـ١٨٩٠:

تلى نقض اتفاقية نياكو مرحلة من الهدوء، لم يقم فيها أي من الطرفين بالهجوم على الآخر، إلا أن الاستعدادات للحرب الشاملة كانت لاتزال قائمة على قدم وساق.

فقد واصلت فرنسا وبصورة علنية نشاطها ضد ساموري، بتحريضها على الثورة في الإمبراطورية[١] مستغلة تذمر الشعب من المصادرات المتكررة للمؤن ووسائل النقل، وأحكام التجنيد القسري، فقامت بث دعاية بين الشعب مفادها بأن حريتهم المسلوبة يمكن أن تسترد[٢]، كما عمدت إلى تطويق الإمبراطورية عن طريق مساعدة تيبا عسكرياً[٣]، والعمل على القضاء على إمبراطورية التكرور[٤]، وبذلك تكون فرنسا قد أحاطت إمبراطورية الماندنغو من الجهات الثلاثة.

إلا أن الخوف الحقيقي كان متمثلاً في النفوذ البريطاني في الجنوب، فقد خشيت فرنسا من إستثارة ردود أفعال الحكومة البريطانية ، ولما كانت قد فشلت في إبعاد بريطانيا عن طريق إستمالة ساموري، فإنها استمرت في سياستها تلك عن طريق استمالة بريطانيا نفسها، وبالوسائل الدبلوماسية أيضاً، وقد تكللت مساعيها بالنجاح، إذ أثمرت المفاوضات "بتوقيع معاهدة في ١٠ آب ١٨٨٩، اعترفت فيه بريطانيا بحقوق فرنسا في فوتاجالون، وببسط حمايتها على إمبراطورية الماندنغو"[٥]، كما "نصت على ترك الحرية التجارية لبريطانيا فيما تحت الخط العاشر*، على ألا تدخل بريطانيا إلى الشمال من هذا الخط"[٦]، مما يعني أن بريطانيا قد أطلقت يد فرنسا في منطقة أعالي النيجر، بما لا يمس مصالحها التجارية، أما فرنسا فبعدما أمنت الموقف الإنكليزي، فلم يبق أمامها سوى القضاء على إمبراطورية التكرور، حتى يسهل القضاء على الماندنغو.

أما عن ساموري، فقد كان أثناء ذلك منهمكاً في القضاء على الثورة العامة التي اندلعت في أرجاء مملكته، ـ ولم يستثنى منها سوى المناطق الجنوبية وأعالي ميلو[٧]ـ ، ولم يكن بمقدوره أن يقدم على شن هجوم جديد ضد فرنسا، وفي الوقت نفسه كان يخشى من هجوم فرنسي قد يقضي على إمبراطوريته بالكامل، إلا أنه لم يستسلم لهذه المخاوف، بل عمد إلى مناورة ذكية مكنته من استجلاء

---

(1)- Meniaud, J: OP, cit, tome II, P 147.

(٢)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٧.

(3)- Meniaud, J: OP, cit, tome II, P 147.

(4) -Person, Y: Samori, P 272.

(٥)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٠.

*ـ تعد مدينة كانكان الحد الفاصل وذلك لوقوعها على الخط العاشر.

Lettres du Soudan de Paul Edmond Lecerf, Arthur Rousseau Editeur 14, Rue Soufflot et Rue Toullier, 13, Paris, 1895, P 33.

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٩.

(٧)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع نفسه، ص٦٦٦.

حقيقة الموقف الفرنسي، وتضليله في الوقت نفسه، إذ قام بإرسال ابنه كاراموكو(Karamoko) إلى سيجوري متظاهراً بالانشقاق عن أبيه، وأعطى الفرنسيين معلومات خاطئة عن وضع جيوش ساموري[١].

وبالنتيجة علم ساموري بعدم نية فرنسا في مهاجمته قبل قضائها على إمبراطورية التكرور، وبدوره أعلن التزامه باتفاقية بيساندوغو، وأصدر أوامره إلى جنوده بعدم القيام بأي هجوم على مناطق نفوذ فرنسا[٢]، إلا أنه لم يهمل الاستعدادات لحربه المقبلة معها، ورأى أن يستغل حرب فرنسا على التكرور، في تدعيم مساعيه السابقة في إيقاف العداء بين الطرفين، وتوحيد الجهود ضد العدو المشترك ألا وهو فرنسا، وبالفعل قامت علاقات طيبة بين ساموري وعجيب حاكم دنجيراي، وكان الأخير قد كتب إلى شقيقه أحمد يطلب منه الكف عن معاداة ساموري، وكذلك قام ساموري بالكتابة إلى أحمد، وبالفعل وافق أحمد أوائل العام ١٨٩٠على وضع نهاية للمواجهة مع ساموري[٣].

إلا أن ساموري لم يلبث أن تنفس الصعداء عقب الاتفاق مع أحمد، حتى عاد الخطر من جديد، حيث اجتاحت فرنسا مناطق سيطرة التكرور، وتقدمت فيها بسرعة كبيرة، وقد أسفرت حملتهم تلك عن سقوط العاصمة سيجو في آذار ١٨٩٠[٤]، وعندما علم ساموري بسقوط سيجو، الذي كان من نتيجته تطويق إمبراطوريته من الشمال، سارع إلى الارتماء في أحضان الإنكليز في الجنوب، حيث عرض عليهم وضع ممتلكاته تحت الحماية البريطانية، إلا أن القيادة العليا في بريطانيا لم تكن ترغب في إزعاج فرنسا، فرفضت عرض ساموري وأعلنت تمسكها بالاتفاق الموقع مع فرنسا عام ١٨٨٩[٥].

عندها أدرك ساموري أنه أصبح وحيداً في الميدان، وأنه لابد له من الاعتماد على مقدرات بلده في المواجهة القادمة مع فرنسا، ومع ذلك كان هناك بصيص من الأمل في أن يتلقى الدعم من بريطانيا، إذ أن الاتفاق البريطاني الفرنسي لم يلغ حق بريطانيا في التجارة مع إمبراطوريته، فاستغل ساموري ذلك وقام بتوسيع المبادلات التجارية مع سيراليون، حيث قام في ذلك العام بشراء ستة آلاف قطعة حربية، توجهت نحو كروان(Kieraoune) في أعالي ميلو، حيث انكفأ ساموري قبل التعبئة العامة ضد فرنسا[٦].

وعلى هذه الصورة ساد الهدوء على الجبهة بين فرنسا وإمبراطورية الماندنغو خلال عامي ١٨٨٩ـ ١٨٩٠، ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة، حيث لم يكد ينته العام١٨٩٠ حتى كانت الحرب تدق الأبواب.

---

(1)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 285, 20 Octobre 1891, P 5045.

(2)- Person, Y: Samori, P 272.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٨.

(٤)ـ إبراهيم، العبدالله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٣٦.

(٥)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٩.

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع نفسه، ص ٦٦٩.

ثالثاً- المرحلة الثالثة ١٨٩١- ١٨٩٣:

أ- حملة العقيد لويس أرشينارد ١٨٩١:

بعد نقض اتفاقية نياكو قضي على كل أمل في تحقيق السلام بين فرنسا وإمبراطورية الماندنغو، حيث أثبتت الوسائل الدبلوماسية فشلها في إحلاله، ولم يعد هناك بديل عن الحرب، إلا أن كلا الطرفين احتفظا بالهدوء طيلة عامين، استمرت خلالهما الاستعدادات لحرب مدمرة، حيث كان كل طرف يتأهب للقضاء على الآخر، إلى أن جاء العام ١٨٩١، حيث خرقت فرنسا ذلك الهدوء الذي ساد جبتها مع الماندنغو ، وتم ذلك بقرار شخصي من قبل العقيد أرشينارد، مخالفاً تعليمات حكومته القاضية بتصفية إمبراطورية التكرور، قبل التوجه لقتال ساموري، وقد جاء هذا التغير المفاجئ في قرارات أرشينارد بسبب الرسالة التي عثر عليها في نينور العاصمة الثانية للتكرور، عقب سقوطها بيد الفرنسيين في ١ كانون الثاني ١٨٩١[١]، وكانت الرسالة عبارة عن دعوة موجهة من ساموري إلى أحمد يدعوه فيها للتحالف ضد الفرنسيين[٢]، مما أثار حفيظة أرشينارد، وقرر تأديب ساموري بضربه في عقر داره، رغم معارضة حاكم السودان الفرنسي[٣].

إلا أن أرشينارد لم يتوجه مباشرة إلى أراضي الماندنغو، فقد رغب في المحافظة على نوع من السلام بينه وبين ساموري إلى أن ينقضي فصل الشتاء[٤]، حتى إذا ما حل شهر آذار، بدأ أرشينارد سيره مع جنوده البالغ عددهم ٤٠٠ من القوات النظامية، و٦٠٠ من المساعدين، ووصلوا سيجوري في ٢٨ آذار، حيث غادروها في ٣٠ آذار ليعبروا الضفة اليمنى للنيجر[٥].

لم يكن هدف الحملة القضاء على الإمبراطورية، وإنما الوصول إلى كانكان وبيساندوغو، إذ أن الاستيلاء عليهما من شأنه أن يؤدي إلى ثورة عارمة داخل الإمبراطورية مما سيؤدي إلى إضعافها، وإن لم يحدث ذلك فإن أرشينارد مستعد لبذل المزيد من الجهود[٦].

عبرت الحملة النيجر، ودخلت أراضي الإمبراطورية في الثاني من نيسان، واتخذت طريقها نحو كانكان بكل سهولة إذ لم تواجه أي مقاومة في طريقها، بل ولقيوا ترحيباً من سكان المناطق التي

---

(1)- Ernest, A, Lavisse, R: Histoire générale depuis siècle à nos jours, Librairie Armand Colin 5, Rue de Mezieres, Paris, 1902, P 724.

(2)- Journal official de la République Française Lois et décrets, N 284, 19 October 1891, P 5031.

(٣)- السروجي، محمد محمود: المرجع السابق، ص ١٧٢.

(4)- Journal official de la République Française Lois et décrets, N 45, 10 Fevrier 1893, P 3201.

(5)- Brun, M: La France illustrée géographie histoire administration statistique, Jules Rouf et Cie Editeurs 14, Cloitre Saint Honore 14, Paris, Tome VI, P 36.

(6)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 284, OP, cit, P 5031.

مروا بها، كما أن سكان فودياكاريا (Fodekaria) أخبروهم بأن ساموري موجود في كانكان[١].

وعندما اقتربت الحملة الفرنسية من كانكان، أصدر ساموري أوامره بإخلائها وإحراقها، حيث قام بالتراجع إلى بيساندوغو [٢]، وكانت النتيجة أن تمكن الفرنسيون من دخول كانكان دون مقاومة حيث سقطت بأيديهم في نسيان ١٨٩١[٣].

لم يدخر أرشينارد الوقت، ورأى أن يواصل عملياته الحربية عقب سقوط كانكان مباشرة، حيث أمر بتشكيل حملة فرعية بقيادة الكابتن هوجيني(Hojene)، تابعت سيرها باتجاه بيسانودغو في اليوم نفسه[٤]، حيث غادرت كانكان الساعة الثانية ظهراً.

وعندما علم ساموري بأمر حملة هوجيني على بيساندوغو، أراد أن يوقف الهجوم الفرنسي أو على الأقل أن يحرمهم من جني ثمار النصر على الوجه الأمثل، لذا اتبع تكتيكين عسكريين في مواجهة هذه الأزمة، وهما حرب العصابات والأرض المحروقة، حيث "قسم قواته إلى قسمين، قسم يقوم بالتصدي للقوات الفرنسية المتقدمة، والآخر يقوم بحرق المناطق الواقعة على الطريق إلى بيساندوغو".

بدأت قوات المانـدنغو عملياتها ضد الحملة في الثامن من نيسان عند مدينة كوكونا (Koukouna)، فلم يكد الفرنسيون يصلون إليها[٥]، حتى فوجئوا بهجوم خاطف أوقع في صفوفهم عدد من القتلى، إلا أن ذلك لم يمنعهم من مواصلة سيرهم، حيث تعرضوا في اليوم التاسع من نيسان لهجوم آخر عند نهر دياموDiamou)[٦]، وتمكن الفرنسيون من صد الهجوم، وتابعوا طريقهم إلى بيساندوغو، وفي تلك الأثناء أمر ساموري بإخلاء بيساندوغو، والانتقال إلى ساننكورو، وبذلك دخل الفرنسيون بيساندوغو في مساء اليوم نفسه[٧]، ليجدوها خالية على عروشها بعدما أحرقها رجال الصوفا[٨]، وفروا في طريقهم إلى ساننكورو، في حين فشل الفرنسيون في تعقبهم ، بسبب نقص المؤن والذخيرة، إضافة إلى الانهاك الشديد الذي حل بالجنود[٩]، فلم يجد هوجيني فائدة من البقاء في مدينة محروقة، في ظل الظروف الصعبة التي تواجهها الحملة، فاتخذ قراره بالعودة إلى كانكان[١٠].

---

(1)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 285, OP, cit, P 5046.

(2)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 286, 21 Octobre 1891, P 5062.

(3)- Brun, M: OP, cit, P 36.

(4)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 286, OP, cit, P 5063.

(5)- Chailley, N: OP, cit, P 292 .

(6)- Brun, M: OP, cit, P 36.

(7)- Chailley, N: OP, cit, P 292 .

(8)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 286, OP, cit, P 5064.

(9)- Brun, M: OP, cit, P 36.

(10)- Cheilley, H: OP, cit, P 292.

إلا أن ساموري لم يكن ليدع الحملة الفرنسية تعود إلى كانكان بسلام، فقد أرسل جيشه ليقطع الطريق عليهم ويلقي الرعب في قلوبهم ، حيث نصبوا لهم الكمائن العديدة، وقاموا باطلاق النار عليهم، فأصيب الفرنسييون بذعر شديد، إلا أن هوجيني بما تحلى به من رباطة جأش تمكن مع قواته من فتح الطريق بعد نصبهم عدة كمائن لقوات الماندنغو[١]، ووصل كانكان أخيراً في الثاني عشر من نيسان حيث انضم إلى أرشينارد[٢]، بعدما خسر من جنوده مايقدر بتسعة قتلى[٣].

تلقى أرشينارد خبر النصر الذي حققه هوجيني، وكان قد اشتد عليه المرض[٤]، مما اضطره إلى الرحيل عن السودان والعودة إلى فرنسا[٥]، ففي اليوم الذي تلى وصول هوجيني إلى كانكان، بدأت رحلة أرشينارد إلى فرنسا، بعدما أوكل مهمة قيادة القوات الفرنسية في كانكان إلى القائد أرلابوس(Arlabosse)[٦].

وبذلك انتهت حملة أرشينارد، التي نتج عنها إنشاء مثلث سيجوري، كوروسا، كانكان[٧].

وهنا يحق للقارئ التساؤل ماهو سبب اختيار كانكان مركزاً للحامية الفرنسية، وليس بيساندوغو، مع أن القاعدة الرئيسة في الحروب، هي أن الاستيلاء على العاصمة واتخاذها مركزاً للطرف المنتصر يعني إهانة كبيرة للخصم؟ لذلك أليس من الأجدر جعل مركز القيادة في بيساندوغو؟

إن الجواب عن هذا السؤال يكمن في طبيعة خطط فرنسا، فإذا ما عدنا إلى الوراء قليلاً، أي إلى فترة الاستعدادات التي سبقت الحملة، لوجدنا أن فرنسا عمدت بداية إلى عزل إمبراطورية الماندنغو، قبل القضاء عليها، وقد نجحت نسبياً في ذلك، إذ أن السلطات البريطانية في سيراليون، وإن اعترفت لفرنسا بحق الحماية على إمبراطورية الماندنغو إلا أنها استمرت في توريد السلاح إلى الإمبراطورية وذلك بمقتضى الاتفاق الذي تم بين الطرفين، إذاً كانت فرنسا تعد كانكان مفتاح خطوط التجارة مع سيراليون، خاصة وأن معاهدة١٨٨٩ قد نصت على حصر تجارة بريطانيا ما وراء الخط العاشر أي ما وراء كانكان، ووجود الحامية الفرنسية فيها يعني أن فرنسا قد أصبحت على تماس مباشر مع خطوط التجارة مع سيراليون (رأي الباحث)، فما هو موقف ساموري من ذلك؟

أما عن موقف ساموري بعد الاستيلاء على عاصمته، فقد اضطر إلى نقل مركز ثقل دولته إلى أعالي نهر ميلو*، حيث اتخذ من أوروسيجو(Orousego) الواقعة إلى الوراء من كانكان، مقراً

---

(1)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 286, OP, cit, P 5064.

(2)- Brun, M: OP, cit, P 37.

(3)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 286, OP, cit, P 5064

(4)- Person, Y: Samori, P 272.

(5)- Brun, M: OP, cit, P 36.

(6)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 286, OP, cit, P 5064.

(7)- Brun, M: OP, cit, P 37.

*ـ أما عن سبب اختيار ساموري لأعالي ميلو فمرده إلى أنها كانت تحت سيطرة أخواله الكامارا، فكانت ولم تزل هادئة خالية من الحركات التمرد الانفصالية، فكانت المكان الأنسب لتجمع الماندنغو فيه، في ظل الثورة العامة التي كانت تشهدها البلاد. كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦٦.

رئيساً له[١]، ومن هناك أخذ ساموري يعد لعملياته ضد الفرنسيين، فبحنكته العسكرية، عرف ما يجب عليه فعله، فقد كان عليه أن ينقذ خطوط مواصلاته مع سيراليون، والتي باتت مهددة من قبل حامية كانكان، لذلك سارع بإرسال قائده بلال إلى المناطق الواقعة بين سيراليون وفوتاجالون لإحكام السيطرة عليها، كما أرسل قواته لقطع طرق الامدادات بين بيساندوغو وكانكان[٢]، وكان بين الحين والآخر يقوم بتوجيه قواته للإغارة على مناطق نفوذ الفرنسيين سواءً على الحدود على الضفة السيرى، أو على القوات المتواجدة في قلب دولته، حيث استمرت الأحوال على هذا المنوال مدة خمس أشهر، حتى قدوم الحملة الفرنسية التالية بقيادة العقيد جورج همبرت*(George Humbert)[٣].

وفي ختام الحديث عن حملة أرشينارد، يستوقف الباحث تساؤل حول قرار أرشينارد المفاجئ بالتحول لقتال الماندنغو، أليست الرسالة التي عثر عليها غير كافية منقطياً لاتخاذ مثل هذا القرار، خاصة أنه مخالف لتعليمات الحكومة الفرنسية؟

لما كان قرار أرشينارد هذا قراراً فردياً، فيمكن استخلاص الجواب من حياة أرشينارد الشخصية، فعند الغوص في حياته العسكرية، يتضح أنه تعرض لموقفين اعتبرهما إهانة كبيرة له، وانتقاصاً منه، أولهما ترتيبه المتأخر عن رفاقه في المدرسة العسكرية، وثانيهما أن الحكومة الفرنسية قد أخرت ترقيته[٤]، وعلى ما يبدو أن شعوره بالنقص قد دفعه إلى تعويض ذلك عن طريق المغامرات الاستعمارية وتحقيق قفزات كبيرة في السودان الغربي، وذلك بالقضاء على إمبراطوريتي التكرور والماندنغو في الوقت نفسه.(رأي الباحث)

ب ـ حملة العقيد جورج همبرت ١٨٩١ـ ١٨٩٢:

بعد عودة أرشينارد إلى فرنسا، كلفت القيادة العليا العقيد جورج همبرت مهمة قيادة الحملة التالية، لإتمام ما بدأه أرشينارد، حيث وصل همبرت إلى كايس في ٩ تشرين الأول ١٨٩١، ليتسلم قيادة القوات[٥]، التي كان عددها في البداية ١١٠٠ مقاتل[٦]، تم تخفيضهم إلى ٤٥٠، بسبب الحمى

---

(1)- L'armée coloniale Revue indépendante hebdomadaire, N 24, 20 Juin 1891, P 3 .

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Inprimerie-Librairie Militaire Universelle L.Fournier 264 Boulevard Saint- Germain 264, Paris, 1934, P 10, 11.

*ـ جورج همبرت(١٨٦٢ـ ١٩٢١): ولد في ٨ نيسان عام غزيران(Gazeran)، التحق بالجيش الفرنسي عام ١٨٧٥، شارك في حملة تونكين(١٨٨٥ـ ١٨٨٧)، ثم تم تكليفه بقيادة الحملة على السودان عام ١٨٩٢.

Archives nationales :site de Paris, N0 de notice L 1325032.

(٣)ـ لمعرفة المزيد انظر:

Chailley: OP, cit, P 292. et Brun, Malte: OP, cit, P 37 .

(4)- Suret-Canale, J: Afrigque Noire Occidentale et Centrale, Editions Sociales, Paris, 1958, P 208.

(5)- Chailley: OP, cit, P 135 .

(6)- Mangin: Regards la France d'Afrique, Avec quatrecartes, Librairie Plon- Nourrit etCie, Imprimeurs-Editeurs 8 Rue Garancière 6, Paris, P 197.

الصفراء التي أصابت عدداً كبيراً من الجنود، أقعدتهم عن القتال، وبسبب الثورات التي اندلعت في الشمال[١]، أي أراضي التكرور التي استولت عليها فرنسا حديثاً.

سارت الحملة من كايس إلى سيجوري، حيث وصلتها في ١٩ كانون الأول[٢]، ومن ثم قامت بعبور نهر النيجر في الثاني من كانون الأول ١٨٩٢، لتصل إلى كانكان في السادس من كانون الأول[٣].

كانت خطة همبرت تقوم على تدمير نقاط قوة ساموري في وادي ميلو[٤]، وإيقاف حركة التجارة مع سيراليون، فضلاً عن دعم الحركات الإنفصالية، وبذلك يكون ساموري قد تعرض للضرب في كل مكان، وبالتالي فلن يكون من الصعب الإجهاز على دولته[٥].

نظم همبرت حملته، حيث قسم قواته إلى قسمين، فيلق قتالي تحت قيادته، وفيلق التزود بالوقود[٦].

غادر الفيلق القتالي كانكان في ٩ كانون الثاني ١٨٩٣، وسار باتجاه بيساندوغو، وبسبب انتشار الماندنغو على الطريق الرئيسي بين كانكان وبيساندوغو، فقد اضطرت الحملة إلى السير في طريق فرعي عبر منطقة جبلية مغطاة بالأشجار والمستنقعات، حيث اجتازها بصعوبة[٧]، وفي اليوم نفسه على بعد ١٢كم من سانا(Sana)، تعرضت القوات الفرنسية لهجوم الماندنغو، وفي اليوم الحادي عشر تعرضوا لهجومين آخرين، أحدهما عند نهر ديامو، والآخر عند نهر سومبي كب(Sombi-KB)[٨]، وقد نجح الفرنسيون في دفعهم، وتمكنوا من عبور النهر، وفي اليوم التالي وصلوا إلى بيساندوغو، ودخلوها بسهولة، حيث توقفوا فيها بانتظار عمود الامداد الذي وصل في ١٨كانون الثاني[٩].

وفي بساندوغو أخذ همبرت يعد العدة للهجوم على سانكورو وكروان، الواقعتان على بعد

---

(1)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N45, 15 Fevrier1893, P 821.

(2)- Chailley: OP, cit, P 135.

(3)- Brun, M: OP, cit, P 37.

(4)- Person, Y: Samori, P 273.

(5)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N45, OP, cit, P 822.

(6)- Peroz, Etienne: Au Niger Récits De Campagnes 1891- 1892, Calmann Levy Editeur Ancienne Maison Michel Levy Frères 3, Rue Auber,3, Paris, 1894, P 269.

(7)- Brun, M: OP, cit, P 38.

(8)- Archinard, L: Le Sénégal Et Le Soudan Français La France Coloniale, Armand Colin, Paris, 1893, P 226.

(9)- Brun, M: OP, cit, P 38.

٨٠كم من بيساندوغو، وواحد كم إلى يمين نهر ميلو[١]، وعندما أتم استعداداته، غادر مع قواته بيساندوغو في ٢٢ كانون الثاني، في طريقهم إلى ساننكورو، حيث تعرضوا على طول الطريق لهجوم قوات الماندنغو، ففي ٢٣ كانون الثاني وقعت ثلاثة معارك، وفي الرابع والعشرين خاضوا معركة في فامادوغو(Famadougou)، وكانت هذه المعركة نهاية هجوم الماندنغو، حيث استلم الفرنسيون بعدها زمام المبادرة، وانهارت أمامهم خطوط دفاع الماندنغو على التوالي، وفي ٢٦ دخل الفرنسيون ساننكورو وكروان، حيث تراجع ساموري إلى ماوراء نهر ميلو.

لم يكتف همبرت بالنصر الذي حققه على الماندنغو في ساننكورو وكروان، فقد رأى أن يستغل موقفه العسكري المتفوق، من أجل انتزاع مناطق أخرى، فكان أن استقر رأيه على التوجه إلى توكورو(Toukoro)، على الضفة اليسرى لنهر ميلو[٢]، وذلك لأهميتها من كونها مخزن الأسلحة والذخيرة، وما سيترتب على سقوطها من المزيد من الإضعاف لإمبراطورية الماندنغو.

بدأت الحملة الفرنسية على توكورو في ١٤ شباط، حيث غادر همبرت كروان ـ مركز إمدادات الحملة، متجهاً إلى توكورو التي وصلها في اليوم نفسه، وسرعان ما بدأ الهجوم الفرنسي على المدينة.

بخلاف ساننكورو وكروان، لم يكن الاستيلاء على توكورو بالأمر السهل كما ظن همبرت، فقد أحكم ساموري تحصيناتها، مما اضطر الفرنسيين إلى تكثيف هجماتهم، إلى أن سقطت بإيديهم[٣]، موقعين عدداً من القتلى في صفوف الماندنغو، بينما لم تتعد خسائر الفرنسيين سوى ستة من الجرحى، وسرعان ما أحكم الفرنسيون السيطرة عليها، مستولين على جميع مافيها من أسلحة وذخائر، وقد قدرت ب ٧٠ألف طلقة، و٢٠ألف كيلو غرام من الذخيرة، ولدى انتهائهم من جمع الغنائم، أخذ همبرت طريقه إلى كروان، بعدما ترك حامية صغيرة في توكورو[٤].

وبالاستيلاء على توكورو توقف التقدم الفرنسي في المنطقة، وذلك بسبب الضربات المتواصلة التي تلقوها من الماندنغو، حيث استمرت المناوشات على المناطق الحدودية، ما بين كر وفر، طوال الفترة الممتدة من ١٧إلى ٢٧ شباط، مما أجبر الفرنسيين على وقف التقدم[٥].

ومن ثم قام ساموري بتغيير خطته، من مهاجمة المناطق الحدودية مع الفرنسيين، إلى مهاجمتهم في مراكز امداداتهم، حيث أرسل قواته إلى القرب من بيساندوغو، وقاموا بتهديدها، مما أجبر همبرت على الإسراع إليها ووصلها في ٨ آذار، حيث خاض في يوم واحد عدة معارك مع قوات الماندنغو، تمكن في نهايتها من إجلائهم عن المدينة، وفي اليوم التالي أسرع إلى كروان التي

---

(1)- Le Constitutionnel : journal du commerce politique et litteraire, Paris, 5 Février 1892, P 1.

(2)- Archinard, L: OP, cit, P 227.

(3)- Brun, M: OP, cit, P 39.

(4)- Archinard, L: OP, cit, P 227.

(5)- Brun, M: OP, cit, P 39.

تلقت تهديداً آخر، فوصلها في ١٥آذار[١]، إلا أنه أخفق في فك الحصار عن المدينة[٢].

لم يستطع همبرت البقاء في كروان، إذ وجد نفسه في موضع حرج بسبب نقص المؤن والذخيرة[٣]، ولم يكن بإمكانه جمع الإمدادات من المناطق المجاورة، ذلك أن ساموري قام بإحراقها قبل الانسحاب منها[٤]، فضلاً عن الخسائر البشرية الكبيرة التي وقعت في صفوف جيشه، حيث قتل ٨١ جندي خلال المعارك[٥]، مما اضطره إلى العودة إلى بيساندوغو، تاركاً مواقع متقدمة صغيرة وغير ثابتة في سانكورو وكروان[٦]، دون أن يكون في مقدوره فعل شيء، وهكذا أعلن همبرت عن عجزه، وقرر العودة إلى فرنسا[٧]، حيث غادر إلى سيجوري ومن هناك تابع سيره إلى كايس التي وصلها في ٢٢ أيار، ومن هناك عاد إلى فرنسا[٨].

وفي تلك الأثناء خاضت حامية سانكورو وكروان العديد من المعارك ضد جيش الماندنغو، أهمها على الإطلاق المعركة التي شنها الفرنسيون على الماندنغو في كاباندياراا(Kabandiara)، على بعد ٤٠كم عن كروان، وقد تمكن الماندنغو من التصدي لهم موقعين عدداً من القتلى في صفوفهم[٩].

وهكذا كانت قوات الماندنغو على حرب متواصلة مع القوات الفرنسية على مدار خمسة أشهر من بداية الحملة في شهر كانون الثاني، وحتى شهر أيار، وهنا يدور في خلد القارئ السؤال عن نهاية تلك المعارك التي لا يبدو أنها ستنتهي، والأهم من ذلك ما هو وضع جيش الماندنغو بعد هذا القتال الطويل، هل بإمكانه الصمود، خاصة وأن ساموري يعلم بأن هناك امدادات ستأتي من فرنسا كالعادة؟

صحيح أن جيش الماندنغو قد تمكن من الصمود خلال معاركه تلك، إلا أن قواه بدأت تخور، بسبب الإجهاد الناتج عن المعارك المتواصلة، ولم يعد بمقدوره سوى ابطاء تقدم العدو، دون إيقاع خسائر بشرية، وبسبب العواقب التي ألمت به، وبعد المقاومة العنيفة التي أبداها ضد الفرنسيين[١٠]، دون أن يتمكن أي من الطرفين من حسم الأمور، فلم يكن بمقدور الماندنغو الرهان على النصر، لذا

---

(1)- Brun, M: OP, cit, P 39.

(2)- Person, Y: Samory, P 273.

(3)- Kanya-Forstner, A: OP, cit, P 188 .

(4)- Baratier: Atravers l,Afrique, P 71.

(5)- Mangin: la France d'Afrique, Avec quatrecartes, OP, cit, P 197.

(6)- Kanya-Forstner, A: OP, cit, P 188.

(7)- Person, Y: Samory, P 273.

(8)- Brun, M: OP, cit, P 40.

(9)- Brun, M: Ibid, P 40.

(10)- Person, Y: Samori, P 273.

فإن الحل الوحيد أمام ساموري، هو اللجوء إلى منطقة معزولة، بحثاً عن السلام، ولو مؤقتاً، حتى يتسنى له إعادة ترتيب قواته، ولما كانت المنطقة الشرقية مغلقة بسبب وجود مملكة سيكاسو، لم يكن أمامه سوى الجنوب الشرقي على حواف الغابة الإيفوارية، حيث بدأ الزحف مع جميع أركان دولته في أيلول ١٨٩٢وكان نياما كالا عمارة* ينظم حركة المدنيين[١]، بينما كان جنود الصوفا يغطون هذا الانسحاب[٢]، وقد اتخذ ساموري من نافانا(Nafana)، مركزاً له[٣]، حيث أودع فيها زوجاته و وممتلكاته[٤].

وأخيراً فإن الدارس لأحداث هذه الحملة يلحظ أن همبرت قد تسرع في إعلان إخفاقه، فهو لم ينتظر ليرى أن هدفه من الحملة قد تحقق ولو بشكل جزئي، ألا وهو جلاء ساموري عن أعالي ميلو، وإن فشل في تحقيق أهدافه الأخرى فإنه نجح في إيجاد "قاعدة صلبة لانطلاق عمليات الحملة القادمة"[٥].

د ـ حملة العقيد أنطوان كومبس ١٨٩٢ـ ١٨٩٣:

في الوقت الذي كان فيه ساموري يزحف نحو الجنوب الشرقي، كانت فرنسا تستعد لتوجيه ضربتها القاضية، فقد عاد أرشينارد من فرنسا[٦] إلى السودان في تشرين الثاني ١٨٩٢[٧]، حيث استلم منصبه السابق كقائد أعلى للقوات الفرنسية في السودان، وكان قد تلقى تعليمات من حكومته تخبره فيها بضرورة ربط مناطق النفوذ الفرنسي في السودان، والاستعاضة عن الخيار العسكري بسياسة الاختراق السلمي، إلا أنه لم يكن ليستطع تنفيذ ذلك بوجود إمبراطوريتي الماندنغو والتكرور، لذا قرر القضاء عليهما في وقت واحد، ولما لم يكن بمقدوره قيادة الحملتين معاً، فقد أسند قيادة الحملة ضد الماندنغو إلى كومبس، بينما قاد بنفسه الحملة ضد التكرور[٨]، وقد صدر القرار بشأن ذلك في بداية كانون الأول ١٨٩٢[٩].

كان هذا التأخر في قرارات الفرنسيين، يصب في مصلحة ساموري، الذي كان قد أتم تجميع قواته وشعبه، في الجزء الجنوبي الشرقي من إمبراطوريته، كما كان بلال لا يزال يحكم سيطرته

---

*ـ وهو المخطط والخبير العسكري في الإمبراطورية.

(1)- Person, Y: Samori, P 273.

(2)- Archinard, L : OP, cit, P 227.

(3)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 17.

(4)- Brun, M: OP, cit, P 39.

(5)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 17.

(6)- Person, Y: Samori, P 273.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P11.

(8)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 14 .

(9)- Lettres du Soudan de Paul Edmond Lecerf, OP, cit, P 3 .

على طريق الامدادات مع سيراليون في الجنوب[١].

وبناءً على ذلك قامت خطة الفرنسيين على ضرب خطوط المواصلات بين الماندنغو وسيراليون، والقضاء على إمبراطورية الماندنغو بشكل نهائي، وتطهير مناطق أعالي النيجر وأعالي ميلو من جنود الصوفا[٢]، لذلك قام كومبس بتقسيم قواته إلى فرقتين، الأولى تحت قيادة بريكيلو(Briquelot) لقتال بلال في الجنوب، والثانية تحت قيادة كومبس لقتال ساموري في الجنوب الشرقي[٣].

بدأت الحملة الفرنسية عملياتها في كانون الثاني ١٨٩٣، بهجوم بريكيلو على المدن الواقعة على الطريق إلى ايرماكونو، بينما قوات الماندنغو تنفذ انسحابات تكتيكية أمام الجيش الفرنسي، سارع ساموري في محاولة للاقتراب من سيراليون، لمساعدة بلال، حيث سار باتجاه جنوبي غربي، لكنه أخفق في إدراك قوات بلال بسبب مقاومة سكان المناطق الواقعة على الطريق إلى هناك، الذين استنجدوا بالفرنسيين، كما أن سرعة بريكيلو في التقدم حال دون اتحاد ساموري مع بلال، مما أجبر ساموري على التراجع عن نجدة بلال، حيث لجأ إلى كونافادي(Kounafadie)، وانكفأ فيها[٤].

وخلال تواجد ساموري في كونافادي، علم من جواسيسه أن الفرنسيين بقيادة كومبس في طريقهم إليه، فسارع بإصدار الأوامر بإحراق كونافادي، والانسحاب نحو جيليبيا(Gueleba)، ونافانا لحمايتهما من هجوم فرنسي مرتقب[٥]، لذلك عندما وصل كومبس إلى كونافادي، في ١٩ كانون الثاني، لم يجد ما يفعله، فعاد أدراجه إلى ميلو، لإعادة ترتيب خططه، واضعاً نصب عينيه طرد ساموري من نافانا[٦].

وفي ميلو أعاد كومبس ترتيب خططه، حيث قرر تقسيم القوات التي معه على محورين ، الأول بقيادة دارجيلوس مهمته السيطرة على إقليم كيسي، والآخر تحت قيادة كومبس، من أجل السيطرة على المناطق الشرقية، وإلقاء القبض على ساموري.

غادر دارجيلوس ميلو في ٢٦ كانون الثاني، متجها إلى كيسي، حيث كانت الأرائك متمركزة في عاصمتها فيرويا(Firaoua)[٧]، وأثناء معاركه مع قوات الماندنغو في كيسي، كان كومبس قد أتم تجهيز جيشه البالغ قوامه ١١٣مقاتل، وخرج بهم في ٤ شباط، متجهاً شرقاً، حيث كانت مدينة فارنا

---

(1)- Renseignements Coloniaux Et Documents…, OP, cit, P 41.

(2)- Renseignements Coloniaux Et Documents…, Ibid, P 41.

(3)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 14.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 15.

(5)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 17.

(6)- Renseignements Coloniaux Et Documents…, OP, cit, P 43.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 19.

قبلته الأولى[١].

وهكذا كان الجيش الفرنسي يعمل على ثلاث محاور في الوقت نفسه، وكان النصر الأول على الجبهة التي يقودها دارجيلوس، فقد نجح في السيطرة على بلاد كيسي في ٥ شباط ١٨٩٣، حيث هربت الأرائك باتجاه الشرق للإنضمام إلى ساموري[٢]، وبذلك تكون فرنسا قد أخضعت كامل المنطقة الممتدة ما بين نهري النيجر وميلو[٣].

أما النصر الثاني فقد كان على الجبهة مع بلال، حيث استمرت قواته بالانسحاب، مما أتاح لبريكيلو أن يصل بسهولة إلى ايرماكونو في ١٠شباط ١٨٩٣[٤]، ومن ثم توقف فيها لبضعة إيام.

وبينما كان كومبس يتابع تقدمه السريع في الشرق، كانت الأرائك تنفذ انسحابات تلقائية فضلاً عن اتباعها سياسة الأرض المحروقة، مما سهل مهمة كومبس فلم يكد يأتي اليوم الخامس عشر من شباط، حتى كانت أهم المدن الشرقية في الإمبراطورية قد وقعت في قبضة الجيش الفرنسي كـ(فارنا ٦ شباط، جيليبا ١٣ شباط، أودينـي ١٤ شباط)، وبعد سيطرته على كونغيني(Kongueni)، رأى كومبس أن يتوقف عن ملاحقة الأرائك قليلاً، ريثما يعيد تزويد جيشه بالمؤن[٥].

وأثناء ذلك غادر دارجيوس ايرماكونو في ١٥ شباط، مستهدفاً المناطق الممتدة جنوباً حتى حدود سيراليون، التي كانت الأرائك قد أخلتها قبل وصول الفرنسيين[٦]، حيث هرب بلال ومن معه باتجاه الجنوب الغربي إلى أن دخلوا أراضي سيراليون[٧].

وعلى هذا النحو يكون بريكيلو قد أتم مهمته على أكمل وجه، حيث دانت بانسحابه جميع المناطق الواقعة على خطوط المواصلات مع سيراليون، بعد انسحاب بلال منها.

كانت أخبار الانتصارات تصل إلى كومبس، مما شجعه على مواصلة التقدم للقضاء على ساموري ودولته، فتابع سيره نحو الجنوب من أجل الوصول إلى نافانا، وفي ٢٣ شباط سيطر على كوما(Koma)، ومن ثم دخل كورو(Koro) في ٢٤شباط، عندها قام ساموري بالانسحاب من نافانا، والتوجه نحو الجنوب، دخل كومبس نافانا، محققاً بدخوله هدف حملته، ولما لم يكن على استعداد لملاحقة الأرائك جنوباً، فقد عاد أدراجه إلى كروان، التي وصل إليها في ١٠آذار١٨٩٣[٨].

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 18.

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 19.

(3)- Renseignements Coloniaux Et Documents.., OP, cit, P 43.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 18.

(5)- Renseignements Coloniaux Et Documents.., OP, cit, P 42.

(6)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 15.

(7)- Lettres du Soudan de Paul Edmond Lecerf, OP, cit, P 44

(8)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 17-19.

أما عن أسباب امتناع كومبس عن ملاحقة ساموري، فتعود إلى أنه قد أصبح بعيداً جداً عن مركز الامداد في ميلو، كما أن المؤن كانت قليلة لديه منذ توقفه كونغيني، وإن جمع هناك ما يمكن جمعه من المؤن، فإنها غير كافية للذهاب إلى أبعد من نافانا، كما أن هدف حملته منذ البداية الوصول إلى نافانا والسيطرة عليها، وإن لم تلق القبض على ساموري.(رأي الباحث)

وهكذا، تكون الحملة قد حققت جميع أهدافها، حيث تم للفرنسيين السيطرة على الجزء الغربي من إمبراطورية الماندنغو حتى حدود سيراليون، وأطراف الغابة الكبرى[١]، فضلاً عن تمكن فرنسا من رصد الحدود مع سيراليون[٢].

هـ ـ حملة غيتان بونييه*(Gaetan Bonnier) ونهاية مقاومة المندنغو في منطقة أعالي النيجر:

بعد حملة كومبس وجد ساموري نفسه يحكم شعباً بلا أرض، أي أنه وشعبه في حكم المشردين، لذا كان عليه أن يجمع شتات أمره على أرض جديدة، أبعد ما تكون عن الفرنسيين، ليكي يؤسس دولة جديدة بكل اطمئنان، ولما كان الفرنسيون قد أحكموا السيطرة على الجزء الجنوبي من ساحل العاج منذ العام ١٨٩٠[٣]،فقد اتجه ساموري بأنظاره إلى شمال ساحل العاج نحو منحنى النيجر وبلاد موسي[٤]، هذا وبالإضافة إلى رغبته في تعويض خسارته لطرق تجارة الأسلحة مع سيراليون، وطرق تجارة الخيول مع الشمال، بالسيطرة على طريق تجارة الأسلحة والخيول "الذاهبة من باماكو إلى كونغ فبلاد الأشانتي" [٥].

إلا أن تحركاته شمالاً من شأنها أن تعرضه للمتاعب مع مملكة كيندوجو القريبة من منحنى النيجر[٦]، ومن أجل تجنب القتال معها قام ساموري بتوقيع اتفاق مع حاكمها بابيمبا* (Babemba)[٧]، ليبدأ بعد ذلك زحفه نحو الشمال في شهر آذار ١٨٩٣ [٨]، بانتقاله إلى بلاد

---

(١)ـ إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص ١٣٩.

(2)- Prost, D: OP, cit, P 18 .

*ـ غيتان بونييه(١٨٥٧ـ ١٩٤٤): ولد في الثالث من كانون الأول، في سانت لويس، التحق بالخدمة في الجيش الفرنسي عام ١٨٧٧، شارك في حروب السودان الفرنسي منذ عام ١٨٨٣، وفي عام ١٨٩٣ تم تعيينه رئيساً لمجلس الوزراء العسكري للسودان الفرنسي.

Archives nationales : site de Paris, N^0 de notice L 4563006.

(3)- Brun, M: OP, cit, P 67.

(٤)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٥.

(٥)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع نفسه، ص ٦٨٥، ٦٥٩.

(٦)ـ ينظر المصور رقم (٣).

*ـ وكان بابيمبا قد استلم الحكم بعد وفاة أبيه في ٢٧ كانون الثاني ١٨٩٣.

Collieaux, M: OP, cit, P 151.

(7)- Manuel L'usage Des Troupes…, P 322.

(8)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 19.

باولي(Baoule)، وفي شهر أيلول هاجم تينتو(Tenetou)، وقام بمحاصرتها، فاستنجدت المدينة بالفرنسيين المتمركزين في أعالي النيجر [١].

وفي تلك الأثناء كانت القيادة السياسية الفرنسية في السودان الغربي مشغولة بالتغييرات التي طرأت على القيادة العسكرية، فقد تم تعيين غيتان بونييه(Gaetan Bonnier) قائداً عسكرياً للمنطقة بدلاً من أرشينارد [٢]، بينما تمت ترقية الأخير ليشغل منصب مدير إدارة الدفاع في وزارة المستعمرات [٣].

لقيت بعثة تينتو ترحيباً من بونييه على الرغم من توصيات حكومته بعدم الدخول في عمليات حربية جديدة [٤]، إلا أن أرشينارد كان يحثه على ضرورة مواصلة الحرب ضد ساموري [٥]، وعلى الفور تشكلت حملة بقيادة بونييه في باماكو في نهاية تشرين الثاني ١٨٩٣، لنجدة تينتو [٦].

إلا أن الأوان كان قد فات، إذ أن تينتو كانت قد سقطت في حوزة الماندنغو قبل تشكيل الحملة بأسابيع، فقد تمكن ساموري من السيطرة عليها عن طريق الحيلة، بعد استدراج رئيسها بحجة التفاوض، ومن ثم قام بقتله، وتم له ذلك في ١٧تشرين الثاني [٧]، وقد كان للسيطرة على تينتو من الأهمية بما كان بالنسبة لساموري، فقد حصل منها على ما كان يحتاجه من خيول [٨].

تدل الأحداث المتزامنة التي كانت تجري في تينتو، وفي أعالي النيجر، إلى جهل فرنسا بتحركات ساموري، وهذا ما يدل بدوره على أن بونييه كان ملتزماً في البداية بتعليمات حكومته، وأن بعثة تينتو وتحريض أرشينارد، هما من دفعاه إلى تغيير سياسته وتسيير الحملة ضد الماندنغو. (رأي الباحث)

وبعد السيطرة على تينيتو تابع الماندنغو زحفهم نحو الجنوب والشرق، حيث سيطروا على بوغوني (Bougouni)وصولاً إلى كولوني (Koloni) [٩].

وفي تلك الأثناء غادرت القوات الفرنسية باماكو في ٣٠ تشرين الثاني، متجهة إلى تينتو، وعندما وصلتها، وجدت أن قوات الماندنغو قد سيطرت على الموقف فيها، إلا أن بونييه لم يشأ أن يعود إلى النيجر خالي الوفاض، دون أن يحرز نصراً على قوات الماندنغو، لذلك قرر مهاجمتهم في

---

(1)- Chailley, M : OP, cit, P 301.

(2)- Chailley, M : Ibid, P 300.

(3)- Kanya- Forstner: OP, cit, P 216.

(4)- Chailley, M : OP, cit, P 300.

(5)- Kanya- Forstner: OP, cit, P 216.

(6)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 28.

(7)- Chailley, M : OP, cit, P 301.

(8)- Monnier, M France Noire, Librairie Plon Plon-Nourrit et Cie, Imprimeurs-Editeurs 8, Rue Garancière 6 , Paris, 1894, P 215.

(9)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 29.

كولوني .

اتجه بونييه على رأس جنوده إلى كولوني، فوصلها في ٧ كانون الأول، وعلى الفور شن هجومه على الماندنغو، الذين نجحوا في التصدي له، ومن ثم قام بتجديد هجومه بعد يومين، إلا أن ساموري أصدر أوامره إلى القوات بالانسحاب نحو الجنوب، لإكمال المسيرة في السيطرة على مناطق جديدة، تتيح له إعادة بناء إمبراطوريته، وهنا لم يقم بونييه بالمطاردة، بل عاد أدراجه إلى النيجر [١].

وكانت نتيجة هذه الحملة، هي إجبار ساموري على إخلاء مواقعه التي استولى عليها حديثاً، وانتقل مع عدته وعتاده جنوباً إلى أعالي ساحل العاج[٢].

في رأي الباحث لم تكن حملة بونييه ذات أهمية تذكر، فهي لم تسهم في القضاء على الماندنغو أو على الأقل إضعافهم، فكل ما فعله بونييه هو إخراج ساموري من النيجر كلياً، وتسريع مسيرته إلى ساحل العاج.

وهكذا نجحت فرنسا في القضاء على سيادة إمبراطورية الماندنغو في أعالي النيجر، لكنها لم تتمكن القضاء على الإمبراطورية نفسها، حيث كانت الوجهة التالية لقائدها هي المنطقة الجنوبية من السودان الغربي.

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 29, 30.

(٢)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٤.

الفصل الثالث: مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي في ساحل العاج ١٨٩٤- ١٨٩٨:

أولاً- الأوضاع السياسية في ساحل العاج عشية قدوم الماندنغو:

قبل الحديث عن الأوضاع السياسية التي سادت ساحل العاج عشية قدوم الماندنغو إليها، لا بد من التنويه إلى مسألة حدود دولة ساحل العاج، فقد تمت الإشارة في فصل سابق إلى أن الحدود السياسية الحالية إنما هي حدود اصطنعها الاستعمار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأن الحدود قبل ذلك كانت استناداً إلى التخوم التي تفصل ما بين الدول والممالك، والتي كثيراً ما كانت تتغير وتتبدل، وخاصة خلال القرن التاسع عشر، وحتى خلال الفترة التي يتناولها البحث لم تكن حدود ساحل العاج قد توضحت بصورة ثابتة، بدليل أن الحد الفاصل بين غينيا وساحل العاج حالياً هو نهر غوالا(Goala)* ، ولما كانت أوديني ونافانا تقعان على الضفة اليمنى للنهر، وكانتا حينها تتبعان إمبراطورية أعالي النيجر[١]، فقد تم اعتبار خروج ساموري من مناطق أنهار النيجر، بداية دخوله إلى أراضي ساحل العاج.

أما عن الأوضاع السياسية التي سادت ساحل العاج عشية قدوم الماندنغو، فقد تميزت بسيادة عدة ممالك محلية في الشمال والشرق ، أبرزها مملكة بونا في أقصى شرق ساحل العاج[٢]، ومملكة أبرون (Apron) في الشرق، على حدود ساحل الذهب[٣]، ومملكة كونغ(Kong) في الشمال الشرقي[٤].

أما في الغرب والجنوب الغربي فلم يعثر على أي آثار تشير إلى وجود أي نوع من أنواع أنظمة الحكم خلال القرن التاسع عشر، وإنما كان السكان هناك يعيشون عيشة بدائية في مساكن مبعثرة[٥].

أما المنطقة الجنوبية، فقد حكمت فرنسا قسماً منها منذ العام ١٨٤٢، وفي العام ١٨٩٠بدأت بالتوسع غرباً، حيث نجحت في السيطرة على كامل المنطقة الجنوبية حتى نهر كافالي (Cavally)*[٦]، على مساحة تقدر بـ ١٥٠٠,٠٠٠ هكتار*[٧].

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 18.

(٢)- بكاي، منصف: المرجع السابق، ص ٦٩.

(3)- Person, Y: Samori, P 282.

(4)- Le Chalelier, A: OP, cit, P 248.

(٥)- قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ٣٤١.

*- نهر كافالي: ينبع من جبل نيمبا في غينيا، يصب في المحيط الأطلسي طوله ٧٠٠كم.

République De Cote d'Ivoire, version provisoire, Quatrième rapport national sur la convention de la diversité biologique, Mars 2009, P 12.

(6)- Brun, M: OP, cit, P 67.

*- أي ما يعادل ٣١٠كم٢.

(7)- Brun, M: OP, cit, P 68.

وبسيطرة فرنسا على كافالي، أثيرت مسألة الحدود مع جمهورية ليبيريا، فسارعت الأطراف إلى توقيع اتفاقية ترسيم الحدود في ٨ كانون الأول ١٨٩٢[١]، على أن يكون المسار السفلي لنهر كافالي هو الحد الفاصل بين ليبيريا وساحل العاج، وبذلك تم ترسيم الحدود الغربية لساحل العاج، كما تم رسم الحدود الجنوبية المتمثلة بالساحل الغربي عند كافالي[٢] حتى غانا في الشرق[٣]، وبذلك تكون توضحت الحدود الجغرافية لساحل العاج من جهتي الجنوب والغرب.

وبناءً على ذلك، وجدت الحكومة الفرنسية أنه آن الأوان للاعتراف بساحل العاج كمستعمرة مستقلة، فصدر مرسوم في ١٠آذار ١٨٩٣ ينص على منح المستعمرة الحكم الذاتي[٤]، عاصمتها غراند بسام[٥]، وتعيين لويس بنجر حاكماً عليها[٦].

وإزاء هذه التطورات شعر الإنكليز بالخطر على مصالحهم، نظراً لاشتراك مستعمرة ساحل الذهب الإنكليزية مع مستعمرة ساحل العاج الفرنسية بالحدود[٧]، إلا أنه تم التوصل إلى اتفاق سلمي حول ترسيم الحدود، حيث تم توقيع الاتفاق في تموز ١٨٩٣[٨]، وبذلك تعينت الحدود الشرقية لمستعمرة ساحل العاج[٩].

استغل بنجر السلام الذي ساد على حدود المستعمرة، وواصل سياسة التوسع الفرنسي، حيث بدأ عملية توغل ممنهج إلى المناطق الداخلية، معتمداً الطرق السلمية الدبلوماسية، حيث قام بعقد الاتفاقيات مع الممالك المحلية، كما أرسل مارشان (Marchand) لاستكشاف وادي نهر باندامـا*(Bandama)،

---

(1)- Clozel: Dix ans à la Côté d'Ivoire, Augustin Challamel Editeur 17, Rue Jacob Librairie Maritime et Coloniale, Paris, 1906, P 9.

(2)- Clozel: Ibid, 272.

(٣)- ينظر المصور رقم (٢)

(٤)- بكاي، منصف: المرجع السابق، ص ٧١.

(5)- Monteil, P: Une Page D'Histoire Militaire Coloniale La Colonne De Kong, Henri Charles-La Vauzelle Editeur Militaire 10, Rue Danton, Boulevard Saint-Germain, 118, Paris, P 9.

(6)- Brun, Malte: OP, cit, P 67.

(٧)- بكاي، منصف: المرجع السابق، ص

(8)- Wahl, M: OP, cit, P 158.

(٩)- ينظر المصور رقم (٢).

نهر باندامـا: ينبع من منطقة بونديالي(Boundiali)، ويصب في المحيط الأطلسي، يتألف من فرعين باندامـا بلان(Bandama-blanc) وباندامـا روج(Bandama-roue)، يبلغ طوله الإجمالي ١٠٥٠كم.

République De Cote d'Ivoire, version provisoire, OP, cit, P 12.

على أن تنتهي مهمته بعقد اتفاقية مع مملكة كونغ [١]، وقد بدأ مارشان تنفيذ مهمته في شهر أيار ١٨٩٣، وقد أسفرت مهمته عن تأسيس عدة حصون ما بين المستعمرة الفرنسية ومملكة كونغ، في كل من تيسالي(Tiassale) وتومودي(Toumodi) وكواديوكوفي(Koudiokofi)، وكان بنجر يولي أهمية لهذه المناطق، لأنها تعد أغنى جزء في السودان الغربي، لذا أراد أن يحتكر تجارتها لصالح فرنسا [٢].

وهكذا كان الهدوء مخيماً على الأوضاع التي سادت ساحل العاج عشية قدوم الماندنغو إليها، ولم يعكر صفو الأجواء بالنسبة للفرنسيين سوى اقتراب جيش الماندنغو من ساحل العاج.

ثانياً- لجوء قوات الماندنغو إلى ساحل العاج ١٨٩٤م:

خابت تقديرات الفرنسيين في أن السيطرة على أعالي نهر النيجر سينهي وجود إمبراطورية الماندنغو، فقد كان ساموري لا يعرف الهزيمة أو الاستسلام، فبحنكته العسكرية، علم أنه لا جدوى من المقاومة والدفاع عن مناطق حكمه في أعالي النيجر، فلا بد من إيجاد ملاذ آمن يعيد فيه بناء إمبراطوريته من جديد، فبعد حملة بونييه أخذ ساموري يشق طريقه باتجاه الجنوب ، مصطحباً معه حاشيته وشعبه، وقد "قدر عددهم بنحو ١٢٠ألف"، إلى أن قادتهم أقدارهم إلى ساحل العاج مع مطلع العام ١٨٩٤ [٣] ، ليجد نفسه أمام مدينة كونغ.

رأى ساموري في البداية أن يهادن حاكم كونغ كاراموكو أوليه (Karamoko Oule)، وأن يتجنب أي تصرف من شأنه أن يثير العداوات معه، ومن هذا المنطلق أرسل رسالة إلى كاراموكو، يعلمه فيها أنه لن يحارب المسلمين، ولن يستولي على كونغ الحاضنة للكثير من تلاميذ القرآن ومشاهير العلماء، وأن حربه موجهة ضد السينوفو الوثنيين فقط، ومن جملة ما كتبه في الخطاب: **"أريد أن أتاجر معكم، كذلك أرسلت لكم رجالي ومعهم العبيد والذهب، لأبادلهم بالبنادق والخيول، وإنكم على صداقة مع بيض الساحل، سيكون من السهل عليكم أن تشتروا لي من البيض البنادق والبارود، فإن فعلتم ذلك، قررت ألا أدخل بلادكم"**[٤].

تلقى كاراموكو خطاب ساموري، ولم يشأ أن ينفرد في إقرار ما يجب عليه فعله، هل يقبل التعاون مع ساموري أم يرفضه،[٥]، لذا قام بعرض الأمر على شعبه، وبعد مشاورات مع أهالي المدينة، أبلغ كاراموكو رسول ساموري أنه موافق على التجارة معه [٦].

---

(1)- Wahl, M: OP, cit, P 158.

(2)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets Parlementaires, chambre des députes, 27 Juin 1895, P 1860.

(3)- Mangin: OP, cit, P 170.

(4) - Kouronbari, A : Histoire De l'Imam Samori , relatée par Haurice Dalaf-osse, I.F.A.N, I. XXI, ser, nos 3-4, 1959, P 555, 556.

(5)- Atger, P : La France en Coté d'ivoire de 1843 à 1893, Université de Dakar, Dakar, 1962, P 125.

(6)- Kouronbari, A: OP, cit, P 556.

بالتأكيد لم يكن امتناع ساموري عن مهاجمة كونغ بسبب الرابطة الدينية التي تجمع بينه وبين سكانها، وإنما لأنه لمس عدم القدرة على خوض حرب ضدهم في ظل الوضع الراهن الذي يمر فيه جيشه من نقص الأسلحة والخيول، كما هو واضح من الخطاب، مع أن جيش الماندنغو قد حصل على حاجته من الخيول بعد سيطرته على تينتو، إلا أنه لا يزال يحتاج المزيد منها، بسبب استمراره في حروبه، وكذلك لم يكن لديه مورد للسلاح، فبانتقاله إلى أعالي ساحل العاج فقد اتصاله مع سيراليون، ولما كان ساموري لا يزال بعيداً عن الإنكليز في ساحل الذهب، فقد وجد أن من الأفضل له أن يحتال على أهالي كونغ، ويتذرع برابطة الدين لإقناعهم بنواياه من جهة، وليكسب عطفهم وتعاونهم من جهة أخرى.

أما عن موقف أهالي كونغ، فلم يكن قبولهم لعرض ساموري لاقتناعهم بخطابه الديني، وإنما خشية على أنفسهم أن يحل بهم ماحل بسكان المناطق التي اجتاحها الماندنغو، ومن ثم كانت مهادنتهم له اتقاءَ لما سيحل بهم في حال كان جوابهم الرفض. (رأي الباحث)

وهكذا حلت مشكلة الخيول والأسلحة، مما أتاح لساموري الفرصة للسيطرة على المناطق القريبة من كونغ، فكان أن تم له الاستيلاء على كامل المنطقة الممتدة مابين كونغ وجيمني في الجنوب[١].

في تلك الأثناء وصل مارشان إلى كونغ في نيسان١٨٩٤، فطلب منه أهالي كونغ المساعدة ضد ساموري[٢]، وهنا تظهر ازدواجية مملكة كونغ، مما يثبت أن قبولها للتعاون مع ساموري، لم يكن بدافع الرابطة الدينية، وإنما حيلة منها لدفع خطر ساموري عنها.

وهكذا كان لاستنجاد أهالي كونغ بالفرنسيين، إنذاراً بقطع العلاقات بينهم وبين ساموري، مما يعني أن ساموري قد فقد مورد السلاح ، وبالتالي فلن يتمكن من متابعة توسعاته، لذلك رأى ضرورة البحث عن حليف آخر يحصل عن طريقه على ما يلزمه من مؤن وخيول وأسلحة، فكان أن اتجه بأنظاره إلى الجبهة الشرقية، حيث يقبع وراءها أصدقاء الأمس من الإنكليز في ساحل الذهب، لذا تابع ساموري حركة توسعاته شرقاً، بهدف فتح ممر إلى ساحل الذهب، ليكون على اتصال مباشر مع الإنكليز، وشراء الأسلحة بشكل مباشر منهم، ولما كانت جمني(Djimini) مفتاح الشرق، قام بمحاصرتها إلى أن تمت له السيطرة عليها في النصف الثاني من العام ١٨٩٤[٣].

إلا أن المخاوف لم تلبث أن راودت ساموري، فالطريق إلى ساحل الذهب لايزال طويلاً ومحفوفاً بالصعاب، وهو في سبيل ذلك يخوض الحروب المستمرة مع الحكام المحليين، وفي الوقت نفسه ثمة هناك مشكلة الفرنسيين المحيطين به من ورائه ومن أمامه، فهم لن يدعوه وشأنه، كما أن بإمكانهم التنسيق فيما بينهم والقيام بعمل مشترك ضده، بما يضمن لهم الإطباق عليه من الشمال والجنوب، فالمصلحة حالياً تقتضي عقد سلام معهم، ريثما يتمكن من الوصول إلى ساحل الذهب، لذلك أرسل ساموري رسله إلى كايس في كانون الثاني ١٨٩٤، يعرض على المسؤولين هناك، أن تعترف فرنسا بسلطته على المناطق

---

(1)- Kouronbari, A: OP, cit, P 556.

(2)- Manuel L'usage Des Troupes…, P 322.

(3)- Colloque International Yves Person (1925- 1982) Un historien de l’Afrique engage dans son temps, 20-21 Juin 2013, P 55.

التي سيطر عليها مؤخراً في أعالي ساحل العاج، مقابل تعهده بعدم مضايقة القوات الفرنسية في السودان، إلا أن القيادة هناك رفضت عرضه، بتحريض من أرشينارد، لكي لا يتيح لساموري تحقيق السلام عن طريق المفاوضات، ذلك السلام الذي فشل السلاح في تحقيقه، وبذلك فشلت المحادثات وعاد الاحتكام إلى السلاح من جديد[١].

إلا أن السؤال الي يطرح نفسه، لماذا أرسل ساموري رسله إلى كايس رغم بعدها ولم يرسلهم إلى ساحل العاج الأقرب إليه؟

من المعروف أن ساموري كان من الدهاء بحيث لم يكن يفوته أمر مهما صغر حجمه، ولما كانت حروبه على حدود المستعمرات الفرنسية في ساحل العاج، فحتماً ستزعجهم توسعاته، حتى وإن لم يقرب مستعمرتهم، وبالتالي فلن يكون هناك مفر من الدخول في حرب معهم، بخلاف القيادة الفرنسية الموجودة في كايس، البعيدة كل البعد عما يجري في ساحل العاج، وبالتالي فما من سبب يدفعهم لخوض حرب مع ساموري، طالما أنه لم يمسس ممتلكاتهم بسوء، وبالتالي سيتيح له السلام الذي سيعقده معهم تركيز دفاعاته في المناطق الجنوبية، بدلاً من تشتيت قواته على جبهتين، إلا أنه لم يدرك غايته تلك. (رأي الباحث)

أما بالنسبة للقيادات الفرنسية في أعالي النيجر وساحل العاج، فقد تم الاتفاق بينها على إرسال قوات مشتركة لقتال ساموري، إلا أن المشروع لم يلبث أن أخفق قبل أن يبصر النور، وذلك بسبب عدة صعوبات واجهت القيادة في أعالي النيجر، فضلاً عن طرد القائد الذي كان من المقرر إرساله لقتال ساموري من جهة النيجر[٢]، وبالتالي وقع عبء قتال ساموري على مستعمرة ساحل العاج، وبذلك تحقق لساموري ما فشلت المفاوضات في تحقيقه، ألا وهو عدم التعرض لهجوم فرنسي من الشمال.

ثالثاً- حملة كونغ ١٨٩٤- ١٨٩٥:

مع اقتراب ساموري من كونغ شعر بنجر بتزايد خطره، وكان قد تلقى أوامر من حكومة فرنسا بالعمل على ربط مستعمرة ساحل العاج مع النيجر، لذا قرر إرسال حملة لإبعاد خطر ساموري عن مدينة كونغ من جهة، ولربط مناطق النفوذ الفرنسي في كل من النيجر وساحل العاج من جهة أخرى[٣]، فكلف العقيد بارفيه مونتيل(Parfait Monteil) * بقيادة حملة لتنفيذ ذلك[٤].

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 31.

(2)- Robinson, R , And Others: Africa And The Victorians, the official mind of imperialism, Papermac- London, 1970, P 330.

(3)- Person, Y: Samori, P 276.

*- بارفيه مونتيل(١٨٥٥- ١٩٢٥): ولد في ١٨نيسان، في مدينة باريس، حاز على بكلوريوس في العلوم عام ١٨٧٣، التحق بمدرسة سانت سير العسكرية عام ١٨٧٤، التحق بسلاح المشاة البحرية عام ١٨٧٦، وفي العام التالي أرسلته الحكومة الفرنسية إلى السنغال، وبين عامي ١٨٩٠- ١٨٩٢ قاد حملة استكشافية، ربطت سانت لويس بمدينة طرابلس الليبية،

Archives nationales : site de Paris, N^{0} de notice L 1917026.

(4)- Kanya- Forstner: OP, cit, P 231.

تمت عمليات التعبئة في غراند بسام[١]، حيث تجمعت القوات البالغ عددها ١١٠٠مقاتل[٢]، في ١٢ أيلول ١٨٩٤ لتلقي التعليمات من حكومة المستعمرة[٣]، وبعد ذلك انطلقت نحو تيسالي ووصلتها في ٩ كانون الأول، حيث أقامت فيها لعدة أيام، وفي ٢٨ كانون الأول غادرت الحملة تيسالي[٤] متجهة إلى كوديوفوكو حيث وصلتها في ١٩ شباط ١٨٩٥، وهو تاريخ بدء العمليات ضد ساموري[٥].

واللافت هنا أن الحملة قد استغرقت زمناً طويلاً في مسيرتها إلى كوديوفوكو، ويعود ذلك إلى عدة أسباب، منها أن الحملة قطعت مسافة ٣٠٠كم في الغابة الجرداء، مما أصاب الجنود بإرهاق شديد وأبطأ حركتهم[٦]، فضلاً عن هروب لحمالين، والاشتباكات المستمرة مع السكان الأصليين[٧].

وفي كوديوفوكو بدأ الفرنسيون يتجهزون لقتال ساموري الذي كان متمركزاً في المنطقة الواقعة بين باندامـا وكوموي(Komoe)[٨]، حيث اتخذوا من وادي باندامـا قاعدة للعمليات العسكرية، بينما جعلوا غراند لاهو قاعدة عمليات على البحر، وخط إمدادات[٩].

ولما كان ساموري قد اتخذ من سوكولا ديولاس(Sokola-Dioulasso) مقراً له مع حاشيته وزوجاته، فقد عمل مونتيل على محاصرته هناك، لذا أرسل الفرقة الرابعة عشر إلى ساتاما سوكورو (Sattama Soukouro)، بينما أرسل الفرقة التاسعة لتعسكر شمال ساتاما(Sattama)، وبدورها عبرت الفرقة التاسعة نهر بي(Be) إلى الضفة اليمنى واستقرت في لافيبورو(Lafiboro) ، وبالتالي نجح مونتيل في سد الطريق الجنوبي على الماندنغو على طول الجبهة الجنوبية[١٠]، فضلاً عن أن طريق الشمال كان مسدوداً بطبيعة الحال، حيث مدينة كونغ حليفة الفرنسيين.

بينما بقي مونتيل في كوديوكوفي(Kodiokofi)، في انتظار تطورات الأحداث، فقد قرر مهاجمة

---

(1)- Monteil, P: OP, cit, P 11.

(2)- Journal Officiel De La République Française, débats parlementaires chambre des députes, 27 Juin 1890, P 1861.

(3)- Chailley, M: OP, cit, P 319.

(4)- Monteil, P: OP, cit, P 16.

(5)- Monteil, P: Ibid, P 19.

(6)- Questions Coloniales. Cote d'ivoire. La vérité propos de l'expédition Monteil, En Vente Chez S.Mercadier, Imprimeur-Editeur 17. Rue Grange-Batelière. 17, 1895, P 3.

(7)- Chailley, M: OP, cit, P 319.

(8)- Monteil, P: OP, cit, P 10.

(9)- Journal Officiel De La République Française, débats parlementaires, OP, cit, P 1860.

(10)- Monteil, P: OP, cit, P 21, 22.

ساموري من الجهة التي سيفر إليها، فإذا تحرك ساموري إلى داكارا(Dakhara)*، فإن مونتيل سيتجه شمالاً، أما إذا انسحب نحو كوموي، فسوف يتجه شرقاً[١].

أما عن ساموري الذي كان يتطلع حينها للوصول إلى الإنكليز في ساحل الذهب، فقد اضطر أمام هذه المستجدات إلى تأجيل مشروعه من أجل مواجهة القوات الفرنسية، فقد قرر أن يأخذ زمام المبادرة وأن يبدأ الهجوم على الفرنسيين، لا أن يقف منتظراً قدومهم، ولما كان الفرنسيون قد تمركزوا على جبهتين، فقد اضطر ساموري إلى تقسيم جيشه إلى قسمين.

وهكذا بدأ هجوم الماندنغو على الفرنسيين في الثالث من آذار[٢]، وبينما انتصروا في لافيبورو واستولوا عليها، خسروا في ساتاما سكورو، مما دفع مونتيل إلى اصدار أوامره إلى الفرقة الرابعة عشر لترك موقع ساتاما سكورو، والانضمام إلى الفرقة التاسعة في ساتاما، لتوحيد الجهود ضد الماندنغو.

ففي الرابع من آذار شن الفرنسيون هجوماً عنيفاً على لافيبورو، وتمكنوا من السيطرة عليها من جديد، حيث فر الماندنغو باتجاه تيتليدوغو(Tateledougou) وراء نهر بي، وفي اليوم التالي تابع الفرنسيون هجومهم حيث غادروا مواقعهم على أثر قوات الماندنغو، وقاموا بعبور النهر متجهين شمالاً، ولدى وصولهم إلى موقع الماندنغو في كوساندغوا(Kossangoua)، قاموا بمهاجمتهم موقعين قتيلين في صفوفهم، وبعد استيلاء الفرنسيين على كوساندغوا أصبحوا قريبين جداً من سوكولا ديولاس[٣].

وإزاء التقدم الذي أحرزه الفرنسيون شعر ساموري باقتراب خطرهم ، فاتخذ قراره بالزحف جنوباً إلى داباكالا(Dabakhala)، ليودع حاشيته وزوجاته فيها[٤]، وحتى يضمن تحقيق ذلك دون التعرض لمتاعب من قبل الفرنسين، قام بتقسيم قواته إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: تتكون من الجنود الذين يحملون البنادق ذات الطلقات السريعة، مهمتها محاربة الفرنسيين والتصدي لهم[٥].

المجموعة الثانية: أصحاب البنادق ذات المكبس[٦]، كانوا مسؤولين عن حراسة وحماية المواطنين[٧].

---

*ـ تقع داكارا جانب داباكالا من جهة الشمال. ينظر المصور رقم ١٣.

(1)- Monteil, P: OP, cit, P 23.

(2)- Chailley, M: OP, cit, P 320.

(3)- Monteil, P: OP, cit, P 24- 25.

(4)- Monteil, P: Ibid, P 26.

(٥)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٢.

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع نفسه، ص ٦٨٢.

(٧)ـ ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٥٥.

المجموعة الثالثة: كانت مسؤولة عن فتح المناطق الجديدة [١].

وتنفيذاً لذلك، أرسل ساموري المجموعة الثالثة إلى داباكالا لفرض سيادة الماندنغو عليها، وفي الوقت نفسه أرسل المجموعة الأولى إلى كوساندغوا، لمهاجمة الفرنسيين، إلا أن الفرنسيين قاموا بالتصدي لهجومهم موقعين سبعة قتلى، وفي مساء اليوم نفسه شن الماندنغو هجوماً آخر استمر حتى صباح اليوم التالي.

هنا علم مونتيل بأن ساموري لا يزال في سوكولا ديولاس، وأنه لم يتحرك بعد، لذا قرر التحرك ومهاجمته، وعند وصوله إلى بينو(Pineau) خاض معركة مع الماندنغو، حيث تمكن الفرنسيون من السيطرة عليها، وجعلوها معسكراً لهم، وأخذوا من هناك يستعدون للهجوم على سوكولا ديولاسو.

كان ساموري يستعد للرحيل مع زوجاته وحاشيته إلى داباكالا، وخشي من وصول الفرنسيين إلى سوكولا ديولاس قبل أن يرحل عنها، فقام بإرسال ابنه سارينكي ليعيق تقدم الفرنسيين، حيث قام سارينكي بمهاجمتهم عند كاديولي(Kadiaouli)، في الوقت الذي غادر فيه ساموري إلى داباكالا، تاركاً حامية صغيرة في سوكولا ديولاس، وجرت هذه الأحداث كلها في ٧ آذار.

وبعد معركة قصيرة، تمكن فيها مونتيل من التخلص من قوات سارينكي ، تابع سيره باتجاه سوكولا ديولاس، ولدى وصوله إليها بادر فوراً بمهاجمتها، فتفرقت حاميتها منذ الطلقات الأولى، مما مكن الفرنسيين من دخولها دون عوائق [٢].

بقي جيش مونتيل في سوكولا يوماً كاملاً للاستراحة، حيث أعاد شحن قواته، ومن ثم غادرها في ١٠ آذار، مقتفياً آثار ساموري، وما إن وصل بالقرب من ناولو حتى وجد الماندنغو بالمرصاد، حيث هاجموهم هناك بقوة، واستمر القتال حتى الليل.

وفي صباح اليوم التالي استأنف الفرنسيون هجومهم على ناولو(Naolo)، وهذه المرة دخلوها بكل سهولة حيث انسحبت قوات الماندنغو بشكل تلقائي[٣]، وفي خضم هذه الأحداث، أسر الفرنسيون أحد الفارين من جيش ساموري، وقد حدثهم الجندي الأسير عن حالة التعب والإعياء التي حلت بالصوفا، وأن الجميع أرهقوا ولم يعد بمقدورهم مواصلة القتال، وأن ساموري يرغب في إنهاء هذا الوضع، وعلى الرغم من تشكيك الفرنسيين بصدق أقواله، إلا أن مونتيل الذي كان قد تلقى مسبقاً تعليمات من حكومته، بمحاولة عقد معاهدة مع ساموري إن أمكن، كان له رأي آخر، إذ وجد في الأسير رسولاً إلى ساموري، يبلغه رغبة حكومته في وضع نهاية للحرب معه، لذا أرسل مع الجندي خطاباً إلى ساموري يسأله عما إذا كان يريد الدخول في مفاوضات معه، ولما كان جواب ساموري بالإيجاب، فقد أرسل مونتيل المترجم مانادو عثمان(Mandao Ousman) بمفرده، يحمل معه مشروع معاهدة محرراً باللغة الفرنسية[٤].

---

(١)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٢.

(2)- Monteil, P: OP, cit, P 26.

(3)- Monteil: Ibid, P 27- 28.

(4)- Baratier: Epopées Africaines, Librairie Académique Perrin et Cie, Librairies-Editeurs 35, Quai Des Grands- Augustins, 35, Paris, 1918, P 236, 237.

يتضح من موقف مونتيل مقدار الرعب الذي كان يلقيه ساموري في نفوس الفرنسيين، والوزن الكبير الذي يقيمونه له، وما يؤكد ذلك مقولة أحد الجنود المشاركين بالحملة: **(لقد كنا ننظر إلى عثمان بحسد لأنه سيرى ذلك العدو الذي لا يمكن الإمساك به، والذي نحارب ضده منذ سنوات، وهو الزعيم الأسود الوحيد الذي أظهر فهماً حقيقياً للحرب، لكن الكولونيل رفض إجابة طلبنا)** [١].

أما عن مانادو عثمان فلم يتأخر عن سيده في حمل جواب ساموري، فقد عاد في المساء ليخبر مونتيل بأن ساموري يريد النص محرراً باللغة العربية، وقد أجاب مونتيل لطلبه، ففي اليوم التالي غادر عثمان إلى داباكالا حاملاً نص المعاهدة باللغة العربية [٢].

تلقى ساموري مشروع المعاهدة بصدر رحب، وبعد الانتهاء من قرائته أطرق برهة، ثم أمسك بالاتفاقية وقال لعثمان: **(إن رئيسك يريد مني أن أعود إلى الغرب في بلاد مدمرة، وأن أعود إليها بمفردي دون محاربين، وبلا بنادق)**، ثم توقف قليلاً ورسم على الورقة المواقع الفرنسية المختلفة التي تحيط بالمنطقة التي حددت له كمقر لإقامته، وقال له:**(إنكم متواجدون هاهنا، وهنا أكون أسيراً، قل لرئيسك أنني لست أسيراً له حتى الآن)** [٣].

وفي ١٣ آذار عاد عثمان إلى مونتيل، يعلمه بالرد النهائي على المعاهدة، مما يعني استمرار الحرب مع ساموري [٤].

يتضح مما أورده بارتييه عن رد ساموري على مشروع المعاهدة، أن فرنسا اشترطت على ساموري العودة من حيث اتى معززاً مكرماً، على أن يحل جيشه، وأن يحكم إحدى المناطق هناك باسم فرنسا، إلا أن فرنسا لم تكن تدرك أن ساموري بما تحلى به من عزة نفس وكرامة لن يرضى بشروط مذلة كهذه، لكن الغريب في الأمر أن فرنسا هي من عرضت الصلح، ولم تكن كفة القتال قد رجحت لصالحها بعد، بل على العكس، كان من الواضح أن ساموري كان لديه من الإمكانات ما يجعله متفوقاً على فرنسا، وخاصة أن الحملة الفرنسية قد واجهت الكثير من الصعاب أثناء عبورها إلى تيسالي، مما أصاب جنودها بالتعب والإرهاق قبل بدء القتال، ومع ذلك قدمت لساموري شروطاً مذلة، كمن يعطي السلام للطرف المنهزم، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن هذه الشروط قد وضعت في غراند بسام، من قبل حكومة ساحل العاج قبل مغادرة الحملة العاصمة، مما يعني ثقة الحكومة بالنصر الأكيد.

كما يشير ذلك إلى أمر آخر، وهو أن مستعمرة ساحل العاج لم تكن بالقوة العسكرية التي تؤهلها للقضاء على ساموري، فلم تتعد محاولتها فكرة إبعاده عن المستعمرة، حيث تقوم (تكرماً) بإعادته إلى الغرب، وهناك تتكفل حكومة أعالي النيجر بمهمة القضاء عليه، ومن ثم تأتي بعض المصادر الفرنسية على ذكر أمر المعاهدة، لتقول أن "ساموري عرض فكرة الصلح على فرنسا احتيالاً وخداعاً، من أجل

---

(1)- Baratier : Epopées Africaines, P 237, 238.

(2)- Monteil, P: OP, cit, P 28.

(3)- Baratier : Epopées Africaines, P 237, 238.

(4)- Journal Officiel De La République Française, débats parlementaires, OP, cit, P 1861.

مباغتة الفرنسيين من الخلف والغدر بهم" [١].

ورغم ذلك فإن اللوم في فشل المفاوضات يقع على عاتق مونتيل وحده، فقد تقيد بتعليمات حكومته، التي كان لها نظرة في المستقبل تخالف الواقع الذي عاشته الحملة، فقد وجب عليه أن يتعامل مع الموقف بحنكة عسكرية من الواضح افتقاره إليها، بدل التقيد بتعليمات حرفية وضعت قبل القتال قرابة ستة أشهر كأقل تقدير، فقد كان من الممكن وضع شروط أكثر ملائمة، تضمن لهم على الأقل أخذ فسحة من الوقت للراحة، لإعادة دراسة الأوضاع على أرض الواقع، ووضع خطط كفيلة بتحقيق مهمة الحملة الرئيسة، ألا وهي إبعاد خطر الماندنغو عن كونغ، إلا أن مونتيل على ما يبدو لم يكن كفئاً لإدارة العمليات، وصنع القرارات. (رأي الباحث)

أما بالنسبة لساموري فبعد فشل المفاوضات، وجد أنه من الخطر إبقاء المدنيين في داباكالا، وأنه لابد من التوغل شرقاً لوضعهم في مكان أكثر أماناً، فأصدر أوامره في ١٤آذار بالزحف نحو الشرق، حيث أرسل نسائه والمدنيين تحت حماية الأرائك المسلحين بالبنادق الحجرية بقيادة ابنه سارينكي، بينما ذهب هو إلى ضفاف كومي لقيادة جيوش إطلاق النار السريعة.

خيل لمونتيل أن ساموري يخطط لمهاجمة كونغ، لذا رأى وجوب الإسراع إلى داباكالا، حيث واصل الفرنسيون سيرهم في ١٤ آذار، وعندما وصلوا إلى تقاطع طريق داباكالا مع داكارا، تعرضوا لهجوم الماندنغو، حيث أصيب مونتيل بساقه، ومن ثم ارتد الأرائك إلى كوربادوغو(Kourbadougou)، من أجل حماية داباكالا، إلا أن الفرنسيين تمكنوا من إزالة موقع الماندنغو في كوربادوغو، وواصلوا تقدمهم إلى أن وصلوا إلى نهر سيجوينو(Seguno) مع حلول الليل، فاضطروا إلى التوقف هناك، حيث عسكروا على الضفة اليسرى للنهر.

وفي صباح اليوم التالي استأنف الفرنسيون سيرهم، وعندما وصلوا إلى الضفة اليمنى لسيجوينو، بدأوا بمهاجمة المدينة، حيث ألقوا بقذائف المدفعية عليها، ومن ثم بدأوا اقتحامها في الساعة العاشرة صباحاً، وتمكنوا من دخول المدينة، على الرغم من استماتة الماندنغو في الدفاع عنها[٢].

اكتفى الفرنسيون بدخول داباكالا دون أن يحاولوا تثبيت سيادتهم عليها فلم يكونوا على استعداد لبذل المزيد من الجهد، بسبب نقص الذخيرة، لذا قاموا بالانسحاب إلى لافيبورو في ١٦ آذار، متخذين مسار فاراكو(Farako) ، مدمرين مواقع الماندنغو هناك، وتابعوا سيرهم إلى تاجونو(Tagono) حيث خاضت الحملة معركة خاسرة فيها، وأخيراً وصل الجيش الفرنسي إلى الموقع الذي انطلق منه في حملته تلك، ألا وهو الضفة اليمنى لنهر بي.

أدرك ساموري أن الجيش الفرنسي قد بذل كل ما في استطاعته، ولم يعد بمقدوره فعل أي شيء، لذا عمد إلى استغلال موقفهم الضعيف، ليس فقط في استعادة المناطق التي خسرها أثناء المعارك، بل

---

(١)- ينظر:

Brun, M: OP, cit, P 68.

(2)- Monteil, P: OP, cit, P 28- 30.

أراد أن يرد الاعتبار لنفسه، بتحقيق انتصارات عدة على فلول الفرنسيين، لذا أرسل جنوده في أثرهم لمحاربتهم من جهة، وللسيطرة على المناطق الواقعة على طريقهم من جهة أخرى، وقد أدرك الماندنغو الفرنسيين عند نهر بي، وهناك وعلى بعد ١٠ أمتار من النهر، انطلقت نيران الماندنغو عبر الأدغال الكثيفة مستهدفة تجمعات الفرنسيين، وبالرغم من المفاجئة الكبيرة، تمكن الفرنسيون من فتح جبهة من النيران، ومن ثم اقتحموا مكان تمركز الأرائك، الذين ما إن شاهدوا الفرنسيين، حتى سارعوا بالفرار.

وبعد ذلك تابع الفرنسيون سيرهم، وعندما وصلوا إلى لافيبورو، توقفوا فيها للاستراحة، على أن يرحلوا عنها في صباح اليوم التالي، ولدى وصولهم إلى برانزي(Branzy) على بعد ٩كم من ساتاما، تعرضوا لهجوم آخر، فأمر مونتيل جنوده بإسراع الخطى، حيث غادروا برانزي عند الظهيرة، وعبروا جواميلادوجو(Guameladougou)، ولم يلبث أن احتل الماندنغو نهر بي، وهاجموا مؤخرة الجيش الفرنسي، فقامت بقية الفرق بالارتداد إلى الخلف، ونجحت في صد الهجوم، وتابع الجيش سيره إلى أن وصل إلى ساتاما، حيث أقاموا تحصيناتهم بسرعة، وهناك حاول الماندنغو مهاجمتهم، إلا أن الفرنسيين تصدوا لهم[١].

وعند وصوله إلى ساتاما في ١٧ آذار، تلقى مونتيل قراراً وزارياً مؤرخاً بتاريخ ١٨ شباط، يقضي بحل عمود كونغ، وإسناد قيادة القوات في ساحل العاج إلى العقيد بول كورديلييه*(Poul Courdelier)[٢]، واضعاً بذلك نهاية العمليات الفرنسية ضد ساموري.

تفاجئ مونتيل بقرار حل الحملة، فقد كان ملتزماً بالأوامر طيلة فترة قيادته لها، إلا أنه التزم بالتعليمات، وأصدر الأوامر لجنوده بالانسحاب[٣]، وفي الوقت الذي كان فيه مونتيل يستعد لمغادرة المكان، كانت قوات الماندنغو تتربص بجنوده، فعندما بدأت رحلة العودة إلى كوديوكوفي في ٢٤آذار، وأثناء عبورهم الطريق، تعرضوا لهجوم الأرائك على مدار أربعة أيام، إلى أن وصلوا كوديوكوفي في ٢٨ آذار،عندها توقفت الأرائك عن ملاحقتهم [٤].

وبذلك تكون جهود الفرنسيين في هذه الحملة قد ذهبت أدراج الرياح، رغم كل المشاق التي كابدتها، لدرجة أنها صنفت على أنها من أقسى ما واجهته فرنسا منذ بدء الحرب مع ساموري، فقد مشى

---

(1)- Monteil, P: OP, cit, P 31- 33.

*- بول كورديلييه(١٨٥٨- ١٩١٤): ولد في ٣٠ تشرين الثاني، في مدينة ستراسبورغ، التحق بمدرسة سان سيير العسكرية عام ١٨٧٧، تخرج فيها عام ١٨٧٩، حيث انضم إلى سلاح المشاة البحرية، قاد حملة في غيانا(١٨٨١- ١٨٨٣)، وحملة مدغشقر(١٨٨٥- ١٨٨٨)، وحملة تونكين(١٨٩٢)، التحق بفوج المشاة السنغالي عام ١٨٩٤.

Archives nationales : site de Paris, N^{0} de notice L0451037.

(2)- Chailley, M: OP, cit, P 320.

(3)- Dutrech, Jean: L'Expanion Limousine L'Epopée Africaine, Lemouzi, Litteraire, Artistique, Historique et Traditionniste, Revue Franco-Limousine mensuelle, Secretariat General de la Ruche Limousine, J.Plantadis, 81, Rue Boursault (XVII), Paris, N 202, Oute 1914, P 293.

(4)- Montil, P : OP, cit, P 27.

الجيش الفرنسي خلالها مسافة تزيد على ٤٥٠كم، وخاض ٢٦ معركة، خسر خلالها ١٦ قتيل، بينما جرح ٦٣ جندي وضابط، بمن فيهم العقيد مونتيل قائد الحملة[١].

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا أصدرت وزارة المستعمرات أمراً بحل الحملة، لاسيما أن القرار مؤرخ ب ١٨ شباط، أي قبل بدء العمليات الحربية ضد الماندنغو؟

وقد جاء الجواب عن هذا السؤال من وزير المستعمرات نفسه، الذي أصدر بياناً أوضح فيه بأن الحكومة أقالت مونتيل لأنه بات من الواضح أن الحملة لا يمكن أن تنجح لأسباب مستقلة عن قيمة وإدارة قائدها، وأن القرار لا يستهدف شخص العقيد [٢].

وهكذا برر وزير المستعمرات باقتضاب شديد قرار حكومته ، وهو في رأي الباحث ليس جواباً كافياً، فلم يكن القتال قد بدأ بعد، ولم يكن هناك أي بوادر تشير إلى أن الحملة ستفشل، فلو كان سبب حل الجيش هو الخوف من عواقب الحملة، لما تمت إقالة قائدها، واستبداله بالعقيد كورديلييه، وفي الوقت نفسه لا يمكن القول بأن دافع الحكومة هو سوء قيادة مونتيل، فقد أشتهر بأعماله السابقة، ولا سيما في "تشاد التي أدى فيها دوراً نشطاً من أجل بسط سيادة فرنسا هناك" [٣]، لذا فقد دل هذا القرار على عجز القيادات العليا عن اتخاذ القرارات الحاسمة.

أما عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء إخفاق الحملة، فإنها تبرز بصورة واضحة، فلم يكن سبب إخفاقها هو سوء القيادة العسكرية، وإنما بسبب سوء القيادة السياسية، فقد مولت الحملة بطريقة غير منتظمة، كما كانت تعاني من سرعة إعداداها وبصورة ناقصة [٤]، فقد كانت البغال مسنة ومريضة، سرعان ما أصيبت بالإنهاك الشديد [٥]، فضلاً عن عدم وصول الإمدادات اللازمة في الموعد المناسب[٦]، عدا عن أن الشعير قد تم شحنه بأكياس بدلاً من صناديق مختومة، كما عانى الجنود من أزمة نقص الخبز [٧].

وهكذا فضحت حملة كونغ التخبط الشديد الذي كانت تعاني منه الحكومة الفرنسية، الذي جعلها تصدر قرار تشكيل حملة ضد ساموري دون دراسة كافية للموضوع، فهي لم تأخذ بعين الاعتبار أن إمبراطورية الماندنغو التي نجحت في الزحف إلى بلد جديد لاتزال قادرة على بذل المزيد من الجهد، وأن لديها من الإمكانيات التي لم تكن فرنسا تحسب حسابها، فقد شكلت عمود كونغ على أساس إبعاد خطر

---

(1)- Montil, P : OP, cit, P 28- 29.

(2)- Daniel, Andre : l'année Politique 1895, Bibliothèque-Charpentier G.Charpentier et E.Fasquelle, Editeurs 11, Rue de Grenelle, 11, Paris, 1896, P 137.

(3)- Chailley, M: OP, cit, P 320

(4)- Kanya- Forstner: OP, cit, P 232.

(5)- Daniel, Andre: OP, cit, P 139.

(6)- Kanya- Forstner: OP, cit, P 232.

(7)- Daniel, Andre: OP, cit, P 139.

الماندنغو فقط وإن أمكن التوصل إلى حل سلمي فإن ذلك أفضل، مما يعني أن الفرنسيين لم يكن عندهم استعداد للتفاني في أداء الواجب العسكري الذي تطلبه مواجهة عدو محنك كساموري.

ومن ثم كان قرار حل الجيش دلالة أخرى على التخبط السياسي، فقد جاء القرار قبل بدء القتال، وبصورة تدعو إلى العجب، ومن ثم كانت المبررات التي قدمها وزير المستعمرات واهية وضعيفة، كما أنه لم يبرر سبب إقالة مونتيل، فقد اكتفى بنفي أن القرار قد استهدف شخص العقيد، بما يوحي بوجود دسائس ضد مونتيل.

أياً كانت أسباب حل حملة كونغ، فإن القرار يدل على إخفاق القيادة السياسية الفرنسية، ذلك الإخفاق الذي انعكس على الساحة العسكرية، فبعد أن مشى الجيش الفرنسي ٢٠٠كم ما بين ساتاما ودباكالا ذهاباً وإياباً، وبعدما خاض ١٨ معركة خلال الفترة الممتدة ما بين ٣ إلى ١٧آذار [١]، عاد من حيث أتى خالي الوفاض، فبمجرد انسحابهم عاد الماندنغو واستولوا على المناطق التي خسروها، وزيادة على ذلك هاجمهم الماندنغو في معسكرهم الذي انطلقوا منه، كمن ذهب إلى العدو وقال له أنا هنا، وهرب وفي أعقابه عدوه.

وهكذا انتهت مهام حملة كونغ، بالفشل الذريع، إذ أن الأمر لم يقتصر على الفشل في تحقيق أهدافها في إبعاد ساموري عن كونغ فحسب، بل حققت نتائج عكسية أدت إلى تعزيز قبضة ساموري على المناطق التي كان يسيطر عليها، وجعلت منه سيد المنطقة بلا منازع.

ومع ذلك فإن للحملة أهمية لا تنكر، فقد نتج عنها تدمير مركزين من مراكز قوة ساموري، وهما سوكولا ديولاس، ودباكالا، مما يعني مزيداً من الإضعاف لساموري، خاصة وأنه كان يمر بظروف صعبة من نقص المؤن والذخيرة [٢]، إلا أن السؤال هنا، ما هي نتيجة الحملة بالنسبة لهدفها الرئيسي وهو كف يد ساموري عن الاستيلاء على مدينة كونغ؟ إن الجواب عن هذا السؤال يكمن في طيات الأحداث اللاحقة التي أعقبت رحيل مونتيل.

رابعاً- إمبراطورية الماندنغو الثانية:

بعد رحيل مونتيل، أخليت الساحة لساموري، وأصبح بإمكانه أن يصول ويجول في أي ركن أراد، مستغلاً حالة الاضطراب التي حلت في أوساط الحكومة الفرنسية عقب إخفاق حملة كونغ، فقد انقسم أصحاب القرار في فرنسا ما بين مؤيد لمواصلة الحرب ضد ساموري، وما بين معارض لذلك، وكان على رأس التيار المعارض العقيد أرشينارد، الذي اقترح بأن تتوقف الحرب مؤقتاً مع ساموري، من أجل توجيه النشاط العسكري للسيطرة على قناة النيجر ما بين باندياجار(Bandiagara) وسان(San)، ولمد نفوذ فرنسا إلى مملكة موسي، حيث كانت محط أنظار كل من والإنكليز والألمان في توغو*، مما سيشكل تهديداً لفرنسا سواءً في ساحل العاج أو النيجر، لذلك اتجهت فرنسا في شهر نيسان ١٨٩٥ لترسيخ

---

*- وكانت ألمانيا قد دخلت ميدان التنافس الاستعماري على السودان الغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث تأخرت بسبب انشغالها في إتمام وحدتها التي تمت عام ١٨٧٠. قليجة، أحمد: المرجع السابق، ص ٨٢.

(1)- Montil, P : OP, cit, P 34.

(2)- Monteil, P: Ibid, P 29.

نفوذها شمالاً [١].

وقد استفاد ساموري من الهدوء الذي ساد على الجبهة مع فرنسا، من أجل تشكيل إمبراطوريته الجديدة في ساحل العاج، عن طريق خوض مزيد من الحروب مع الممالك هناك، وقد وضع في حساباته السيطرة على كونغ وبولي(Bole)، وأن يمد حدود دولته إلى بوبوديولاس (Bobo Dioulasso) وموسي[٢].

بدأ ساموري تنفيذ مخططاته بجعل جيمني مقراً رئيسياً له[٣]، كما عمل على إعادة تنظيم قواته، ومحاولة الحصول على الأسلحة والذخيرة عبر ساحل الذهب، إلا أن ذلك لم يكن ليحصل إلا إذا استولى على مملكة أبرون التي كانت تتحكم بالطريق المؤدي إلى ساحل الذهب، وقد نجح في الاستيلاء عليها في حزيران ١٨٩٥[٤]، كما سيطر على منطقة السافانا التي كانت تحت حكمها [٥]، فأصبح الطريق إلى ساحل الذهب مفتوحاً أمامه، فأرسل إلى الحاكم الإنكليزي هناك، عارضاً عليه صداقته وإقامة علاقات معه، إلا أن الحاكم رفض طلبه، معللاً بأنه لا يستطيع إقامة علاقات مع ساموري بحكم حالة الحرب القائمة بينه وبين فرنسا، باعتبار فرنسا صديقة للحكومة البريطانية [٦].

كان رد حاكم ساحل الذهب الإنكليزي بمثابة السيف الذي قطع حبل الأمل لدى ساموري في إيجاد مصدر خارجي دائم للسلاح، فأدرك أنه لا يزال وحيداً، وأنه لم يعد أمامه سوى الاعتماد على مقدرات إمبراطوريته وشعبه، لذا أمر الصناع المحليين بصنع الأسلحة والخراطيش[٧]، ومن أجل أن يحصل على مزيد من الخيول والمؤن، قام بغزو الممالك ذات الشهرة التجارية، فسيطر على بوندوكو(Bondoukou) في ١٠ حزيران ١٨٩٥[٨]، كما وجه ابنه سارينكي للسيطرة على نهر فولتا الأسود في كانون الأول١٨٩٥، وواصل تقدمه نحو غرب جونجا(Gonja)، كما أقام تحالفاً مع مدينة وا(Wa) [٩]، ومن ثم تابع توسعاته إلى أن سيطر على بولي في شباط ١٨٩٦[١٠]، وكذلك على بونا في كانون الأول

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 49.

(2)- Person, Y: Samori, P 280.

(3)- Moussy: Expansion de la France Vers le Niger le Tchad & le Nil, A. Crepin-Leblond Imprimeur Editeur 21, rue Saint-Dizier, 40m rue Dominicains, Nancy, 1899, P 64.

(4)- Person, Y: Samori, P 280.

(5)- Colloque International Yves Person (1925- 1982), OP, cit, P 55.

(٦)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ١٦٠.

(7)- Moussy: OP, cit, P 64.

(8)- Kamara, A: OP, cit, P 87.

(9)- Person, Y: Samori, P 280.

(10)- Kamara, A: OP, cit, P 87.

عام ١٨٩٦[١]، كما استولى على كل من رودوجو(Rodogou) وسيغولا (Segoula)[٢].

وبعد سيطرته على سيغولا، اكتفى ساموري بما وصل إليه من توسعات، واتجه إلى تدعيم قلب دولته، فأصدر أوامره لابنه سارينكي بالعمل على توحيد عمل المؤسسات التجارية، في كل من بونا وبولي ووا وبندوكو، وإعادة الحركة التجارية فيهن، وكان من المعالم الواضحة في سياسته، السيطرة على الأوضاع السياسية لضمان الاستغلال الاقتصادي، والتحالف التجاري لضمان الانسياب الطبيعي للبضائع التجارية [٣].

أما عن موقف الإنكليز من كل ما كان يجري في ساحل العاج، فقد بدا واضحاً أنهم لم يكونوا على صداقة مع فرنسا كما زعموا، وإنما كانوا يتجهون أينما تقودهم مصالحهم، فعندما اقترب خطر ساموري منهم، رفضوا التعاون معه بحجة فرنسا، إلا أنهم في نفس الوقت كانوا منزعجين من محاولة فرنسا توحيد مستعمراتها في السودان الغربي، ذلك المشروع الذي كانت الحكومة الفرنسية تسعى إلى تحقيقه منذ العام ١٨٩٢، والذي توج بإصدار مرسوم ١٦ حزيران ١٨٩٦، الذي نص على تكوين اتحاد إفريقيا الغربية الفرنسية، المكون من السنغال والنيجر وساحل العاج، كما عين المرسوم السلطات السياسية، وصلاحيات القادة [٤]، مما يعني تجميع مناطق السيطرة الفرنسية في السودان الغربي في كيان سياسي موحد، ولم يبق أمام فرنسا سوا التنفيذ.

ثارت ثائرة الإنكليز بعد هذا المرسوم، وعزموا على عرقلة محاولات تنفيذه، فبدأوا بالتخطيط لتدمير المناطق الشمالية من ساحل العاج، مما يعرقل عملية توحيد ساحل العاج مع النيجر وبالتالي ضمان بقاء ساحل العاج في موقف ضعيف، وفي الوقت نفسه لم يكن الإنكليز يرغبون في الدخول في حرب مع فرنسا، فكيف لهم أن يوقفوا المشروع الوحدوي الفرنسي دون أن يخلوا بمظاهر الصداقة الكاذبة مع فرنسا؟ وقد وجد الإنكليز أن الحل المناسب هو استخدام ساموري كأداة لتنفيذ مخططاتهم، ساموري الذي كان قد أصبح منافساً لإنكلترا منذ دخوله أراضي ساحل العاج، وقد ازداد خطره بعد سيطرته على المنطقة الممتدة بين كونغ وبونا، ولما كان ذا نزعة توسعية محبة للحرب لا يمكن أن يهدأ، لذا رأى الإنكليز أن يستغلوا ذلك، بدفعه إلى المناطق الشمالية حتى بوبو ديولاس، على أن يحلوا محله في كل من بولي وبونا، مما يعني سيطرة الإنكليز على الخط الذي يوحد ساحل العاج مع النيجر.

وكانت خير وسيلة لضمان تنفيذ خطتهم هذه، هي فصل ساموري عن المدن التي يسيطر عليها في الشرق، أي أن الإنكليز عمدوا إلى الاستيلاء على بولي وبونا، من أجل دفع ساموري شمالاً، إذ أنها بذلك تكون قد سدت في وجهه طريق الشرق، ولما كان الجنوب بيد الفرنسيين، فلن يكون أمامه سوا طريق الشمال [٥].

---

(1)- Kamara, A: OP, cit, P 85.

(2)- Monnier, M : OP, cit, P 215.

(3)- Person, Y: Samori, P 282.

(٤)ـ لمعرفة المزيد ينظر: ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(5)- Bulletindu Comité de l’Afrique Française, Comité de l’Afrique Française, 15 Rue de la Ville-l’Eveque 15, Paris, N 1, 5 Janvier 1897, P 253.

لذلك أرسلت إنكلترا في ٢٩ آذار ١٨٩٧م، الملازم هندرسون(Henderson)[١] على رأس حملة مكونة من ٢٥٠ مقاتل[٢]، كان الهدف الرئيسي منها هو انتزاع السيطرة على كل من بونا وبولي.

مشى هندرسون مع قواته إلى جونجا فانسحبت الأرائك منها دون قتال، ومن ثم احتل مامبرسي (Mamprusi) ووا، وطالب ساموري بإخلاء بولي وبونا، فاستغل ساموري ذلك من أجل أن يفاوض الإنكليزعلى السلاح، فأمر ابنه سارينكي بإخلاء بولي، إلا أن الإنكليز رفضوا إعطاء السلاح لساموري، وطلب هندرسون من سارينكي إخلاء بونا أيضاً[٣]، مما أثار غضب سارينكي فهاجم الحملة الإنكليزية مع قوة مقدارها ٨ آلاف مقاتل، وألقى القبض على هندرسون في نيسان ١٨٩٧، حيث تم إعدامه[٤].

كان لحادثة مقتل هندرسون صدى مدوي في الأوساط الإنكليزية، وأدرك ساموري أن الإنكليز لن يسكتوا عن ذلك، وأن الحرب معهم لابد ستقع، مما سيتطلب تأمين المزيد من المؤن والذخيرة، ولما كان تأجيله لاحتلال كونغ بسبب نقص المؤن والذخيرة، فقد أصبح الآن الاستيلاء على كونغ حاجة ملحة للحصول على احتياجاته، من أجل الاستعداد للحرب المرتقبة مع الإنكليز، خاصة بعدما وصلت إليه أخبار مفادها أن الإنكليز بدأوا حشد جيوشهم استعداداً لقتاله[٥].

ومن ناحية أخرى كانت فرنسا قد أنهت حملتها في بلاد موسي في تشرين الثاني١٨٩٦[٦]، والتي حققت لها السيطرة على كامل المنطقة الممتدة شمال ساحل العاج، وبالتالي فقد زالت أسباب تأجيل الصراع مع ساموري، وأخذت تعد العدة للقضاء عليه، إلا أنها رأت في البداية أن تحتل بوبو ديولاس[٧]، حيث كانت تشكل ثغرة على الجبهة الشمالية، فبسيطرتها عليها، تكون فرنسا قد أحكمت قبضتها على كامل الجبهة، وبالتالي فلن يعود أمام الماندنغو منفذ إلى هناك، وهكذا أخذت فرنسا بالتقدم في بوبو ديولاس إلى أن وصلت إلى ديوبوغو (Diebougou)، حيث أسست حصناً فيها[٨]، ليكون منطلقاً لها في السيطرة على كامل المنطقة.

---

(1)- Bulletindu Comité de l’Afrique Française, N1, OP, cit, P 291.

(2)- Guenot, S: Chronique Géographique France Correspondences , Bulletin de la Société de Géographie de Toulouse, IMP. La garde et sebille, Rue nomiguières 2, Toulouse, N 5, 1897, P 345.

(3)- Person, Y: Samori, P 282.

(4)- Darcy, Jean : France et Angleterre Cent Années de Rivalité Coloniale, Librairie Académique Didier Perrin et Cie, Libraires-Editeurs 35, Quai des Grands-Augustins 30, Paris, 1904, P 281, 282.

(5)- Person, Y : Samori, P 280.

(6)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 49.

(٧)- كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٤.

(8)- Person, Y: Samori, P 280.

وقد لجأت فرنسا إلى هذه السياسة، لكي تحصر ساموري في دائرة ضيقة، عندها لن يتمكن من الانتقال إلى مناطق أخرى، فقد تعلمت درساً مما حدث في أعالي النيجر، وأدركت أن ساموري لا يمكن القضاء عليه بالحرب التقليدية، وأنه لا بد من التخلص منه بشكل نهائي، فقد أثار متاعب كبيرة لفرنسا، وآن لها أن تستريح منه، حتى تتمكن من تحقيق سياستها في توحيد المستعمرات الفرنسية، وتنظيم الحياة ضمن المستعمرة بما يخدم مصالحها، وهذا مالا يمكن تحقيقه وساموري لا يزال على قيد الوجود. (رأي الباحث)

أما عن ساموري فقد أثار استيلاء فرنسا على بلاد موسي مخاوفه، إذ وجد نفسه بين نارين الفرنسيين في الشمال والجنوب والإنكليز في الشرق، وكان عليه أن يسرع في إيجاد الحلول المناسبة قبل أن تتحرك جيوش أعدائه، وكان ذلك سبباً آخر دفعه إلى الإسراع في الاستيلاء على كونغ، لذا أصدر ساموري أوامره إلى ابنه سارينكي بإخلاء بوندوكو والالتحاق به من أجل مساعدته في السيطرة على كونغ ، وسرعان ما احتل الإنكليز مدينة بوندوكو بكل سهولة[١]، بينما ذهب سارينكي لمساعدة والده في حصار كونغ، التي سقطت في حوزتهم في ١٨ أيار١٨٩٧[٢]، بعدها توجه سارينكي إلى بوبو ديولاس في محاولة للإستيلاء عليها قبل الفرنسيين، وقد نجح في الوصول إليها إلا أنه لم يدخلها، بسبب تواجد الفرنسيين في ديوبوغو[٣].

تلك كانت نهاية التوسعات التي قام بها ساموري، حيث أرغم على أن يستقر في عاصمته جيمني، من أجل إدارة الموقف الجديد لدولته، والذي فرض عليه أن يحارب الإنكليز والفرنسيين معاً، ولكن قبل البدء في الحديث عن ذلك، هناك سؤال لابد من الإجابة عليه، وهو لماذا أخلى ساموري بوندوكو؟

في الواقع كانت هذه الخطوة مناورة ذكية جداً من ساموري، فهي فضلاً عن أنها جنبته الدخول في حرب مع الإنكليز لم يكن قد استعد لها، فإنها ضمنت له أيضاً الإيقاع بين فرنسا وإنكلترا، ذلك لأن بوندوكو تقع ضمن مناطق الحماية الفرنسية، التي اعترفت بها انكلترا بموجب اتفاقية ترسيم الحدود الموقعة عام ١٨٩٣[٤]، وبالتالي فإن فرنسا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام خرق إنكلترا للاتفاق، أي أن هدف ساموري من إخلاء بوندوكو هو ضرب الإنكليز والفرنسيين ببعضهما البعض. (رأي الباحث)

ولما كان متوقعاً أن الإنكليز سيتجهون لأخذ مدينة بونا بالقوة [٥]، فقد عمد ساموري إلى تهيئة الظروف لحدوث صدام مفتعل بين الفرنسيين والإنكليز، وذلك بالانسحاب التلقائي من بونا على أن يحل محله الفرنسيون، وكان ساموري على يقين بأن فرنسا سترحب بذلك، لما لبونا من أهمية كبيرة، إذ تعد

---

(1)- Person, Y: Samori, P 280.

(2)- Person, Y: Samori, P 282.

(3)- Person, Y: Samori, P 280.

(4)- Moussy : OP, cit, P 62.

(5)- Person, Y: Samori, P 280.

مفتاح المنطقة بأكملها من فولتا إلى كوموي [١]، لذلك كتب ساموري إلى كورديلييه في تموز يخبره برغبته في إقامة السلام مع حكومة فرنسا، عارضاً عليه أن يخلي لهم بونا [٢].

قبلت فرنسا عرض ساموري وأرسلت مبعوثاً باسمها يدعى براولت (Braoulot) مع ٣٩ من الرجال [٣]، من أجل استلام بونا، وقد وصلها في العاشر من آب [٤]، إلا أن الرجال المحيطين بسارينكي قاموا بتحريضه على براولت، فقام بنصب كمين له وقتله مع كامل رجاله بالقرب من بونا في ٢٠ آب[٥].

وهكذا أودت رعونة سارينكي وطيشه بآمال أبيه في إقامة السلام سواءً مع الإنكليز أو الفرنسيين، وكان ساموري قد اختاره ولياً للعهد ظناً منه أنه سيكمل ما كان قد بدأه أباه، إلا أن الباحث يلحظ أن سارينكي قد قضى على ما كان قد بدأه أباه، وأسوء ما في الأمر، أن ذلك تم في حياة أبيه وتحت حكمه، فكيف لو أنه استلم العرش وحكم الإمبراطورية بمفرده.

إلا أن أهم ما في ذلك هو ماذا كان رد فعل فرنسا بعد هذه الحادثة؟ من المعتاد أن فرنسا في مثل هذه الحالات، تسارع إلى تأديب الجاني انتقاماً لكرامتها وهيبتها، كما فعلت عندما أهان ساموري مبعوثها ألكاماسا، على الرغم من أنه سوداني أولاً، ومن ثم لم يقم ساموري بقتله وإنما اكتفى بسجنه ثانياً، فكيف تصرفت مع حادثة مقتل براولت، وهو ضابط فرنسي، ربما سيتبادر إلى الأذهان أن فرنسا ستحشد جيشاً هائلاً، وتشن حرب إبادة ضد شعب الماندنغو، إلا أنها لم تفعل ذلك، ففرنسا اليوم ليست فرنسا في الأمس، فهي لم تكن تفكر في كرامتها في هذه الأثناء، بل كانت تفكر جدياً بكيفية القضاء على ساموري بشكل نهائي، ولما كانت تدرك أن حربها معه ستكون عبارة عن مطاردة كالعادة، ولن تكون نتيجتها سوى مزيد من الدمار لمناطق كانت تتطلع للسيطرة عليها، وهذا أمر لا يصب في مصلحتها، ولما كان الطريق الشمالي الغربي لا يزال متاحاً أمام ساموري، فقد عمدت إلى السيطرة عليه، وبذلك تكون قد حصرت ساموري في دائرة ضيقة، ومن ثم تنقض عليه وتنهي إمبراطوريته من مسرح الوجود.

وبناءً على ذلك أطلقت حكومة ساحل العاج حملة بقيادة العقيد بيرتين (Bertin) في آب ١٨٩٧، لاحتلال الحدود الشمالية الغربية لساحل العاج، التي تحد ولايات ساموري على أن تكون مدينة تومبوغو(Tombougu) الحد الفاصل بين مناطق النفوذ، كما نصت التوصيات على ألا يدخل في حرب مباشرة معه، إلا إذا اضطر الأمر إلى محاربته على الحدود، وهكذا بدأ بيرتين يجتاح المنطقة الشمالية الغربية، إلى أن سيطر عليها بالكامل، حيث تم بناء عدة حصون في المنطقة، في توبا(Touba) ودبلة(Dabala) وتومبوغو، وقد أنهى مهمته خلال شهر تشرين الثاني ١٨٩٧، ومن ثم عاد إلى غراند

---

(1)- De Solières, B : De Solières, B: Les Hauts Faits de l'Arm'e Coloniale, ses héros J.Giriend, Imprimeur-Editeur 58, Rue des Carmes, 58, Rouen, 1912, P 19.

(2)- Bonnefon : l'Afrique Politique en 1900, Henri Charles-Lavauzelle Editeur militaire 10, Rue Danton, Boulevard Saint-Germain, Paris, P 130.

(3)- Bulletindu Comité de l'Afrique Française, N1, OP, cit, P 332.

(4)- De Solières, B : OP, cit, P 20.

(5)- Bonnefon : OP, cit, P 130.

بسام، بعدما تم تعيين القائد كونارد(Konard) قائداً لمنطقة جنوب السودان الغربي، على أن يكون مقره في أوديني، وقد تم ذلك دون أن تواجه فرنسا أي معارضة من ساموري، فقد كانت الأرائك خلال ذلك لا تزال في الشرق تحت قيادة بلال[١]، الذي كان قد عاد من سيراليون، والتحق بجيش سيده.

أما عن الإنكليز فقد استغلوا فرصة انشغال فرنسا بالاستعدادات للحرب الشاملة مع ساموري، وكذلك موقف ساموري الضعيف وتوقفه عن الحروب، وقامت باحتلال بونا في ١٧ تشرين الثاني ١٨٩٧[٢]، مما أثار حفيظة فرنسا، إلا أنها سكتت عن بونا، فقد كان شغلها الشاغل هو انتزاع سيادة بندوكو منها، قبل أن تبدأ قتال ساموري ـ وذلك لبعد بونا وقرب بندوكو من مناطق نفوذ ساموري (رأي الباحث)ـ ولم تجد فرنسا صعوبة في التفاهم مع انكلترا، فقد اعترفت لها إنكلترا في وقت سابق بحقها في بسط نفوذها على بندوكو، وسرعان ماحلت الجيوش الفرنسية محل الجيوش الإنكليزية في الخامس من كانون الأول ١٨٩٧[٣].

وبالتالي فقد خابت خطة ساموري في دفع الفرنسيين لقتال الإنكليز، فلم يكن من مصلحة فرنسا أن تدخل في حرب مع إنكلترا، في ضوء استعداداتها لقتال ساموري، بل وانعكس ذلك على ساموري، فقد انقطعت أمامه جميع السبل في إيجاد حليف يمده بالأسلحة اللازمة، بل واندفعت فرنسا بإصرار أكبر للتخلص منه، فيكفيها ما أثاره لها من متاعب.

وهكذا كانت مساحة إمبراطورية الماندنغو في ساحل العاج غير ثابتة، كما كانت في أعالي النيجر، ففي كل شهر تقريباً كانت تكسب مناطق جديدة وتخسر أخرى، وحتى نهاية عام ١٨٩٧ كانت الإمبراطورية الماندنغو الثانية ممتدة على كل من جيمني، وكونغ وسيغولا وسوكورو وكومي وبانداما[٤] فضلاً عن العاصمة داباكالا[٥]، بحدودها السياسية المتمثلة بمملكة كيندوجو في الشمال الغربي، والمستعمرات الإنكليزية في الشرق، والمستعمرات الفرنسية في الشمال والجنوب.

الجدير بالذكر أن الفرنسيين قد أطلقوا على هذه الإمبراطورية، بمزيج من الإعجاب، اسم الإمبراطورية المتنقلة، كما شبهوها بمزيج من الخوف والرهبة "بآلة شيطانية تحصد كل ما يقع في طريقها ونسوا أن يضيفوا أن التدخل الأوروبي هو الذي قلع هذه المجموعة السياسية من جذورها وهو الذي أحال ساموري إلى شهاب مدمر، فقد أجبر على أن يأخذ ليعيش وأن يدمر ليدافع عن النفس[٦].

خامساً ـ حملة العقيد بول كورديلييه كانون الثاني/ شباط ١٨٩٨:

في ضوء استعدادات فرنسا للقضاء على إمبراطورية الماندنغو، قامت بتأسيس حصن في

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 76 – 80.

(2)- Moussy : OP, cit, P 38.

(3)- Clozel: OP, cit, P 273.

(4)- Moussy : Ibid, 64.

(5)-Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 80.

(٦)ـ كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٢، ٦٨٣.

كوموي[١]، عينت عليها ضابطاً شاباً برتبة ملازم يدعى ديمار(Demars)، وكلفته بمراقبة تحركات كل من ساموري والإنكليز[٢].

ولما كانت حكومة ساحل العاج تعلم بأن كونغ ستكون الوجهة التالية للإنكليز بعد بونا، ولما كانت تخشى أن تسيطر عليها بالاتفاق مع ساموري، فقد عمدت إلى محاولة الاستيلاء عليها قبلهم، لذا أمر بنجر العقيد كورديلييه بإعداد حملة لاحتلال كونغ، قبل وصول الإنكليز إليها[٣]، وتدل مخاوف فرنسا على علمها بالمخطط الإنكليزي الرامي إلى عرقلة توحيد المستعمرات الغربية في السودان الغربي وساحل العاج، ذلك المشروع الذي اقترب من الاكتمال، ولم يبقى سوى كونغ حجر عثرة في طريق تحقيقه[٤].

ومع ذلك فقد تم إرسال الحملة بشكل مفاجئ، ودون استعداد مسبق، عندما أخبر سكان بوبو ديولاس كورديلييه بأن الأرائك قد أخلت كونغ[٥]، إلا من حامية صغيرة تقوم على حراستها[٦]، عندها سارع كورديلييه إلى إصدار الأوامر إلى ديمار، بجمع كل من معه من جنود في كوموي، والسير إلى كونغ للاستيلاء عليها[٧].

وفي ٢١ كانون الثاني، خرج ديمار من كوموي مع رجاله البالغ عددهم ١١٦ من المشاة[٨]، واتجهوا جنوباً نحو كونغ الواقعة على بعد ٦٠ كم من كوموي[٩]، ووصلوها في ٢٥ كانون الثاني[١٠].

كان على ديمار أن يقاتل الحامية التي تحرس كونغ، حتى يتمكن من الدخول إليها، وكانت هذه الحامية عبارة عن ثلاثمائة أريكة، لم يجد ديمار صعوبة في هزيمتهم، فسرعان ما فروا باتجاه الداخل، والفرنسيون يطاردونهم، وبذلك تم لهم دخول كونغ، وبسط السيادة الفرنسية عليها[١١].

أخذ ديمار ينظم كونغ، ويعيد ترتيب الأمور فيها بما يتناسب مع وضعها الجديد كمدينة تابعة

---

(1)- Bulletin de la Societe de Geographie de L'ain Paraissant Tous les trois mois, Imprimerie du Courrier de l'ain Francisque Allombert Proprietaire, Boury, 1899, P145.

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 63.

(3)- Bulletin de la Societe de Geographie de L'ain Paraissant, OP, cit, P 145.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 80.

(5)- Manuel A'Lusage Des Troupes…, P 323.

(6)- Bulletin de la Societe de Geographie de L'ain Paraissant, OP, cit, P 145.

(7)- Moussy : OP, cit, P 38.

(8)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 63.

(9)- Moussy : OP, cit, P 38.

(10)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 63.

(11)- Bulletin de la Societe de Geographie de L'ain Paraissant, OP, cit, P 145.

لمستعمرة ساحل العاج، وقد فاته أن ساموري لن يسكت عن وجود الفرنسيين في كونغ، وهكذا وعلى حين غرة وفي غفلة من ديمار دخلت ثلاثة آلاف أريكة يقودها سارينكي [١] مدينة كونغ في ١٢ شباط، مما أفشل مشاريع ديمار، الذي هرب مع جنوده باحثين عن مكان آمن يختبؤون فيه، إلى أن وجدوا ضالتهم في مكان ما في الركن الجنوبي الشرقي من المدينة، حيث احتموا هناك خلف مجموعة من الأنقاض، واتخذوا موقفاً دفاعياً، وظلوا ساكنين بانتظار ما ستسوقه إليهم الأحداث.

استغل سارينكي فرصة خلو المدينة من الفرنسيين، لشن حملة تأديبية على السكان بسبب تعاونهم مع الأعداء، فقام بسلسلة من الإعدامات وتخريب الممتلكات، وأثناء ذلك وجد جنوده مخبأ الفرنسيين، فسارع سارينكي إلى هناك، وبدلاً من الهجوم المباشر عليهم، اتبع التكتيك المعهود، وهو فرض الحصار على الحامية الفرنسية، ذلك الحصار الذي بدء منذ ١٣ شباط[٢]، حيث أحاطت الأرائك بالفرنسيين على شكل دائرة، وقاموا بتضييق الخناق عليهم[٣].

عندها وجد ديمار أنه في مأزق خطير جداً، وأنه لا يملك المعدات التي تمكنه من إنقاذ الحملة من إبادة جماعية محتمة، لذا كان يأمل بوصول الإمدادات من كورديلييه.

علم كورديلييه بما حل لحملة ديمار في ١٥ شباط[٤]، وكان حينها في ديوبوغو[٥]، وعلى الفور قام بإعداد حملة مؤلفة من ٥٠٠ مقاتل، وغادر ديوبوغو إلى كوموي التي وصلها في ٢٣ شباط، وهناك أخذ يتزود بالمؤن والذخيرة، بما يضمن له الانتصار على العدد الهائل من الأرائك، وإنقاذ الحامية المحاصرة[٦].

وفي تلك الأثناء كانت الحامية الفرنسية في كونغ تعاني من صعوبات عديدة، فقد أصيب جنودها بالإعياء بسبب نقص الماء والغذاء، فقد أوشكا على النفاذ، كما كان عليهم التصدي لمحاولات الماندنغو القيام بهجمات متفرقة[٧]، والتي على ما يبدو لم تكن هجمات بقصد انهاء مقاومة الحامية، وإنما لتخويف الجنود ودفعهم للاستسلام.

وفي الوقت الذي كانت مقاومة جنود ديمار تقترب من نهايتها، ظهر كورديلييه في المدينة في ٢٧شباط، وقد تمكن من فك الحصار عن الحامية دون أن يبذل جهداً يذكر، فبمجيئه سارع سارينكي

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 64.

(2)- Moussy : OP, cit, P 39.

(3)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 64.

(4)- Moussy : OP, cit, P 41.

(5)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 64.

(6)- Moussy : OP, cit, P 41.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 64.

بالانسحاب مع جنوده إلى داباكالا[١]،وبذلك تم للفرنسيين الاستيلاء على كونغ وإبعاد خطر كل من ساموري والإنكليز عنها[٢]، ونتيجة لذلك تم لهم السيطرة على كامل المنطقة الممتدة من ميلو إلى كوموي[٣]، وبالتالي تحقق لفرنسا مساعيها في توحيد مستعمرة النيجر مع مستعمرة ساحل العاج.

أما بالنسبة لساموري، فبعد استيلاء الفرنسيين على كونغ، أصبحوا على مقربة من مركز دولته ، مما دفعه إلى إخلاء داباكالا، والانتقال إلى باندامًا، حيث بنى قلعة اسماها بوري بانا(Bori-Bana)، وتعني لا هروب بعد الآن في لغة الماندنغو ، وبالتالي تقلصت حدود الإمبراطورية الثانية، حيث أصبحت مقتصرة على وديان نهري باندامًا وساساندرا[٤].

تلك كانت نتائج حملة كودريلييه، تلك الحملة الصغيرة التي بدت في البداية غير ذات أهمية، إلا أنها نجحت في تحقيق ما عجزت عنه حملة كونغ، فقد أبعدت خطر ساموري عن كونغ، كما أنها مكنت الفرنسيين من ربط مناطق نفوذهم في كل من النيجر وساحل العاج.

إلا أن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، لماذا لم يقم ساريكني مع العدد الهائل من الجنود، بالهجوم المباشر على الحامية الفرنسية الضعيفة، قليلة العدد؟ بل وعلى العكس كانت هناك محاولات لدفعهم للاستسلام.

في الواقع لم يكن ساموري يرغب في إثارة غضب فرنسا أكثر مما كانت عليه، فلعله وجد في ديمار وجنوده، طعماً يستدرجها من خلاله إلى المحادثات، ولكن ماهي غاية ساموري من تلك المحادثات؟

يمكن استخلاص الجواب من خلال العودة إلى استراتيجية ساموري في قتال الفرنسيين منذ المعركة التي وقعت عند كينيران وإلى غاية حملة كورديلييه، فمن خلال دراسة سير الأحداث والمعارك التي خاضها ساموري، يتضح أن ساموري لم يكن يهتم بالمحافظة على مناطق نفوذه في حال ضاق الخناق عليه، وإنما يقوم بإخلائها، والذهاب إلى مناطق أكثر أمناً، إلا أن الأمور الآن قد اختلفت، فجميع الجبهات قد سدت في وجهه، ومن غير المعقول أن المفاوضات ستقوم على أساس فتح ممرات ليتمكن الماندنغو من الذهاب إلى مناطق أخرى، فقد سيطرت فرنسا على كامل المنطقة، كما أنه من المستحيل أن تكون غاية ساموري التفاوض على السلاح، فليس من المعقول أن تعطيه فرنسا السلاح وهي في حالة حرب معه، كما أنه لم يكن ليعرض عليهم أن يعترفوا بسلطته على المناطق التي في حوزته، فقد جوبه

---

(1)- Manuel A,Lusage Des Troupes…, P 323.

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 65.

*ـ نهر ساساندرا: ينبع من بيلا الواقعة حالياً في غينيا، طوله ٦٥٠ كم، له رافدان على الضفة اليمنى، هما نهري بافنغ(Bafing)، ونزو(N'zo).

République De Cote d’Ivoire, OP, cit, P 12.

(3)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 80.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 80 .

طلبه قبل ذلك بالرفض، لذا فمن المرجح أن ساموري كان يريد إحياء مشروع المعاهدة الذي طرح عليه في كونغ، ألا وهو العودة إلى سانكورو، ومما يوحي بذلك الاسم الذي أطلقه على قلعته في بانداما **(لا هروب بعد الآن)**، ذلك الاسم الذي يدل على اليأس والاستسلام للأمر الواقع، وهذا ما كان فقط عند إخفاقه في دفع الفرنسيين عن كونغ. (رأي الباحث)

سادساً- حملة العقيد راؤول دي لارتيج*(Raoul De-Lartigue) تموز ١٨٩٨م ونهاية إمبراطورية الماندنغو:

بعد توحيد المستعمرات الفرنسية في السودان الغربي، تحول القرار في ساحل العاج إلى يد القائد العام للسودان الغربي العقيد رينيه أوديو*(Rene Audeoud)، وبالتالي أصبحت مهمة القضاء على إمبراطورية الماندنغو ملقاة على عاتقه.

رأى أوديو أن الوقت أصبح مناسباً لتوجيه حملة للقضاء على ساموري نهائياً، فقد تم تطويقه بالكامل، فأصدر أوامره لقادة منطقتي النيجر وأوديني بهذا الصدد، وكان على وشك إطلاق الحملة، لولا ازدواجية بابيمبا، الذي قام مؤخراً بأعمال عدائية ضد الدوائر الفرنسية في المناطق المجاورة، كان آخرها في الثاني من شباط، عندما نهب رجاله البعثة الفرنسية التي أرسلها أوديو من أجل أن يأخذ منه ميثاقاً بأن يبقى على حياد خلال الحرب مع ساموري، وتهديده في حال نقض الميثاق، فكان الهجوم على القافلة الفرنسية ونهبها إهانة كبيرة، جعلت أوديو يستشيط غضباً[١]، لذا قام بتأجيل قتال ساموري، حيث أعطى الأولوية للقضاء على كيندوجو، وبالتالي إحكام الخناق حول ساموري.

أطلق أوديو حملته ضد مملكة كيندوجو في التاسع من نيسان[٢]، وانتهت في الأول من أيار١٨٩٨ بسقوط العاصمة سيكاسو [٣]، وبالتالي أصبح الطوق الفرنسي يحيط بساموري من كامل الجهات الغربية والشمالية والجنوبية، وأصبح بإمكان فرنسا التوجه للقضاء عليه دون أي عوائق تذكر،

---

*- راؤول دي لارتيج(١٨٥٧- ١٩٢٣): ولد في ٢٣ تشرين الثاني، في ولاية أفيجنون(Avignon)، درس في مدرسة سان سير العسكرية، وتخرج منها برتبة ملازم ثان عام ١٨٧١، في عام ١٨٨٠ أرسلته حكومة فرنسا إلى الجزائر، وفي عام ١٨٩٤التحق بالجيش الفرنسي في السودان الغربي، حيث أصبح قائداً للمنطقة الجنوبية عام ١٨٩٨.

Archives nationales : site de Paris, N0 de notice L1488073.

*- رينيه أوديو(١٨٥٤- ١٩٠٩): ولد في ٧ أيلول، في بوكسيير سوليه كوت(Buxieres-Sous-les-Cotes)، تخرج في مدرسة سانت سيير العسكرية عام ١٨٧٤، شارك في حملة كوشين بالصين(١٨٧٩- ١٨٨٠)، أرسل إلى السودان الغربي منذ عام ١٨٨٣، وفي عام ١٨٩٧ عين قائداً مؤقتاً للسودان الفرنسي.

Archives nationales : site de Paris, N0 de notice L0070055.

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 69.

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 70.

(3)- Bonnefon: OP, cit, P 131.

لولا أن فصل الأمطار كان قد بدأ حينها، مما أجبرها على تأجيل الحرب مع ساموري[١]، فرأت أن تقوم بدلاً من ذلك بتصفية حساباتها مع الإنكليز حول بونا*[٢]، مما يكفل لها محاصرة ساموري على كامل الجبهة الشرقية.

أما عن موقف ساموري بعد سقوط سيكاسو، فقد كان لخبر سقوطها وقع الصاعقة عليه، فقد خسر آخر حليف له في المنطقة، مما أثار خوفه وهلعه، وأخذ يبحث عن الحل المناسب الذي يجنبه الكارثة المقبلة ، فأشار عليه موري فيغ ديان وديالي عمارة، بالعودة إلى بلاد توما في الجنوب[٣]، فهي لم تكن قد خضعت للفرنسيين، كما أنها موطن معظم رؤساء الأرائك، وعائلاتهم لا تزال تقيم فيها[٤]، مما يعني وجود قاعدة شعبية حاضنة، وهي القاعدة الأولى في بناء أي دولة.

وبالفعل استجاب ساموري للنصيحة، وفي ٢ حزيران ١٨٩٨ قام بتجميع أتباعه وحاشيته[٥] ـ المقدر عددهم حوالي ٤٠٠٠ جندي، و١٢٠ألف من النساء والأطفال و٨٠٠٠ من الأسرى[٦] ـ وأمرهم بإخلاء بانداما والتجمع في سيغولا، بعدما أحرق جنوده جميع القرى التي كانوا يسيطرون عليها، واتجهوا جنوباً إلى أن وصلوا سيغولا في ١٤ حزيران، ومن ثم عبروا وادي ساساندرا في ٢٥ حزيران، إلى أن وصلوا إلى كل من دوي(Dwe) ومانون(Manon)، حيث قرر ساموري البقاء في دوي، واتخاذها مقراً له ريثما ينتهي موسم الأمطار، مما أثار خوف السكان وقلقهم.

لم يكن لدى ساموري الاستعداد لخوض حرب مع أهالي المنطقة، فهو لم يأت بقصد الاحتلال، وإنما لوقوع بلادهم على طريقه إلى توما، لذا حاول ساموري تهدئة الأهالي، وأعلن أنه ليس غازياً، وإنما صديق لهم، إلا أن ذلك لم يكن كافياً، فقد كان عليه أن يرحل عن بلادهم، وهذا ما كان يريده هو أيضاً لولا الأمطار التي أوقفت مسيرته، لذا قام سكان دوي ومانون بالاستنجاد بالفرنسيين في توبا، بل وقام عدد من شبانهم بالانضمام إلى الجيش الفرنسي، للمشاركة في قتال الماندنغو ودفعهم عن البلاد[٧].

---

(1)- Person, Y : Samory, P 283.

*ـ وكانت أن حسمت مسألة بونا بموجت الاتفاق الذي تم التوصل إليه في ١٤ حزيران، الذي اعترفت خلاله فرنسا بمستعمرة ساحل الذهب الإنكليزية، بينما اعترفت إنكلترا بمستعمرة ساحل العاج الفرنسية، وبالتالي كان على انكلترا أن تخلي بونا.

(2)- La Chatelier, A : OP. Cit, P 242.

Nudant: l'Expansion Française dans l'Afrique Centrale, Revue du Cercle militaire, bulletin des réunions d'officiers des armées de terre et de mer, No 41, 12 Octobre 1901, P 397.

(3)- Legendre, P: OP, cit, P 492.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 82.

(5)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 82.

(6)- Legendre, P: OP, cit, P 492.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 85.

أدرك أوديو أن ساموري يسعى إلى الوصول إلى بلاد توما، مما دفعه إلى التحرك على الرغم من هطول الأمطار، حيث أرسل في الأول من تموز فيلقين لقطع الطريق إلى سيراليون، فكان ذلك[١]، كما أوعز إلى دي لارتيج قائد المنطقة الجنوبية، بتشكيل قاعدة عمليات عسكرية في الجنوب للعمل على وقف مسيرة ساموري والقبض عليه[٢].

وبعد تلقيه تعليمات أوديو، بدأ لارتيج على الفور باتخاذ الإجراءات اللازمة للقتال، وقرر تجهيز حملته المقبلة في توبا، لقطع الطريق الجنوبي على ساموري[٣]، حيث وصل إلى توبا في ١٤ تموز، للإشراف على تشكيل الحملة[٤]، وقد تم تشكيلها خلال يومي ١٥ و١٦ تموز، وفي اليوم السابع عشر، أرسل لارتيج حملة استطلاعية، ليستوثق من موقع معسكر ساموري في دوي[٥].

وبناءً على المعلومات التي جمعها، وجد لارتيج أن الفرصة مناسبة للهجوم على ساموري، فقام بتنظيم الحملة مقسماً إياها إلى قسمين: فرقة الإعاشة بقيادة باتريه مكونة من ٦٠ جندي، وفرقة الهجوم المكونة من ٢٤٨ من الجنود، تولى لارتيج قيادتها بنفسه[٦]، حيث خرج من توبا في ١٩ تموز باتجاه دوي[٧]، وهناك اشتبك الفرنسيون مع قوة قوامها ٤٠٠٠ من الماندنغو[٨] في قتال عنيف، استمر لمدة يومين، أوقع الفرنسيون خلالها ٤٠٠ قتيل في صفوف الماندنغو، بينما لم يقتل منهم سوا ١٣ رجلاً[٩]، وكانت الأوضاع محفزة على متابعة الهجوم، لولا نقص المؤن، كما أن فرقة الإعاشة تأخرت في الوصول، ولم يكن بإمكان لارتيج التوقف لانتظارها، مما أجبره على العودة إلى توبا، وجنود الصوفا في أعقابه، حيث نجحوا في الوصول إلى جدران الحصن الفرنسي في توبا[١٠].

رابطت قوات الماندنغو على بعد سبعة أمتار من الحصن الفرنسي[١١]، مما أزعج لارتيج، فسير جيشاً لقتالهم ، حيث هاجم الفرنسيون الأرائك في ٢٢ تموز وتمكنوا من دفعهم إلى نهر نزو، وفي اليوم

---

(1)- Legendre, P: OP, cit, P 492.

(2)- Person, Y : Samory, P 283.

(3)- Legendre, P: OP, cit, P 492.

(4)- Moussy : OP, cit, P 67.

(5)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 86.

(6)- Moussy : OP, cit, P 67.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 87.

(8)- Bonnefon: OP, cit, P 131.

(9)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 87, 88.

(10)- Manuel A'Lusage Des Troupes…, P 324.

(11)- Moussy : OP, cit, P 67.

التالي شن الفرنسيون هجوماً جديداً على الماندنغو ، الذين تراجعوا إلى ما وراء نزو[١].

شعر ساموري بأن الخطر اقترب كثيراً، وأن الخناق يضيق أكثر وأكثر، حتى كاد يطبق حول عنقه، وتحت تأثير هذا الضغط اتخذ قراراً لا معنى له، إذ قام بمغادرة مقره الشتوي في دوي، واتجه نحو الجنوب الشرقي إلى جبال جورو (Gourou)*، تاركاً خلفه حامية مكونة من ٥٠٠ جندي، لكي يضمن البقاء على اتصال مع مساعديه في دوي و مانون.

استغل لارتيج انسحاب ساموري من دوي، وأرسل حملة للسيطرة عليها، حيث تم لهم ذلك، بعدما أوقعوا مذبحة كبيرة في حامية الماندنغو، إلا أن لارتيج لم يتمكن من إيقاف ساموري، بسبب افتقاره للمؤن والغذاء[٢]، لذا قام بالإرسال إلى أوديو يطلب منه إمداده بالتعزيزات[٣].

على الرغم من أن لارتيج لم يكن يستطيع الحركة قبل وصول التعزيزات، إلا أنه لم يوقف نشاطه ضد ساموري، وقد كان نشاطه هذا مركزاً في المناطق القريبة من توما، حيث مون حصون كروان وبيلا الواقعتان شمال توما، كما أرسل عملائه إلى توما والمدن الواقعة على الطريق إليها، مدعياً أن فرنسا صديقة لهم، محذراً إياهم من ساموري، والمصير الذي سيلقونه على يده في حال سمحوا له بالدخول إلى بلادهم، محرضاً إياهم على الوقوف في جهه، والدفاع عن أنفسهم وبلادهم ضده[٤].

وفي الوقت الذي كانت فرنسا تسعى فيه إلى تقوية موقفها في المنطقة، كان ساموري يعاني من مشاكل داخلية، فقد كانت ممرات جبل جورو ضيقة، مما أعاق مسيرة جيشه، وأبطأ تقدمه، وبدأ الغذاء يقل، فحلت مجاعة ذهب ضحيتها عدد كبير من الأفراد[٥]، فأرسل جنوده من أجل جمع المؤن، فكان أن تفرقت هذه الجموع في وسط الظروف القاسية، ولم يعد العدد الأكبر منها[٦]، وإزاء ذلك، لم يجد ساموري حلاً سوا أن يهادن الفرنسيين، فأرسل رسول سلام إلى توبا في الأول من آب، عارضاً على لارتيج أن يسمح الفرنسيون له بالعودة إلى ساننكورو[٧]، إلا أن لارتيج وبناءً على تعليمات أوديو اشترط عليه تجريده من الأسلحة، والإقامة الجبرية في ساننكورو، وتسليم ولديه سارينكي ومختار كرهائن، إلا أن ساموري فضل متابعة القتال، على أن يقبل بهذا الشروط[٨].

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 88.

*ـ أي أن ساموري قد انتقل من المنطقة ما بين نهري ساساندرا وكافالي، إلى المنطقة الواقعة ما بين نهري باندامًا وساساندرا. ينظر الشكل رقم (٣).

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid, P 88.

(3)- Moussy : OP, cit, P 68.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 89.

(5)- Person, Y : Samory, P 284.

(٦)ـ إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص١٤١.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 89.

(8)- Moussy : OP, cit, P 68.

والسؤال هنا، لم لم يوافق أوديو على عرض ساموري، وهو الأمر الذي كانت تسعى له فرنسا منذ زمن؟ فلماذا قرن الموافقة على قبول السلام بهذه الشروط المستفزة، فمن المتوقع أن ساموري سيرفض الخضوع لها؟

في الواقع لم يكن أوديو يثق بساموري، ولم يكن مقتنعاً بصدق رغبته بالمهادنة، فقد رجح أن ساموري يريد تشتيت انتباه الفرنسيين بتوجيههم إلى المفاوضات ريثما يصل إلى توما بسلام[١]، مما دفع أوديو إلى وضع شروط تمكنه من التأكد من نوايا ساموري، فإن لم يوافق فليس أمام فرنسا ما تخسره، بخلاف ساموري الذي أوشك على النهاية، وكان من العوامل التي شجعت أوديو على ذلك، الانشقاقات بين صفوف الأرائك ممن ضاقوا ذرعاً من القتال، فقد لجأ هؤلاء إلى الفرنسيين في توبا وبيلا، وقد بلغ عددهم خلال شهر آب نحو ٣٥٠٠ مقاتل، مما عزز ثقة أوديو بالنصر[٢].

بخلاف أوديو، لم يكن ساموري يرى أن الأمور قد اقتربت من النهاية، فلا يزال هناك منفذ إلى توما، حيث واصل سيره نحو الجنوب، ودخل غابة تونجارادوغو(Toungaradougou)، عند الضفة اليمنى لنهر بافينغ[٣].

في الواقع أن ساموري قد ارتكب خطأً كبيراً بانحرافه نحو جبال غورو، فقد ابتعد بذلك كثيراً عن توما، ومن ثم كان دخوله غابة تونجارادوغو إحدى النتائج التي ترتبت على هذا الخطأ، ففضلاً عن ما أحدثه دخولها من إرهاق لجيشه، فقد كانت الغابة كبيرة، وتتصف بالرطوبة والإضاءة الخافتة في منتصف النهار، وبتربتها الإسفنجية، فقد كان دخولها عبئاً كبيراً على النفس والجسد[٤]، عدا عن المقاومة الشرسة من سكانها.

تابع ساموري سيره غرباً باتجاه كافالي، وعند وصوله إلى دينيفيسو(Denifeso)، هاجمه سكان المنطقة، مما جعله يرتد إلى جيليبا كونادي(Keleba Konnady)، حيث اتخذ منها قاعدة للهجوم على دينيفيسو، وقد نجح أخيراً في الاستيلاء عليها عقب يومين من القتال.

أمام هذه التطورات، وجد لارتيج أن من الأفضل اغتنام الفرصة، واستغلال معارضة سكان غابة تونجارادوغو لساموري، والتعاون معهم من أجل حصاره في مربع فرنسي، شمالاً ما بين بافينغ وديوغو، ساساندرا في الشرق، كافالي في الغرب، وتونجارادوغو الممتدة على طول الجبهة الجنوبية مابين ساساندرا وكافالي.

وعلى الفور قام لارتيج باصدار الأوامر وتوزيع الجنود على الجبهات، حيث أرسل فرقة لسد الفجوة بين نهري بافينغ ديوغو، وكذلك أرسل الجنود من أجل سد طرق الشرق والجنوب، إلا أن المهمة

---

(1)- Moussy : OP, cit, P 68.

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 90.

(3)- Bonnefon: OP, cit, P 132.

(4)- Gouraud: Au Soudan, Editions Pierre Tisne, Paris, 1939, P 216.

الأصعب قد وقعت على عاتق الحملة التي ستتولى قطع الطريق على ساموري عند كافالي[١]، إذ كان ساموري ينوي عبور النهر، ليصل إلى ليبيريا، ولما كان الجزء الأكبر من القوات الفرنسية موجود في بيلا، لذلك أمر لارتيج الملازم وولفيل(Woelffel)، بعبور كافالي وقطع الطريق على ساموري[٢]، حيث سيرفده هناك حامية مؤلفة من ٧٠ مقاتل، سيرسلها لارتيج من توبا[٣].

غادر وولفيل بيلا في ١٨ آب، على رأس جيش صغير مكون من ١٠٠ مقاتل، حيث اتجه جنوباً ومن ثم عبر نهر كافالي إلى تونجارادوغو في ٢٦ آب، حيث التقى هناك بالتعزيزات القادمة من توبا، وقد حملت إليه أوامر لارتيج بمراسلة ساموري، وابلاغه بأن فرنسا مستعدة لإعطائه الأمان، والالتزام بالوعود، في حال قبل تسليم ولديه للجيش الفرنسي، فإن رفض وأصر على عبور النهر، فإن الجيش الفرنسي سيهاجمه.

لم يكن اصرار ساموري على رفض عرض لارتيج بأقل من اصراره على رفض عرض أوديو في المرة السابقة، بل وبدأ بتجهيز نفسه لخوض حرب حياة أو موت مع الجيش الفرنسي، واتبع لذلك تكتيكاً حربياً يقوم على تجهيز جيش رئيسي، وجيشين احتياطيين، قام بتوزيعهم على ثلاث محاور على الطرق الواقعة ما بين تونجارادوغو وجيش لارتيج في توبا، وكان الجيش الرئيسي بقيادة بلال متمركزاً عند جيليبا كونادي، بينما تجمع الجيش الثاني تحت قيادة سارينكي في جيوبي(Guehoubie)، أما الجيش الثالث كان متمركزاً في جورو بقيادة ساموري لحماية الخطوط الخلفية للجيش الرئيسي، وقد امتنع ساموري عن أخذ زمام المبادرة، فقد كانت مصلحته تقتضي بأن ينتظر تحركات الجيش الفرنسي، وبناءً على ذلك يقوم بتحريك جيوشه.

غادر وولفيل تونجارادوغو في الرابع من أيلول ١٨٩٨، متجهاً إلى دينيفيسو، وعندما أصبحت الحملة على مقربة منها، أعطى ساموري أوامره إلى بلال بترك مواقعه في جيليبا، والتوجه إلى دينيفيسو، كما أمر حامية دينيفيسو بترك أماكنهم بمجرد رؤيتهم الجيش الفرنسي، على سبيل خداع الفرنسيين، وعند انشغالهم بالغنائم، يقوم بلال مع جيشه بالتفاف عليهم محاصرتهم من الشمال، وبذلك يكون قد فصل الحملة الفرنسية عن الجيش الرئيسي في توبا، وفي تلك الأثناء يقوم سارينكي بالتوجه إلى ساحة القتال، ومحاصرة الفرنسيين من الجنوب، وبالتالي يتم وضع الفرنسيين بين طرفي كماشة، مما يسهل على الماندنغو الإطباق عليهم.

ولدى وصول الفرنسيين إلى دينيفيسو في ٩ أيلول، جرت الأحداث كما خطط لها ساموري، فلدى رؤية الأرائك المقيمين في دينيفيسو لقوات الجيش الفرنسي، سرعان ما لاذوا بالفرار، فظن الفرنسيون أن المنطقة أصبحت تحت سيطرتهم، وأخذوا يدمرون مخيم الماندنغو، وهم في غمرة تلك الأحداث، فوجئوا بالماندنغو وقد أحاطوا بهم من الشمال والجنوب.

وجد وولفيل نفسه في ورطة كبيرة لم يكن يحسب لها حساب، إلا أنه كان محتفظاً برباطة جأشه،

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 90, 91.

(2)- Bonnefon: OP, cit, P 132.

(3)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 91.

وبحركة سريعة قام بتقسيم جيشه إلى ثلاثة فرق، فريق يحارب جيش بلال، فريق يقاتل جيش سارينكي، على أن يبقى القسم الاحتياطي في الوسط[١].

وسرعان ما اشتبك الطرفان في معركة عنيفة، وبينما نجح الفيلق الفرنسي المكلف بقتال جيش بلال بدفعه إلى النهر، حيث غرق عدد كبير من الأرائك، نجح الفيلق الآخر من اختراق جيش سارينكي[٢]، عندها قام الكثيرون من الماندنغو بإلقاء السلاح، وقد بلغ عددهم نحو ألفي مقاتل، بينما فر الباقون[٣]، وهكذا انتهى القتال بانتصار الفرنسيين، أما فلول جيش الماندنغو فقد استقرت في جورو حيث انضمت إلى قائدها الأعلى ساموري.

لم يستطع وولفيل مطاردة الماندنغو، بسبب نقص الذخيرة، كما أن المواد الغذائية قد أوشكت على النضوب، لذلك قرر متابعة الطريق إلى نزو للتزود بالوقود[٤]، ولكن قبل رحيله قام جيشه بحملة اعتقالات، لسكان الماندنغو المدنيين في دينيفسو، وقد بلغ عدد الذين ألقي القبض عليهم ٢٥ألف، اقتيدوا إلى نزو[٥].

بعد معركة دينيفسو وخسارة الماندنغو، ازداد خطر الفرنسيين، وأصبحت ضرورة الإسراع إلى توما أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى ، فكان على ساموري ترك جورو، والابتعاد عن المنطقة قدر الإمكان، رغم صعوبة الحركة خلال هطول الأمطار، اتخذ ساموري قراره بالتحرك نحو الغرب، فقد كانت المصلحة تقتضي أن يقترب قدر الإمكان من الحدود مع ليبيريا[٦].

في الوقت الذي كان فيه ساموري يضع الخطط من أجل الوصول إلى توما، كان لارتيج يضع الخطط النهائية للقبض عليه، لذلك أرسل لارتيج إلى أوديو يطلب منه إرسال تعزيزات جديدة، كما أصدر أوامره لوولفيل بالبقاء في نزو، على أن يجتمع به هناك بعد وصول الامدادات إلى توبا، ومن هناك يتم التعبئة العامة ضد الماندنغو، حيث ستكون نزو قاعدة العمليات الحربية الأخيرة، التي لن تنتهي إلا بالقضاء على إمبراطورية الماندنغو[٧].

وبينما كان ساموري يلملم حطام جيشه، متخذاً طريقه غرباً، وفي تلك الأثناء وصلت التعزيزات الفرنسية المؤلفة من ١٠٠ مقاتل بقيادة غورو(Gourou) قادمة من النيجر إلى نزو[٨]،ووصلتها في ١١

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 91, 92.

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Ibid , P 92.

(3)- Gouraud: OP, cit, P 191.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit , P 93.

(5)- Gouraud: OP, cit, P 191.

(6)- Moussy : OP, cit, P 68.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit, P 91.

(8)- Moussy : OP, cit, P 68.

أيلول حيث انضم غورو إلى وولفيل، وفي ٢٠أيلول انضم لارتيج إليهم [١].

وفي نزو بدأ لارتيج يعد العدة للمعركة الأخيرة مع الماندنغو، ولما كان يجهل تحركات ساموري بعد معركة دينيفيسو، فلم يكن بمقدوره رسم الخطط لقتاله، فقام بإجراءات وقائية ريثما يستعلم عن وضع جيوش الماندنغو، لذا قام بإعداد حملة استطلاعية بقيادة غورو، على رأس ٢٢٠ جندي، وأرسله إلى دينيفيسو بمهمة جمع المعلومات عن جيش الماندنغو، بينما اتجه لارتيج مع ٢٠٠ من المشاة لسد الطريق الشمالي على ساموري[٢].

غادر غورو نزو في ٢٤ أيلول، وتمكن من عبور دينيفيسو خلال يومين، وهناك عثر على مئات الأرائك الفارين، الهائمين في دينيفيسو، وقد حدثه هؤلاء عن الحالة المأساوية التي يعيشها الماندنغو، وأخبروه أن ساموري قد اتجه غرباً، وأنه نصب معسكره في مكان هناك، وبناءً على ذلك اتجه غورو إلى حيث أشار له الفارون، إلا أنه وجد المعسكر مهجوراً.

كانت الانشقاقات لا تزال مستمرة في جيش الماندنغو، وكان هؤلاء يلجأون إلى الجيش الفرنسي، ففي ٢٨ أيلول استقبل غورو عدداً من الأرائك المنشقين، وقد أخبروه بمكان معسكر ساموري بالتحديد، وكذلك بوضع جيشه بالتفصيل.

كان ساموري مخيماً على بعد ١٥كم إلى الشرق من جويليمو(Guelemou)، وكانت الأرائك غير منظمة، فلم يكن ساموري قد اتخذ أي احتياطات أمنية، باستثناء فرقة صغيرة في الخلف تقوم بمهام الحراسة، تحت قيادة ماكو عمارة(Mace-Amara)، ابن ساموري، مما شجع غورو على الاسراع إلى معسكر ساموري، ومباغته هناك قبل أن يتمكن من توحيد صفوفه[٣].

وبعدما كتب غورو إلى لارتيج، سار مع فرقته إلى جيليمو، ولم يجد صعوبة في الوصول إليها، فلم يكد يحل الليل حتى كان الفرنسيون بالقرب من معسكر ساموري، وعلى الفور أحاط الجنود الفرنسيون بالمعسكر على شكل دائري، بانتظار الصباح لكي يبدأوا عملية الاقتحام.

وهكذا بدأت عملية اختراق الفرنسيين لمعسكر الماندنغو مع فجر يوم التاسع والعشرين من أيلول، حيث هاجم الفرنسيون الحرس الخلفي، ونجحوا في عزله عن الجيش الرئيسي، وقد استسلم الحرس دون مقاومة، ومن ثم اخترق الفرنسيون معسكر النساء والأطفال، وكان الجنود الفرنسيون يأمرون الجميع بالتزام الصمت، حتى لا يصل خبر مجيئهم إلى ساموري، الذي فوجئ لدى رؤيته جموع الفرنسيين، فأسرع باتجاه الاصطبلات، عله يمتطي حصاناً ويتمكن من الفرار، إلا أن الفرنسيين كانوا أقرب إليه، فسرعان ما قبضوا عليه، بينما قام بقية الأفراد بملاحقة الأرائك الفارين، ولم يكد يحل المساء حتى كان الجميع بقبضة الجيش الفرنسي، بمن فيهم موريفينغ ديان، ومختار وسارينكي، وبعد ذلك قام الفرنسيون بتدمير معسكر الماندنغو، بعدما استولوا على كل ما يمكن الاستيلاء عليه، من نقود ومؤن وأسلحة

---

(1)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit , P 93, 94.

(2)- Legendre, Pierre: OP, cit, P 494.

(3)- Bonnefon: OP, cit, P 133.

وذخيرة[١].

استغرقت عملية تصفية معسكر الماندنغو ثلاثة أيام، لتبدأ بعدها رحلة العودة إلى توبا، ففي الأول من تشرين الأول غادر الفرنسيون جويليمو، في موكب ضخم يتوسطه ساموري وسارينكي ومختار، وفي الخلف المرابطون والنساء والأطفال، حيث تم أسر ٥٠ ألف من الماندنغو، اقتيدوا كعبيد إلى توبا، ومن هناك تم ترحيلهم إلى كايس من أجل محاكمتهم[٢]، حيث وصلوها في ١٣ كانون الأول ١٨٩٨[٣].

وفي كايس أقامت الحكومة الفرنسية محكمة، مثل فيها ساموري مع حاشيته وجنوده وشعبه، حيث تم محاكمة الأسرى جميعاً، وقد صدر بحق ساموري حكم النفي إلى الكونغو*، برفقة ولديه سارينكي ومختار وموريفينغ ديان*، وتم وضع ٢٥٠٠من الأرائك تحت الأشغال الشاقة[٤]، للعمل في إنشاء السكك الحديدية بين كايس والنيجر[٥]، كما ألحق المقاتلون بالجيش الفرنسي في إقليم المغرب العربي[٦] بينما سمح للبقية بالعودة إلى ديارهم[٧].

وهكذا نجحت فرنسا في تصفية إمبراطورية الماندنغو، التي شكلت عائقاً أمام المشاريع الفرنسية التوسعية الوحدوية داخل السودان الغربي، وكانت النتيجة سيطرة فرنسا على كامل ساحل العاج إلى جانب سيطرتها على أعالي النيجر، وتوحيدهما معاً ومع أعالي السنغال في مستعمرة واحدة، تحت مسمى إفريقيا الغربية الفرنسية، عاصمتها سانت لويس[٨].

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا حكمت فرنسا على ساموري بالنفي وليس الإعدام؟ وهو الحكم الطبيعي الذي تصدره أي حكومة في حق كل من يقف في وجه مشاريعها ومخططاتها.

في الواقع اتخذت فرنسا قرار نفي ساموري بسبب الأوضاع المضطربة التي كانت سائدة في مناطق نفوذ سيطرة الفرنسيين في السودان الغربي عموماً، حيث سيكون لحدث إعدام ساموري أن يشعل

---

(1)- Legendre, Pierre: OP, cit, P 494, 495.

(2)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit , P 97.

(3)- Gouraud: OP, cit, P 224.

*- وكانت فرنسا قد احتلت جزءً من الكونغو عام ١٨٨١، والذي أطلق عليه الكونغو الفرنسي. الجمل، إبراهيم، شوقي، عبد الله: المرجع السابق، ص ١٥٣.

*- مما يستجوب التنويه إليه أن هذا القرار عدل في وقت لاحق حيث تم نفي ساموري إلى الغابون، وظل فيها إلى حين وفاته في العام ١٩٠٠. كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٦.

(4)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit , P 97.

(5)- Gouraud: OP, cit, P 224.

(6)- Mademba , A: OP, cit, P 203.

(7)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, OP, cit , P 98.

(٨)- ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٢٠٨.

البلاد بالثورات، وذلك لما كان لساموري من أثر كبير في نفوس السكان [١]، لذا قررت فرنسا نفيه وليس إعدامه.

إلا أن فرنسا لم تعترف بهذه الحقيقة، بل وسعت أيضاً إلى التمويه عن سبب قرارها هذا، بادعائها أن جنودها وعدوا ساموري بالإبقاء على حياته، وإن قرار الحكومة إنما تنفيذاً لوعود جنودها (الأبطال)، لما للإخلاف بالوعد من مساس بالشرف والكرامة، وقد صرح عن ذلك حاكم السودان الفرنسي دي ترينتيان (De Trentinian)ـ الذي خلف أوديو في الحكم في الخامس من كانون الأول ١٨٩٨ ـ في خطابه أثناء محاكمة ساموري في كايس[٢] **" كنت أقسى رجال السودان، لقد سولت لك نفسك ذبح الأفارقة الضعفاء على مدى عشرين عاماً، كنت كالوحش المفترس، تستحق الموت عقاباً على جرائمك تلك، لكن القادة الذين ألقوا القبض عليك، وعدوك بالإبقاء على حياتك، وحكومة فرنسا التزمت بالوعد، حيث قررت نفيك إلى بقعة من بقاع إفريقيا، وسوف يتبعك ابنك سارينكي ومستشارك الرئيسي موريفينغ ديان، أما بالنسبة للآخرين فسيتم إلحاقهم بالجيش الفرنسي في الشمال الإفريقي وساحله، ليكونوا عبرة لجميع من يفكر بالوقوف في وجه فرنسا"**[٣].

في حقيقة الأمر أن قول دي تريتنان قد جافى الحقيقة، فساموري لم يكن يرغب بالحياة، إذ فضل الموت على الأسر، لما تحلى به من عزة نفس وكرامة لم ترض الحكومة الفرنسية الاعتراف بها، إلا أنها لم تستطع تقييد أقلام القادة الذين شاركوا في إلقاء القبض على ساموري، الذين سردوا أسره بالتفصيل، فقد ذكروا أن ساموري طلب من آسريه قتله وإنهاء حياته[٤]، إلا أنهم لم يفعلوا، للأسباب آنفة الذكر.

وهكذا ناقض الجنود ادعاءات ترينتان، الذي تكلم على ألسنتهم بأنهم أعطوا الوعد لساموري بالحياة، وأن فرنسا قد فضلت عليه وكانت كريمة معه عندما قررت نفيه وليس إعدامه، وهذا بدوره يدل على أن ساموري قد اتصف بصفات القادة العظام، الذين يفضلون الحرب على الإستسلام، والموت على حياة الأسر والمذلة.

---

(1)- Bonnefon: OP, cit, P 132.

(2)- Richemond, Stephane: Iconographie de Samory Toure de Guelemou a Kayes (1898), I&M-Buiietin n^{o} 41, P 23

(3)- Mademba , Abd-el-Kader: OP, cit, P 203.

(٤)ـ لمعرفة المزيد ينظر:

Legendre, Pierre: OP, cit, P 495 et Bonnefon: OP, cit, P 134.

الخاتمة:

مما سبق، يستخلص النتائج التالية:

١ـ تعد الأحداث السياسية والعسكرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في السودان الغربي، امتداداً للأحداث في النصف الأول منه، من حيث وجود ممالك محلية عديدة متنافسة فيما بينها، وكذلك التنافس الدولي على المنطقة.

٢ـ لم تكن المشاعر الوطنية والقومية قد ظهرت في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، فقد قامت جميع الحركات السياسية بدافع المجد الشخصي، ومن ذلك تأسيس إمبراطورية الماندنغو، فقد أسسها ساموري توري بدافع المجد الشخصي، وكذلك كل من تعاون معها، إنما من أجل إزاحة الرجال المتنفذين والحلول محلهم تحت غطاء الحكم الجديد، كتعاون الإخوة توري في باماكو مع ساموري من أجل أن ينتزعوا الصدارة من التجار النياري، وكذلك تعاون نجولو تراوير، من أجل الحصول على منصب حاكم بيلدوغو.

٣ـ ساعد على قيام إمبراطورية الماندنغو في منطقة أعالي النيجر عاملين:

أ ـ الحروب المتواصلة التي أدت إلى إضعاف الممالك القائمة في المنطقة، مما أعطى مكان الصدارة على الساحة السياسية لإمبراطورية الماندنغو الناشئة.

ب ـ الجهود الفردية لمؤسسها ساموري توري.

٤ـ كما ساعد على قوتها واستمرارها عدة عوامل:

أ ـ امتلاكها للأسلحة الحديثة مقارنة مع غيرها من الممالك في المنطقة، بفضل علاقات الصداقة التي جمعت بين إمبراطورية الماندنغو ومستعمرة سيراليون الإنكليزية.

ب ـ القوانين الصارمة التي وضعها ساموري في التعامل مع سكان المناطق المفتوحة، فإما العبودية أو الإسلام أو القتل، وكذلك التخلص من وجهاء المدن المعارضين، ممن كانوا موضع تأثير على شعوبهم، فوجودهم سيشكل خطراً على الأمن الداخلي، حتى وإن أعلنوا دخولهم في الطاعة.

ج ـ المبادئ التي غرسها ساموري بين أفراد شعبه، من حيث أنه ظل الله على الأرض، وأباً للشعب، وكذلك ما زرعه في نفوس أفراد جيشه، والولاء المطلق له، بالإضافة إلى حصر اختياره لعناصر حرسه الشخصي من بين الأطفال الوثنيين، الذين تلقوا الدين الإسلامي المقرون بحب الإمام، وبذلك ضمن ساموري انقياد جميع شرائح الشعب له، كما ضمن الأمن لشخصه ولدولته.

د ـ التنظيم الإداري والسياسي، بحصره منصب حاكم الإقليم بالثقاة من أقربائه وأصدقائه، مما يعني أنه أصبح في مأمن من الحركات الانفصالية، وكذلك الإجراءات الإدارية الصارمة التي فرضها في كل ولاية، التي ساعدت الحكام على قمع حركات التمرد، بل وعلى العكس فقد استثمروا المتمردين في تنشيط حركة التجارة، ببيعهم كعبيد مقابل السلاح.

هـ ـ القوانين الصارمة في تجنيد الجيش، فقد ضمن بذلك وجود جيش دائم، وبأعداد هائلة مستعد لخوض أصعب الحروب على مدار السنة.

وـ تنظيم جيوش الأقاليم وحشدها على الحدود، مما ضمن الأمن الدائم من الهجمات الخارجية.

زـ التكتيك العسكري الذي اتبعه ساموري في فتح المناطق الجديدة، من حيث حصار المدينة حتى تحل بها المجاعة، مما أدى إلى ادخار جهود جنوده، مما ساهم في نجاحه في مد رقعة دولته على مساحات كبيرة، وبجهود عسكرية قليلة.

ح ـ صلات ساموري مع التجار الذين كانوا يجوبون أصقاع السودان الغربي، والذين من الممكن أن يكونوا قد أدوا أدواراً تجسسية، من شأنها مساعدة ساموري في توسعاته.

ط ـ تقريبه لرجال الدين، وتشجيعه الطريقة القادرية رغم عدم اعتناقه لها، فظهر بمظهر الراعي للدين الإسلامي الذي حرص على تصحيح مفاهيمه، وتعميقها في نفوس شعبه، كل ذلك من أجل ضمان انقياد شعبه وخضوعه له.

٥ـ لم تكن الإمبراطورية ذات طابع حضاري، وإنما ذات طابع عسكري بحت، وليس أدل على ذلك، من قيام ساموري بتطوير الجهازين العسكري والإداري، وإهماله بقية الجوانب، أما عن سبب تطويره لهذين الجهازين، نظراً للتكامل بينهما، فالجهاز الإداري ضمن له حفظ الأمن الداخلي، الذي أتاح له أن يستمر بتوسعاته العسكرية، دون أن حاجة الدولة لبقاء الحاكم فيها.

٦ـ لم يكن تأخير فرنسا لغزو السودان الغربي بسبب اهمالها واستخفافها بهذه المنطقة، وإنما لأن التنافس الدولي كان قائماً داخل أوروبا وفي المستعمرات الأمريكية، فلما خسرت فرنسا في تلك القارات، رأت أن المجال في إفريقيا واسع جداً من أجل تكوين إمبراطورية كبيرة، ومن ثم كان توسعها في الجزء الغربي منه، لما وجدت فيه من تسهيلات ساعدتها في عملية التوسع.

٧ـ كان مركز العمليات العسكرية في السودان الغربي، مدينة كايس الواقعة حالياً في دولة مالي.

٨ـ بدأت فرنسا حملاتها في السودان الغربي منذ العام ١٨٧٩م، وكان صدامها **"العسكري"** مع إمبراطورية الماندنغو بدءً من العام ١٨٨٢م، وانتهت المعارك بين الطرفين في العام ١٨٩٨م، أي أن الحرب استمرت ستة عشر عاماً، وهي فترة طويلة جداً بالنسبة لحرب قائمة بين دولة عظمى مثل فرنسا، ومملكة أفريقية لم تكن قد أبصرت التطور العسكري بعد، ويمكن إجمال سبب استمرار أجل الحرب لفترة طويلة في سببين رئيسيين هما:

أ ـ التكافئ بين الطرفين في المقدرات الحربية، مع اختلاف نقاط القوة بينهما، فقد كانت نقطة تفوق فرنسا هي امتلاكها لسلاح المدفعية الثقيل وهو ما تفتقر إليه إمبراطورية الماندنغو، بينما كانت نقطة تفوق إمبراطورية الماندنغو هي كثرة أعداد المقاتلين، الذي وصل في بعض الأحيان إلى ٤٠ ألف مقاتل، بينما لم تتعد أعداد الجيش الفرنسي بضع مئات.

ب ـ الصعوبات الداخلية والخارجية التي كانت تواجه الطرفين، حيث كانت الثورات الداخلية في إمبراطورية الماندنغو مشتعلة دوماً، كما كان عليها أن تقاتل على أكثر من جبهة، سواءً في أعالي النيجر حيث قاتلت الفرنسيين ومملكة كيندوجو، أو في ساحل العاج حيث حشد الماندنغو جيوشهم على الجبهة مع الإنكليز في ساحل الذهب، إلى جانب قتالهم الفرنسيين، أعداؤهم التقليديون.

أما الصعوبات الداخلية في فرنسا، فقد تمثلت في التخبطات السياسية التي وقع فيها أصحاب القرار، فكثيراً ما كان الساسة الفرنسيون يرغبون في إنهاء الصراع والانسحاب من السودان الغربي، لولا وجود بعض الشخصيات السياسية والعسكرية المتعطشة للنصر، أمثال جوزيف غاليني، وأرشينارد.

كما اضطرت فرنسا أثناء قتالها إمبراطورية الماندنغو إلى القتال على أكثر من جبهة، ففي أعالي النيجر اضطرت فرنسا لقتال أطراف عديدة أبرزها كان إمبراطورية التكرور في أعالي السنغال، وثورة الساراكولي في سنغامبيا، أما في ساحل العاج فقد اضطرت إلى قتال مملكة كيندجو التي كانت حليفة لها في أعالي النيجر ضد الماندنغو، والتي تحولت إلى حليفة للماندنغو ضد فرنسا في ساحل العاج.

٩ـ انتهت مقاومة إمبراطورية الماندنغو للاستعمار الفرنسي، بسقوط إمبراطورية الماندنغو عام ١٨٩٨، وكان سقوطها نتيجة عدة أسباب، وهذه الأسباب لم تكن ناجمة عن ضعف الإمبراطورية في

نهاية عمرها فحسب، بل إن بعضها كان ينخر في جسدها منذ زمن، وقد تجلت تأثيراتها بشكل واضح عند سقوط الإمبراطورية، وهذه الأسباب هي:

أ- الثورات الداخلية، التي قامت بفعل العوامل التالية:

*- إكراه الوثنيين على الدخول في الإسلام، حيث دخله الكثيرون هرباً من العبودية دون أن يقتنعوا به، فكان هؤلاء يتحينون الفرص المناسبة لحمل السلاح ضد سيادة الإمبراطورية.

*- حالة الحرب المستمرة، التي أرهقت السكان، فقد وقع عليهم عبء تموين الجيش، بالإضافة إلى المصادرات التي قام بها ساموري، من أجل الحصول على حاجة جيشه من المواد الغذائية، بالإضافة إلى الخيول.

*- تحريض الفرنسيين للسكان على الثورة وتقديم الدعم لهم.

الجدير بالذكر أن هذه الثورات لم تكن تشكل خطراً على سيادة إمبراطورية الماندنغو قبل حربها مع الفرنسيين، إلا أنها أصبحت تمثل تهديداً حقيقياً بعد مجاورة الفرنسيين للإمبراطورية، بسبب دعم الفرنسيين لها.

ب - قتال الماندنغو على أكثر من جبهة، فعلى الرغم من حالة الحرب مع الفرنسيين ومع المتمردين في الداخل، تابعت الإمبراطورية توسعاتها على حساب جيرانها، وماترتب على ذلك من حروب مع سكان تلك المناطق، كما جرت عليها عداوات الممالك المحيطة بها، مثل إمبراطورية التكرور، ومملكة كيندوجو، ومن ثم الإنكليز.

ج - عدم توحيد جهود إمبراطورية الماندنغو مع حكام المناطق المجاورة، الذين كانوا في حالة حرب مع فرنسا، وهو ما أدركه ساموري متأخراً.

د - ضعف العتاد الحربي لإمبراطورية الماندنغو، مقارنة مع العتاد الفرنسي.

هـ - تغير موقف الإنكليز من الماندنغو، فقد كانت صلاتهم بالإمبراطورية جيدة أثناء تواجدها في أعالي النيجر، إذ لم تكن هذه المنطقة واقعة ضمن دائرة المشاريع الإنكليزية، فلم تمانع إنكلترا من تزويد الماندنغو بالبنادق الحديثة ، حيث كانت مستعمرة سيراليون الإنكليزية المورد الرئيسي للسلاح في الإمبراطورية.

إلا أن الحال تغير بانتقال الماندنغو إلى ساحل العاج، حيث كانت بعض المناطق التي سيطر عليها الماندنغو، تثير أطماع الإنكليز، فما لبثت الصداقة أن تحولت إلى عداء، ولم تكتفي إنكلترا برفض التعاون مع الماندنغو والامتناع عن تصدير السلاح لهم، وإنما قامت بحشد جيوشها ضد الإمبراطورية.

و- تواطئ سكان المناطق الاستراتيجية مع الفرنسيين، مما حرم ساموري من عبور بعض المسالك والدروب، والتي كان من شأنها أن تغير مجرى الأحداث لو تم له عبورها، مثل المناطق التي كانت تفصله عن قائده بلال عندما حاول الاتحاد مع أثناء الحملة الثانية للعقيد كومبس، وكذلك تواطئ سكان دوي ومانون في ساحل العاج، مما دفعه إلى الانحراف بعيداً عن توما.

ز- الانشقاقات التي حصلت في جيش الماندنغو في نهاية عمر الإمبراطورية، بسبب الإرهاق الذي حل بالجنود نتيجة الحروب المتواصلة، وقد قام الجنود المنشقين بتقديم معلومات استخباراتية عن جيش الماندنغو، ونقاط ضعفه، وكان لذلك الدور الأكبر في تسريع نهاية الإمبراطورية، وهو ما يمكن تسميته بالخيانة.

وفي ختام الحديث عن دور إمبراطورية الماندنغو في مقاومة الاستعمار الفرنسي في السودان الغربي(١٨٧٤- ١٨٩٨)، يمكن إيعاز سبب طول المقاومة إلى استماتة قائدها ساموري توري في الدفاع عن مملكة صنعها بنفسه، فقد كان دفاعه عنها من باب عدم تفريطه بما أنجزه، إذ أن ساموري قد بنى دولته بدافع المجد الشخصي، إلا أنه أراد من أفراد شعبه وجيشه أن يكونوا وطنيين، تلك الوطنية التي لخصها في الخضوع لشخصه، دون أن يقدم مبادئ حقيقية لمفهوم الوطنية.

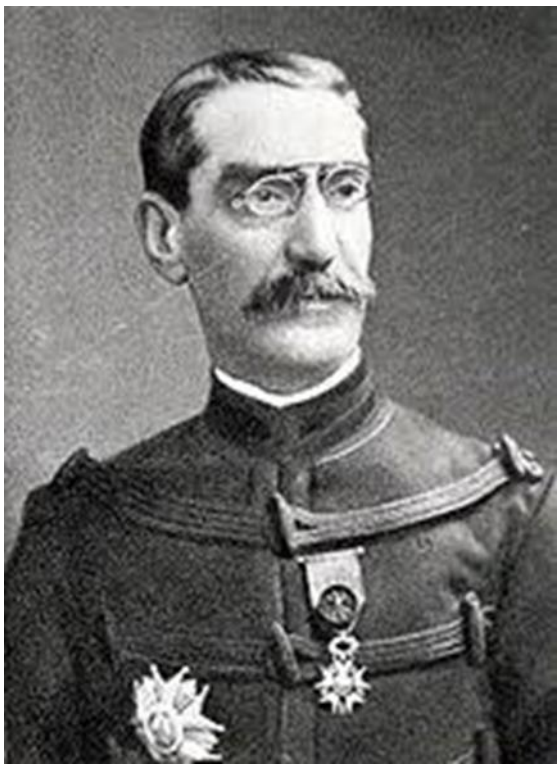


ساموري توري

https:// commons.m.wikimedia.org.



بورغنيس ديسبورد



جوزيف غاليني



هنري فري



لويس أرشينارد

https:// commons.m.wikimedia.org.



أنطوان كومبس



غيتان بونييه



جورج همبرت

https:// commons.m.wikimedia.org.



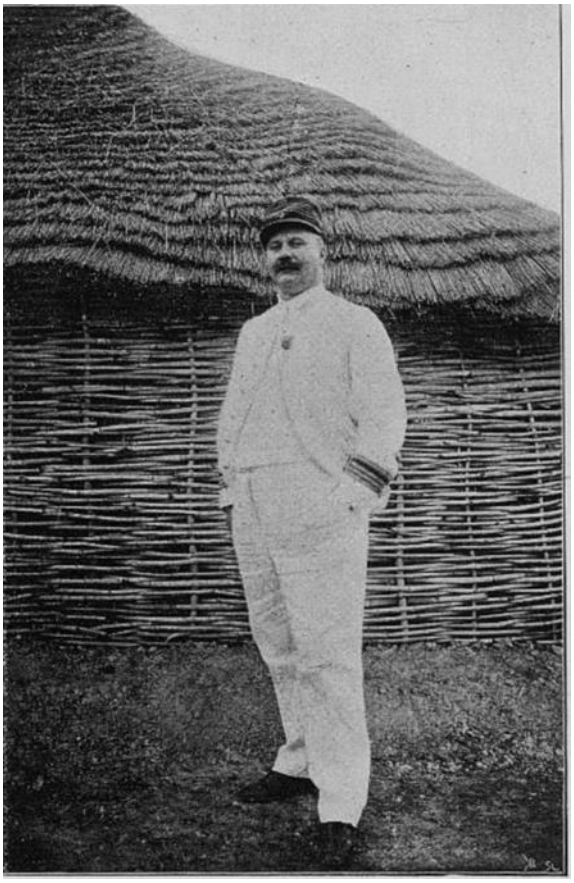
غوستاف بنجر



لويس مونتيل

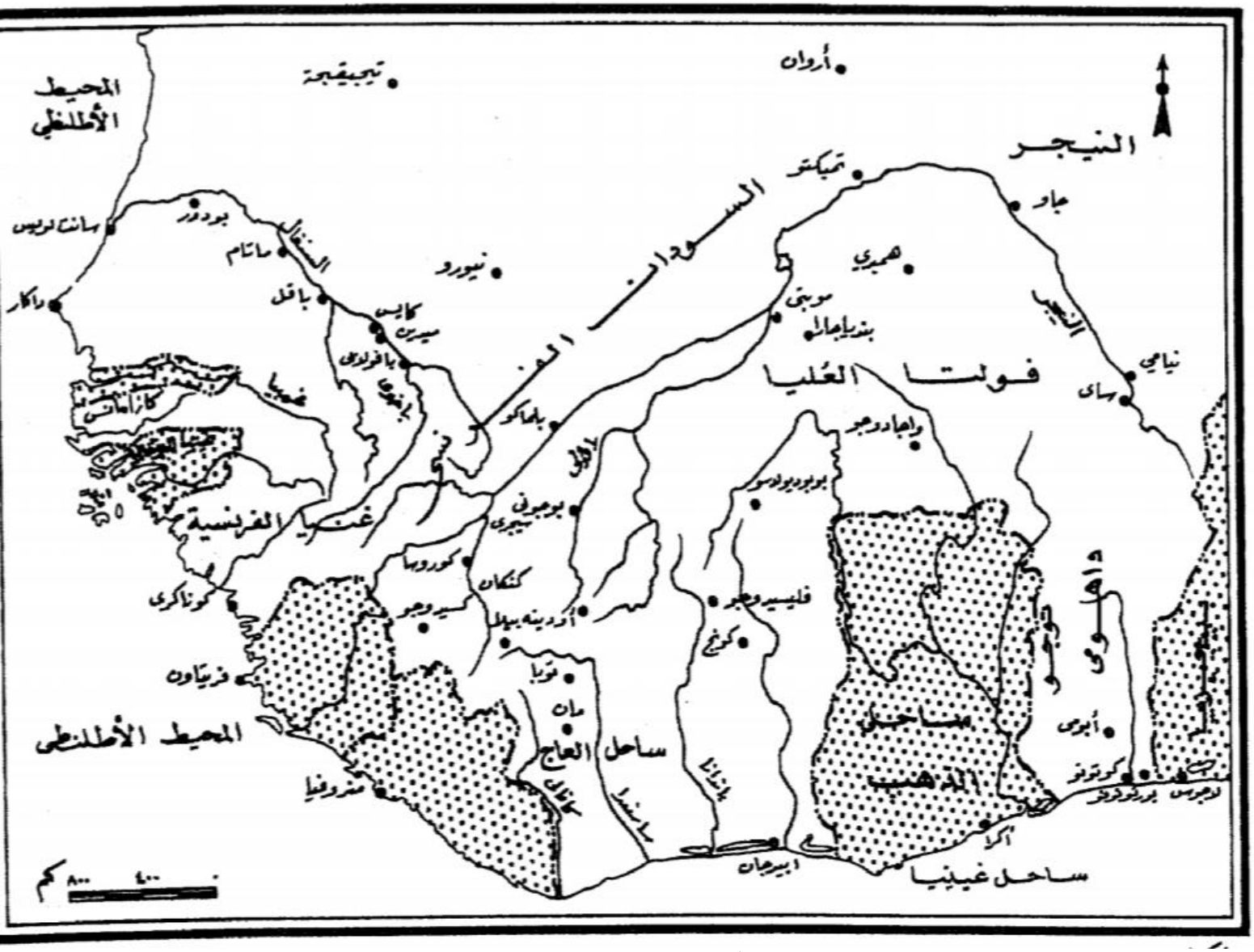


رينيه أوديو



راؤول دي لارتيج

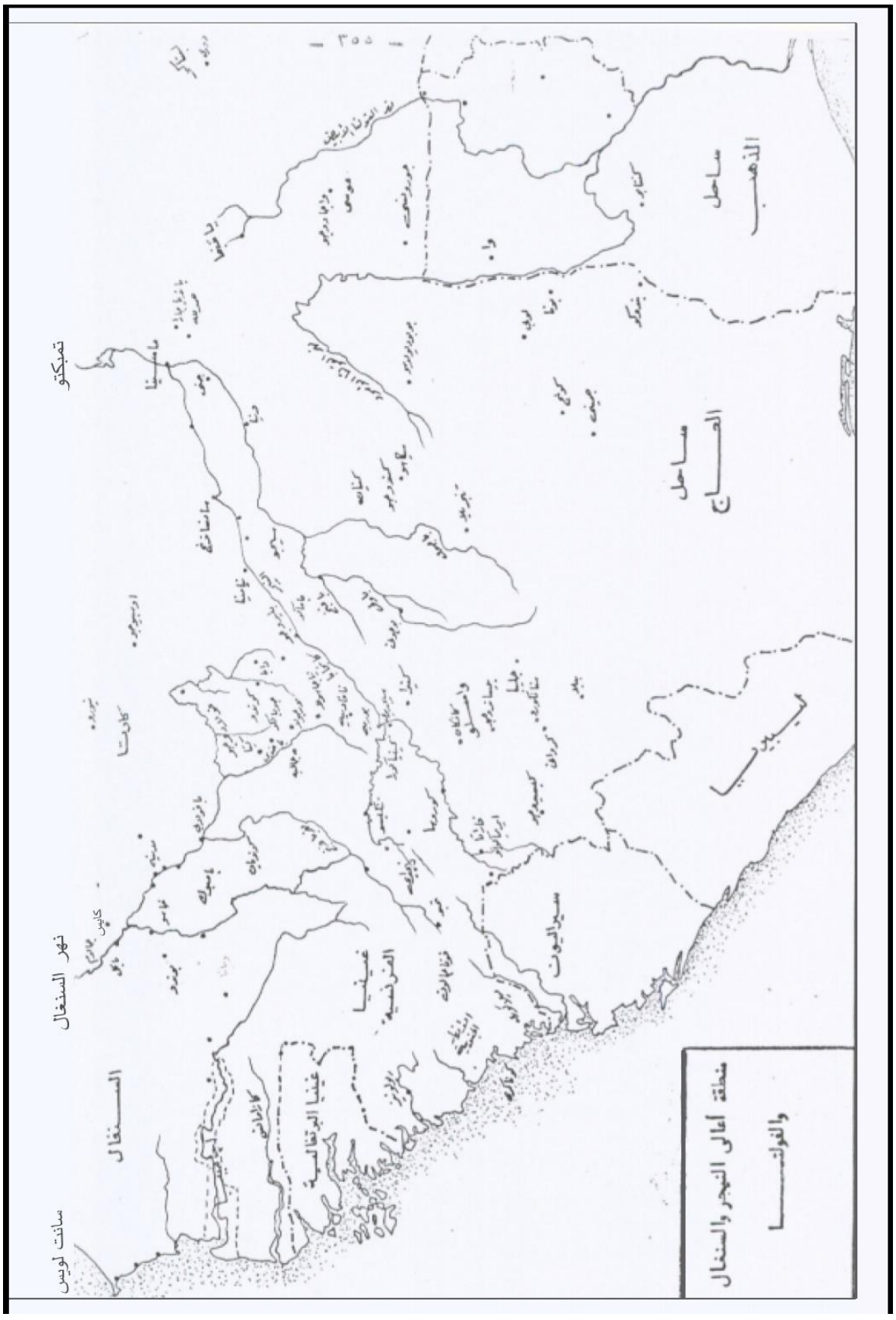
https:// commons.m.wikimedia.org.



المصور رقم (١)

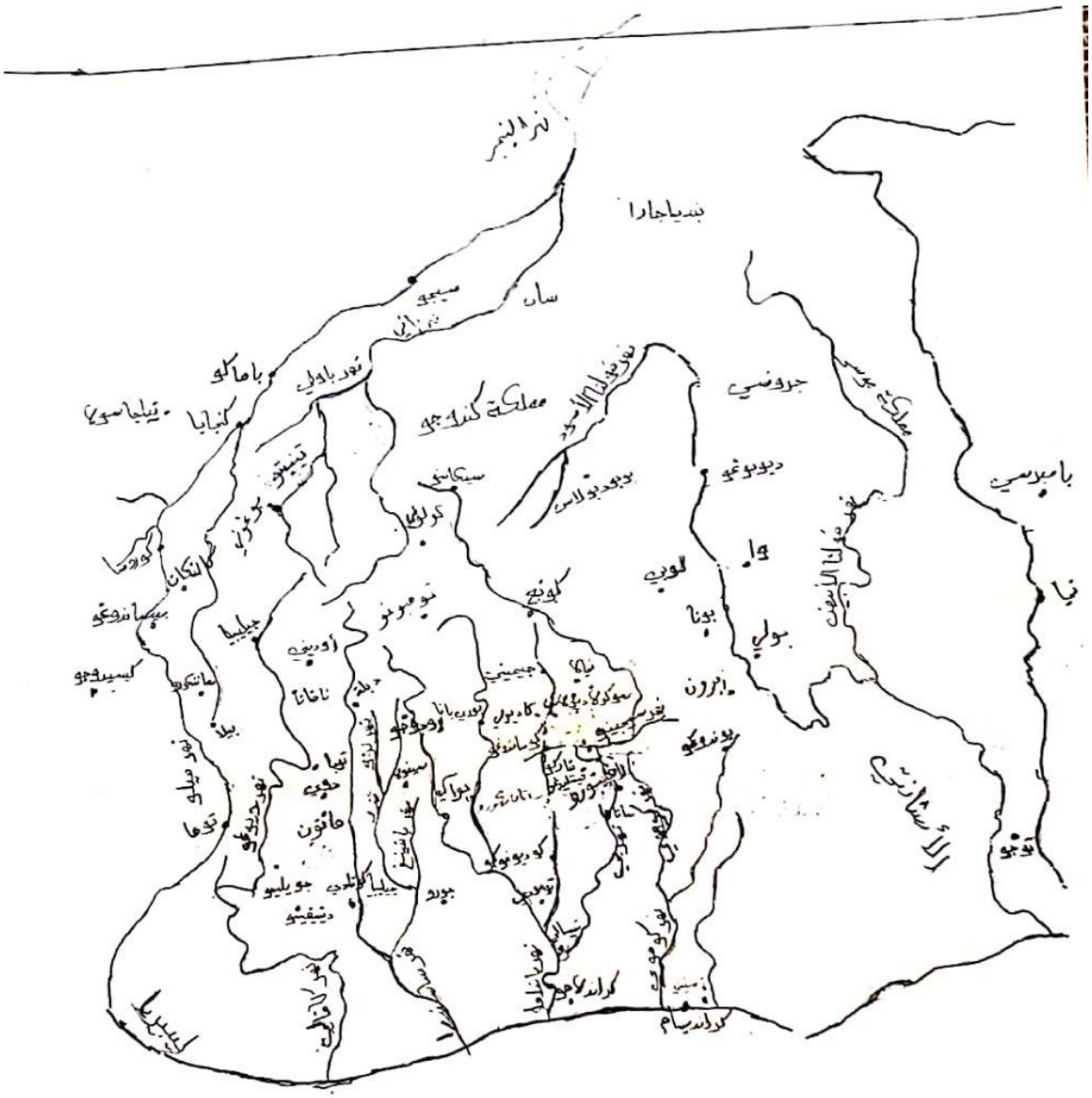
السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر

ذهني، إلهام: المرجع السابق، ص ٢٣١.



المصور رقم (٢)

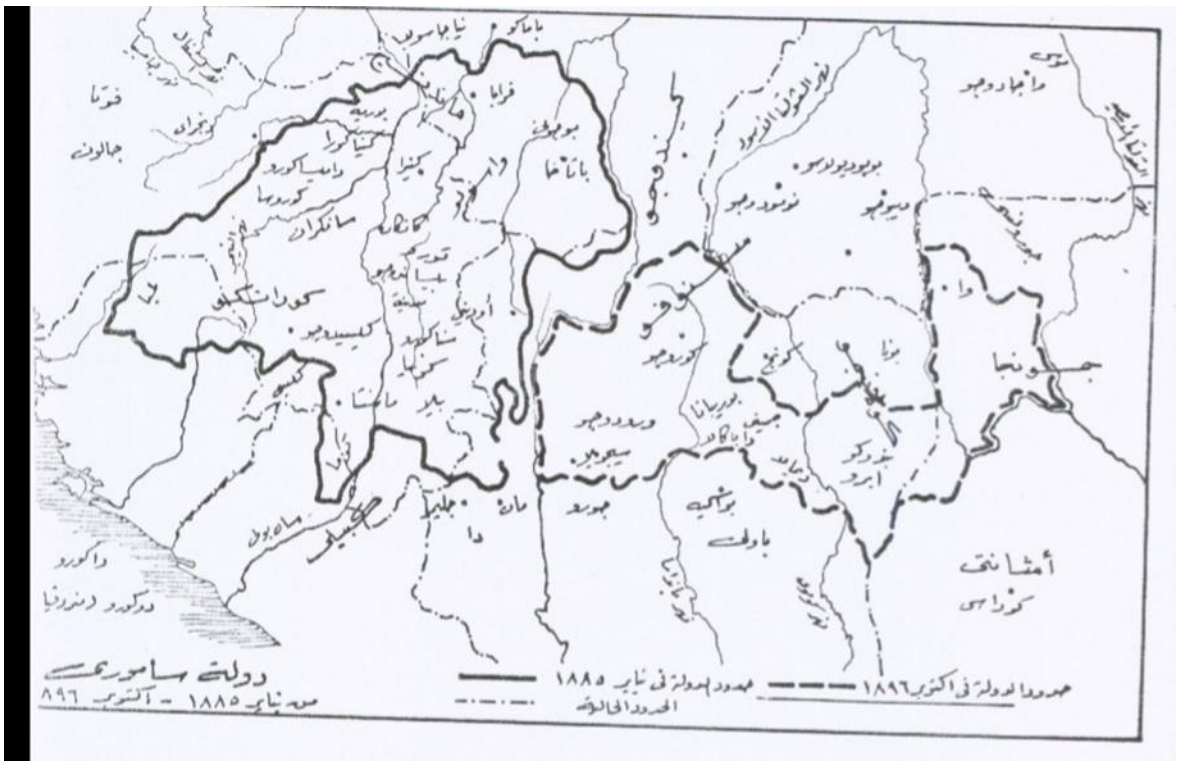
Supplement au Journal le Temps , Bureaux: 5, boulevard des Italiens, Paris, 28 Septembre 1893, P 1.



المصور رقم (٣)

فولتا العليا وساحل العاج وساحل الذهب في القرن التاسع عشر

Les Annales Coloniales: revue mensuelle illustree, Source gallica. Bnf. Fr.

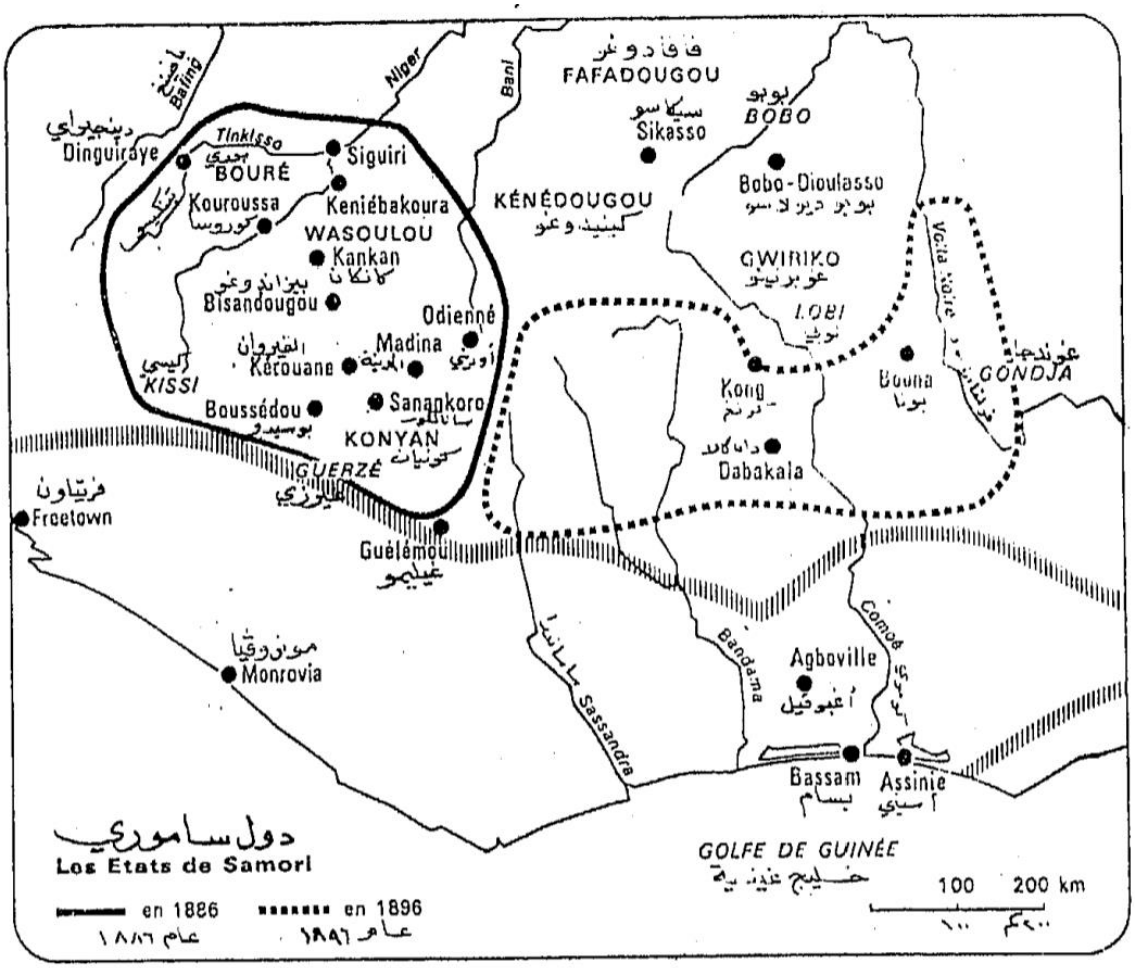


المصور رقم (٤)

إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي...، ص١٢٣.

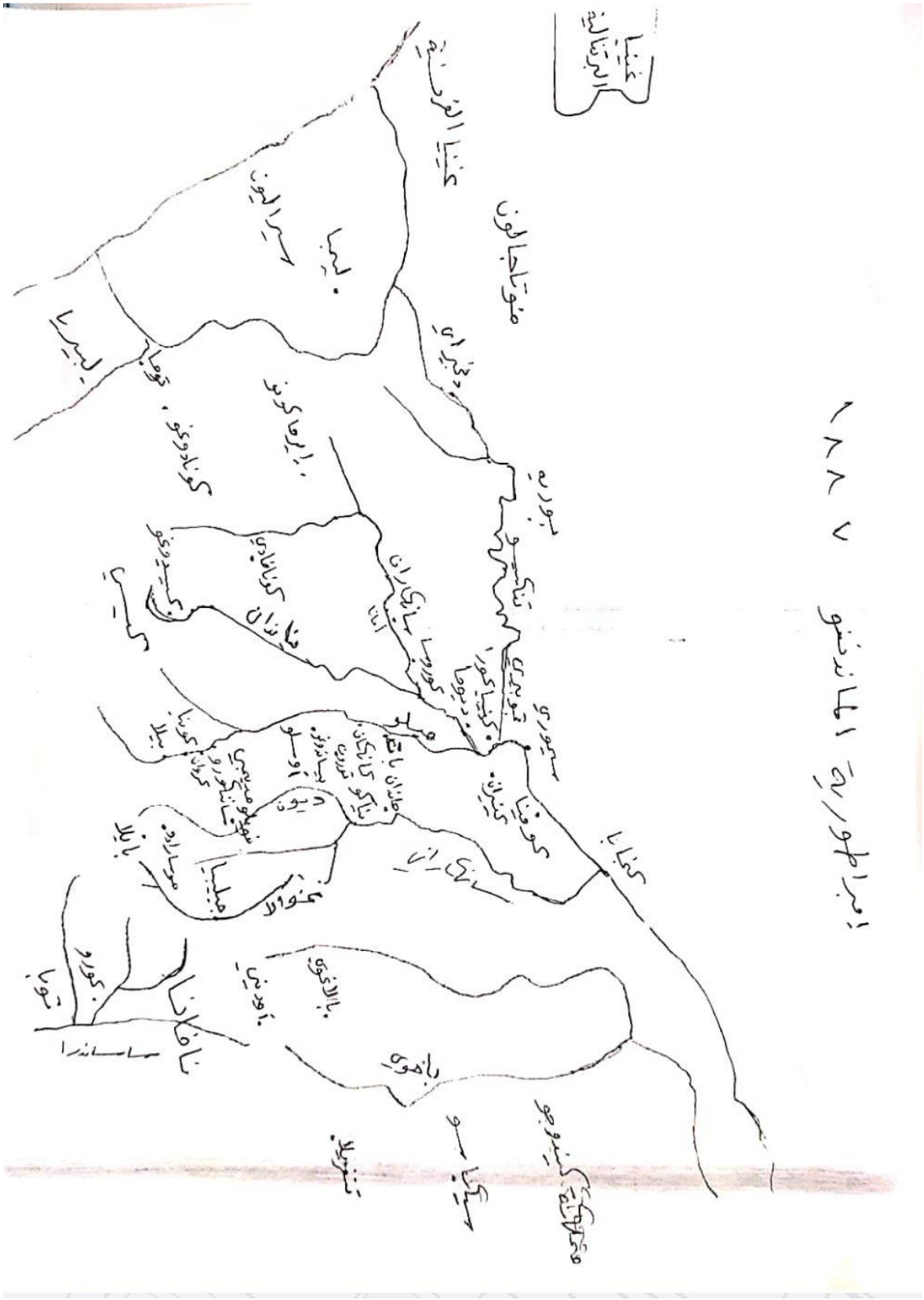
المصور رقم (٥)

كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٦١.



المصور رقم (٦)

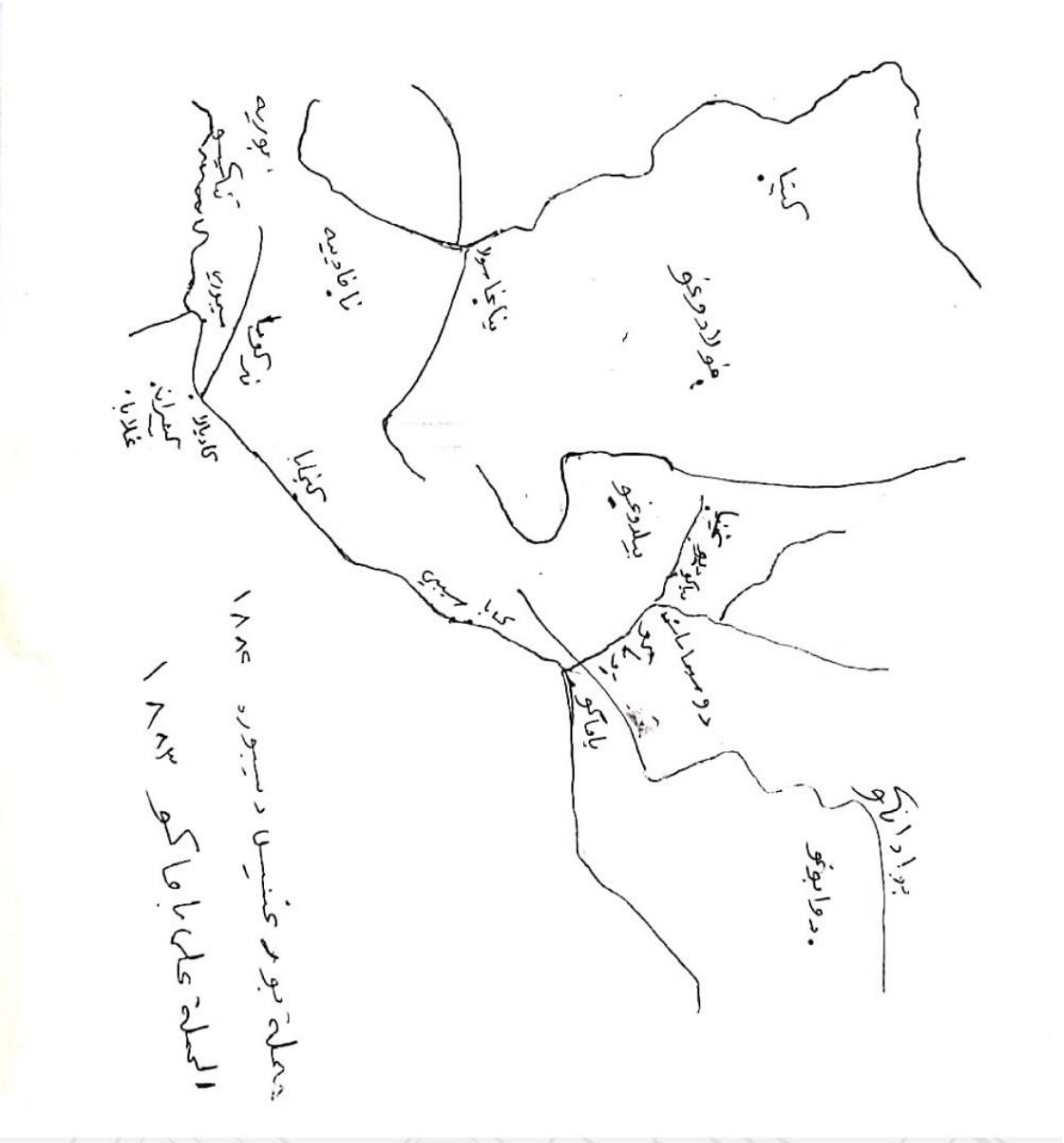
كيزيربو، جوزيف: المرجع السابق، ص ٦٨٣.



المصور رقم (٧)

إمبراطورية الماندنغو عام ١٨٨٧

تم ريم الخريطة من قبل الباحث استناداً إلى المعلومات الواردة في المتن



المصور رقم (٨)

حملة بورغنيس ديسبورد ١٨٨٢

الحملة على باماكو ١٨٨٣

تم رسم المصور من قبل الباحث استناداً على المعلومات الواردة في المتن

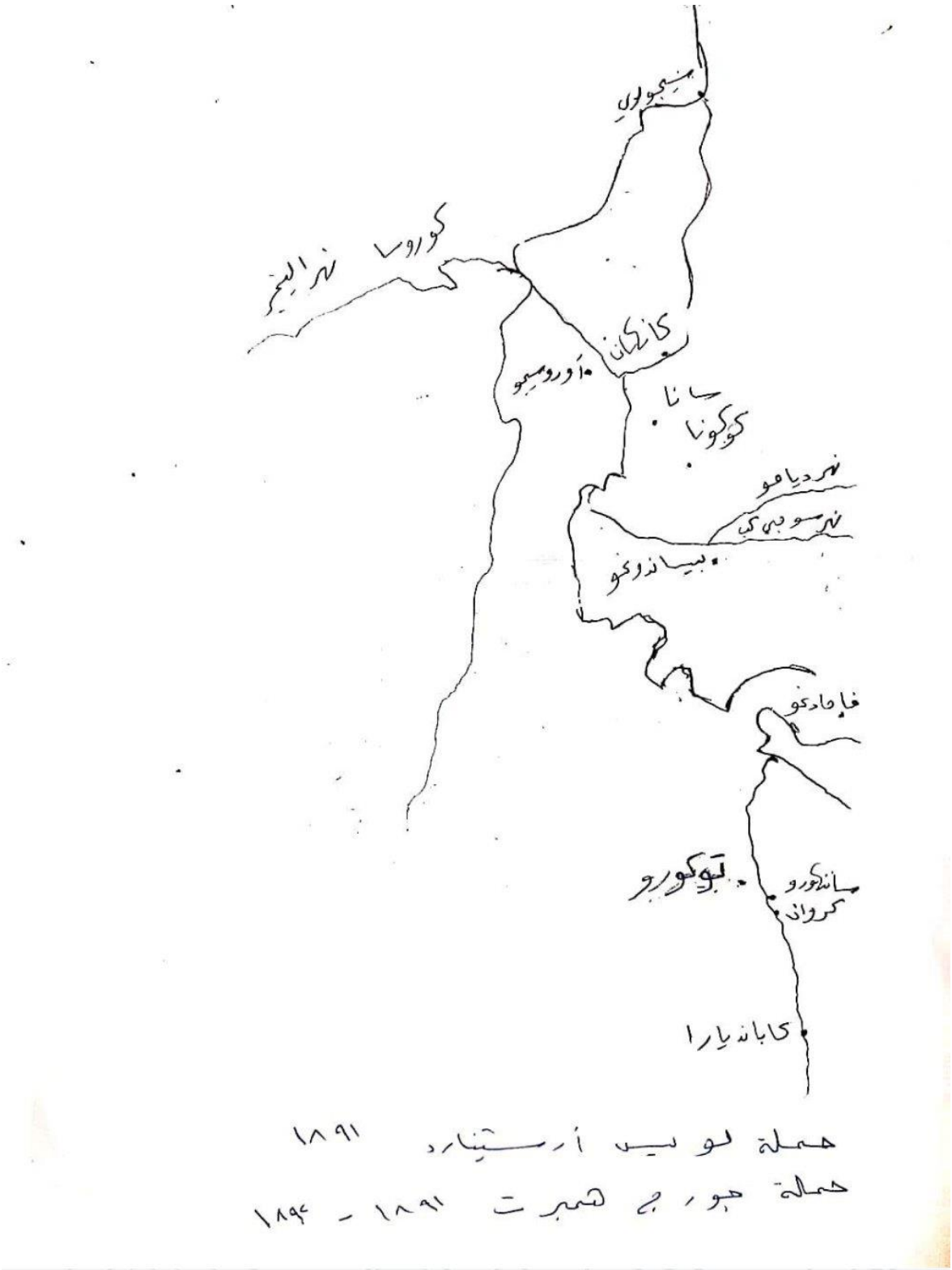


المصور رقم (٩)

حملة أنطوان كومبس ١٨٨٥

وحملة هنري فري ١٨٨٥ـ ١٨٨٦

Meniaud, J: OP, cit, Tome I, P 234.

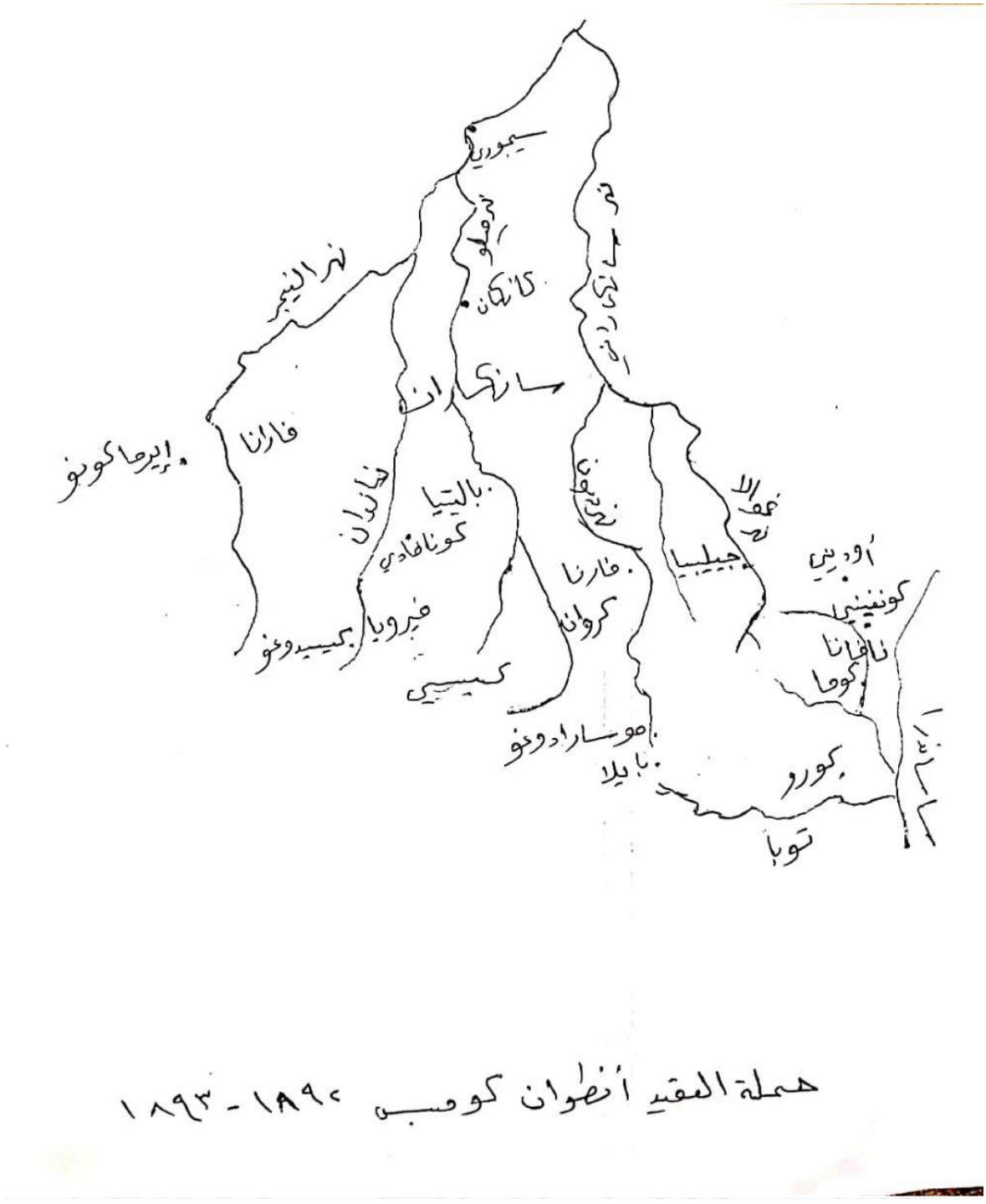


المصور رقم (١٠)

حملة لويس أرشينارد ١٨٩١

حملة جورج همبرت ١٨٩١ـ ١٨٩٢

Meniaud, J: OP, cit, Tome II, P 276.



المصور رقم(١١)

حملة أنطوان كومبس ١٨٩٢ـ ١٨٩٣

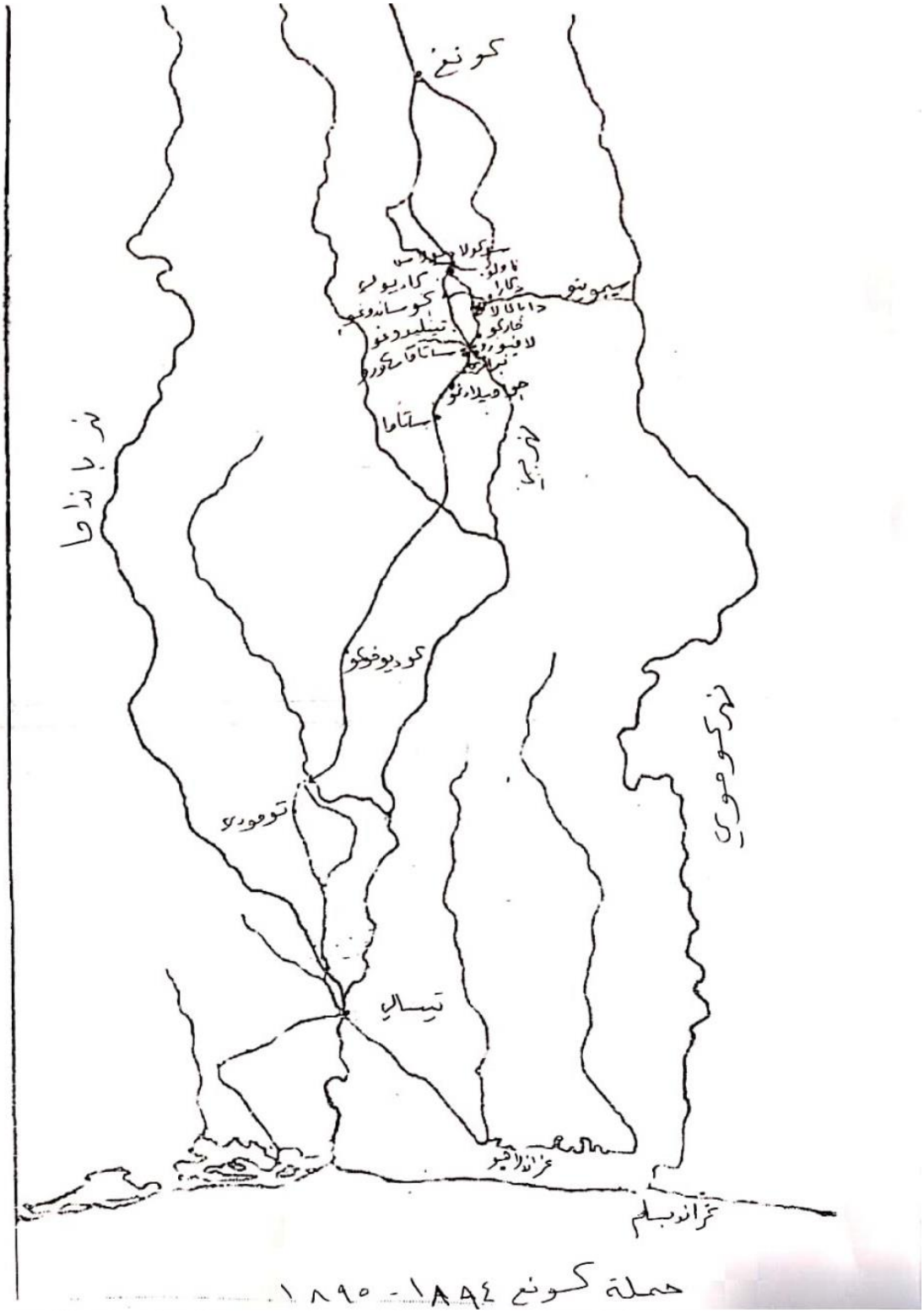
Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, P 13.



المصور رقم (١٢)

حملة غيتان بونييه ١٨٩٣

Les Annales Coloniales: revue mensuelle illustree, Source gallica. Bnf. Fr.



المصور رقم (١٣)

حملة كونغ ١٨٩٤ـ ١٨٩٥

Baratier : Epopées Africaines, P 90.



المصور رقم (١٤)

حملة راؤول دي لارتيج ١٨٩٨

Les Annales Coloniales: revue mensuelle illustree, Source gallica. Bnf. Fr.

قائمة المصادر والمراجع:

الوثائق المنشورة:

(1)- Archives nationales : site de Paris.

(2)- Annales Sénégalaises De 1854 – 1885, suivies des traites passes avec les indigènes, Maisonneuve Frères Et CH Leclerc, 25, Quai Voltaire, 25, Paris, 1885.

(3)- Lettres du Soudan de Paul Edmond Lecerf, Arthur Rousseau Editeur 14, Rue Soufflot et Rue Toullier, 13, Paris, 1895.

(4)- Questions Coloniales. Cote d'ivoire. La veritea propos de l'expédition Monteil, En Vente Chez S.Mercadier, Imprimeur-Editeur 17. Rue Grange-Batelière. 17, 1895.

(5)- Das Staatsarchiv Sammlung der officiellen Actenstiicke zur Geschichte der Gegenwart, Begrundet Aegidi und Klauhold, Verlag von Duncker & Humblot, Liipzig, 1896.

(6)- Historique du 2e Regiment de Tirailleurs Senegalais 1892- 1933, Inprimerie-Librairie Militaire Universelle L.Fournier 264 Boulevard Saint-Germain 264, Paris, 1934.

(7)- Fêtes du Cinquantenaire du Soudan Français 1883- 1933 Discours et allocutions prononcés a Dakar Bamako Ségou, Gouvernement général de L'Afrique occidentale Française, Gorée, 1934.

(8)- Manuel à L'usage Des Troupes Employées Outre-Mer, Deuxième Partie, Fascicule II, Imprimerie Nationale, Paris, 1940.

المصادر الفرنسية:

(1)- Archinard: Le Senegal Et Le Soudan Français, La France Coloniale, Armand Colin, Paris, 1893.

(2)- Baratier: A travers l'Afrique, Modern_ Biblisoiheque, Paris, 1912.

(3)- Baratier: Epopées Africaines, Librairie Académique Perrin et Cie, Librairies-Editeurs 35, Quai Des Grands- Augustins, 35, Paris, 1918.

(4)- Barot, Mderin: Guide pratique de l'Européen dans l'Afrique occidentale, Ernest Flammarion Editeur, Paris.

(5)- Bechet, Eugene: Cinq ans de séjour au Soudan Français, Librairie Plon Eplon nourrit et cit Imprimeurs Editeurs rue Garanciere 10, Paris, 1889.

(6)- Bingar: Esclavage islamisme et christianisme, Société d'Etudes Scientifiques, Paris, 1891.

(7)- Bingar: Du Niger au Golfe de Guinée par le pays de Kong et le Mossi, Paris, 1892.

(8)- Bouteiller, J: De Saint-Louis a Sierra-Leone Huit ans de navigation dans les rivières du sud, Augustin Challamel Editeur Librairie Coloniale 5, rue Jacob et rue Fürstenberg, 2 Paris, 1891.

(9)- Bonnefon : l'Afrique Politique en 1900, Henri Charles-Lavauzelle Editeur militaire 10, Rue Danton, Boulevard Saint-Germain, Paris.

(10)- Brun, Malte: La France illustrée géographie histoire administration statistique, Jules Rouf et Cie Editeurs 14, Cloitre Saint Honore 14, Paris.

(11)- Chailley, Marcel: Histoire de l'Afrique Occidentale Française, Berger Levraut, Paris, 1968.

(12)- Charton, Edouard: Travers Le Monde, Librairie Hachette & Cie 79 Boulevard Saint-Germain 79, Paris, 1899.

(13)- La Chatelier ,A : L'islam Dans L'Afrique Occidentale, G. Steinheil Editeur 2 Rue Casimir Delavigne 2, Paris, 1899.

(14)- Clozel: Dix ans à la Côté d'Ivoire, Augustin Challamel Editeur 17, Rue Jacob Librairie Maritime et Coloniale, Paris, 1906.

(15)- Colomb : Les populations du haut Niger. Imprimerie Pirata ainé Lyon,1885.

(16)- Daniel, André : l'année Politique 1895, Bibliothèque-Charpentier G.Charpentier et E.Fasquelle, Editeurs 11, Rue de Grenelle, 11, Paris, 1896.

(17)- Darcy, Jean : France et Angleterre Cent Années de Rivalité Coloniale, Librairie Académique Didier Perrin et Cie, Libraires-Editeurs 35, Quai des Grands-Augustins 30, Paris, 1904.

(18)- Delafosse, Maurice: Haut Sénégal Niger Soudan Français séries publiées sous la direction de M. le Gouverneur Clozel, Emile Larosse Libraire Editeur 11 Rue Victor Cousin 11, Paris, 1912.

(19)- Delmont, Theodore: La France Noire Et Tombuctou, Imprimerie H. Gentet 6. Rue Marchande, 6, Aurillac, 1894.

(20)- Ernest, Alfred, Lavisse, Rambaud: Histoire générale depuis siècle à nos jours, Librairie Armand Colin 5, Rue de Mezieres, Paris, 1902.

(21)- D, Estampes, Louis: La France Au Pays Noir, Bloud & Barral Editeurs 4, Rue Madame Et Rue De Rennes, 59, Paris.

(22)- Faidherbe, Loues: Le Sénégal La France dans L'Afrique occidentale, Librairie Hachette et Cie 79 Boulevard Saint Germain 79, Paris, 1889.

(23)- Frey, H: Campagne dans le Sénégal et dans le Haut Niger 1885- 1886, Librairie Plon E. Plon Nourrie et Cie imprimeurs éditeurs Rue Garancière 10, Paris, 1888.

(24)- Gallieni: Deux campagnes au Soudan Français, Hachette, Paris, 1891.

(25)- Gouraud: Au Soudan, Editions Pierre Tisne, Paris, 1939.

(26)- Legendre, Pierre: Notre épopée coloniale Librairie Charles Tallandier 4, Rue Cassette, 4, Paris.

(27)- Mangin: Regards la France d'Afrique, Avec quatrecartes, Librairie Plon-Nourrit etCie, Imprimeurs-Editeurs 8 Rue Garancière 6, Paris.

(28)- Marty, Poul: Etudes Sur l'Islam En Coté d'Ivoire, Editions Ernest Laroux, Paris, 1922.

(29)- Meniaud, Jacques: Les pionniers du Soudan avant avec et après Archinard 1879- 1894, Société des Puplications Modernes, Paris, 1931.

(30)- Monnier, M: France Noire, Librairie Plon Plon-Nourrit et Cie, Imprimeurs-Editeurs 8, Rue Garancière 6 , Paris, 1894.

(31)- Monteil: Une Page D'Histoire Militaire Coloniale La Colonne De Kong, Henri Charles-La Vauzelle Editeur Militaire 10, Rue Danton, Boulevard Saint-Germain, 118, Paris.

(32)- Moussy : Expansion de la France Vers le Niger le Tchad & le Nil, A. Crepin-Leblond Imprimeur Editeur 21, rue Saint-Dizier, 40m rue Dominicains, Nancy, 1899.

(33)- Nicolas, Victor: Le livre d'or de l'infanterie de la marine, La primeriez et Librairie Militaires 11 Place Saint Andre des Arts, Paris, 1891.

(34)- Pietri: Les Français Au Niger Voyages Et Combats, Librairie Hachette Et Cie 79 Boulevard Saint- Germain 79, Paris, 1885.

(35)- Peroz ,Etienne: Au Soudan français souvenirs de guerre et de mission, Calmann Levy Editeur, Ancienne Maison Michel Levy Frères 3 Rue Acber 3, Paris, 1889.

(36)- Peroz, Etienne: Au Niger Récits De Campagnes 1891- 1892, Calmann Levy Editeur Ancienne Maison Michel Levy Frères 3, Rue Auber,3, Paris, 1894.

(37)- Rollano, G: La France en Afrique et le transsaharien, Augustin Challamel Editeur Librairie Algérienne Et Coloniale 5 rue Jacob 5, Paris, 1890.

(38)- Sarzeau, J: Les Français aux colonies Sénégal et Soudan français Dahomey Madagascar Tunisie, Bloud & Barral Libraires Editeurs 4 rue Madame et rue de Rennes 59, Paris.

(39)- Simond, Charles: Les Français en Afrique aux Ixe siècle, Librairie Déducation de la Jeunesse 7 Rue des Canettes 7, Paris.

(40)- De Solières, Bertout: Les Hauts Faits de l'Arm'e Coloniale, ses héros J.Giriend, Imprimeur-Editeur 58, Rue des Carmes, 58, Rouen, 1912.

(41)- Tellier, G: Autour de Kita étude Soudanaise, Henri Charles- Lava nucelle Editeur militaire 10 Rue Danton, Boulevard Saint- Germain 11, Paris.

(42)- Trefeu, Etienne: Nos marins vice-amiraux contre-amiraux officiers généraux des troupes de la marine et des corps, Berger Levraut et Cie Libraires Editeurs 5 rue des Bocaux Arts5, Paris, 1888.

(43)- Wahl, Maurice : La France aux colonies, ancienne maison quanin librairies imprimeries réunîtes May & motteroz directeurs, Paris, 1896..

المراجع الفرنسية:

(1)- Atger, P : La France en Coté d'ivoire de 1843 à 1893, Université de Dakar, Dakar, 1962.

(2)- Bernus, Edmond: Kong et sa Regin Etudes Eburneennes, Direction de la Recherche Scientifique Ministere de L'education Nationale de la Republique de Cote D'ivoire_ Abidjan, 1960

(3)- Cissé , kamissoko, Youssouf, tata,: La grande geste du Mali, tome2 , Soundjata la gloire du Mali Editions, Karthala-Arsan, Paris, 2009.

(4)- Groupe d'Auteurs: histoire générale de L'Afrique VII l'Afrique sous domination colonial1880-1935, l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation la science et la culture place de Fontenoy, Paris, 1987.

(5)- Person, Yves: Samori une révolution dyula, Dakar, 1968

(6)- Suret-Canale, Jean: Afrique Noire Occidentale et Centrale, Editions Sociales, Paris, 1958.

الدوريات:

(1)- Ancelle, J : Les Français Au Sénégal Notice Historique (1346-1883), Revue de de géographie, dirigée par M, Ludovic Drapeyron, septième année, Tome XIII, Juillet- Decembre 1883, Institute géographique, 15 rue Soufflot 15, à Paris.

(2)- Bertho, E : La Figure De Samori Toure Entre Histoire Et Littérature Sources Enjeux Méthodes, Sorbonne Nouvelle, Paris, Diderot 7, 16\2\2015.

(3)- Le Bras, Joel : De Colonnes Borgnis-Desbordes A La Colonne Combes 1880-1885, Au temps des expeditions et des colonnes de pénétration de l'Ouest-Africain: les médecins coloniaux de la Marine au Sénégal et dans le Haut-Fleuve, N0 130, Décembre 2015.

(4)- Combes, Paul : Samory Propagateur de l'Islam, Revue de l'Islam paraissant tous les mois fondés en 1895, Les Abonnements Sont Recos Aux Bureaux De La Revue Et à La Libraicaine Africaine Coloniale Et Orientale, 27 Rue Bonaparte, Paris, No 75, 1901.

(5)- Collieaux, M: Contribution a L'etude de L'hstoire de L'ancien Royaume de Kenedougou, Bulletin du Comite d'etudes historiques et scientifiques de L'Afrique occidentale Françoise, Tome VII N° 1, Imprimerie du Gouvernement General, Goree – Senegal, 1924.

(6)- Dutrech, Jean: L'Expanion Limousine L'Epopée Africaine, Lemouzi, Litteraire, Artistique, Historique et Traditionniste, Revue Franco-Limousine mensuelle, Secretariat General de la Ruche Limousine, J.Plantadis, 81, Rue Boursault (XVII), Paris, N 202, Oute 1914.

(7)- Kouronbari, A : Histoire De l'Imam Samori , relatée par Haurice Dalafosse, I.F.A.N, I. XXI, ser, nos 3-4, 1959

(8)- Hubier, M : La Cinquième Campagne du Haut Fleuve 1884- 1885, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux, Bulletin deuxième série neuvième année imprimerie G. gounouilhou 11 Rue guraude 11, Bordeaux, No 9, 4 Janvier 1886.

(9)- Gebelin : Le Traité de Paix avec Samory, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux, Bulletin deuxième série neuvième année imprimerie G. gounouilhou 11 Rue guraude 11, Bordeaux, No16, 16 Aout 1886.

(10)- Guenot, S: Chronique Géographique France Correspondences , Bulletin de la Société de Géographie de Toulouse, IMP. La garde et sebille, Rue nomiguières 2, Toulouse, N 5, 1897.

(11)- Kamara, Adama: Bouna et car évolution dioula de Samori destruction d'une cite fortement islamise, Revue gabonaise d'histoire et archeology, Université A l'assaneouattara , Bouake – Coté D'Lvoire, 2017.

(12)- Kouronbari, Amadou : Histoire De l'Imam Samori, relatée par Hauriée Dalaf-osse, I.F.A.N, I. XXI, ser, nos 3-4, 1959.

(13)- Mademba , Abd-el-Kader: Au Sénégal et Au Soudan Français, Bulletin du Comite d'etudes historiques et scientifiques de l'Afrique occidentale Français, Année 1930 Tome XIII, Libraire Larosse, Paris, No 2, 1930.

(14)- Manès, J : Ouvrages Reçus Par la Société, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux section centrale, Bulletin publie le comité de rédaction J. Gibelin rédacteur en chef, Imprimerie G. gounouilhou 11 rue guraude 11, Bordeaux, N0 2, 16 Janvier 1888.

(15)- Manes, J: Soudan François Resume de la Campagne 1888-1889, Bulletin société de géographie commerciale de Bordeaux, Bulletin deuxième série neuvième année imprimerie G. gounouilhou 11 Rue guraude 11, Bordeaux, No 20, October 1889.

(16)- Nudant : l'Expansion Française dans l'Afrique Centrale, Revue du cercle militaire bulletin des réunions d'officiers des armées des terre et de mer revue violette Directeur, Le lieutenant-colonel frogard, N0 38, 21 Septembre 1901.

(17)- Nudant: l'Expansion Française dans l'Afrique Centrale, Revue du Cercle militaire, bulletin des réunions d'officiers des armées de terre et de mer, No 41, 12 Octobre 1901.

(18)- Pinchon : Questions Economiques Guinée Française le Cercle de Kankan, Revue Coloniale peraftle 15 de chaque mois, Imprimerie administrative Paul Du Pont 4, Rue du bouloi,4, Paris, No 1, Janvier 1901.

(19)- Person, Yves: Samory, Les Africains sous la direction, Editions J.A. 51, Avenue des Ternes, Paris, 1977.

(20)- Peroz, E: La Tactique dans le Soudan, Revue maritime et colonial couronnée par l'Academie des sciences le 28 Décembre 1874, Librairie

Militaire de la Baudoin et Cie Librairies-éditeurs 30, Rue et passage Dauphine, 30, Paris, 1890.

(21)- Richemond, Stephane: Iconographie de Samory Toure de Guelemou a Kayes (1898), I&M- Buiietin n° 41

(22)- Trapier, V : La Haute Guinée, La Dépêche Coloniale illustrée, Rédaction et Administration 12 Rue Saint-Georges, Paris, N0 10, 31, Mai 1905

(23)- Renseignements Coloniaux Et Documents Publiés Par Le Comité De L'Afrique Française, N2, 1896.

(24)- Bulletindu Comité de l'Afrique Française, Comité de l'Afrique Française, 15 Rue de la Ville-l'Eveque 15, Paris, N 1, 5 Janvier 1897.

(25)- Bulletin de la Societe de Geographie de L'ain Paraissant Tous les trois mois, Imprimerie du Courrier de l'ain Francisque Allombert Proprietaire, Boury, 1899.

(26)- Journal Officiel De La République Française, débats parlementaires chambre des députes, 27 Juin 1890, P 1861.

(27)- L'armée coloniale Revue indépendante hebdomadaire, N 24, 20 Juin 1891.

(28)- Journal official de la République Française Lois et décrets, N 284, 19 October 1891.

(29)- Journal official de la République françaisé Lois et décrets, N 285, 20 Octobre 1891.

(30)- Journal official de la République française lois et décrets, N 286, 21 Octobre 1891.

(31)- Le Constitutionnel, journal du commerce politique et littéraire, Paris, 5 Fevrer 1892.

(32)- Journal official de la République Française Lois et décrets, N 45, 10 Fevrier 1893.

(33)- La Justice, Quatorueme année, N 10, Paris, Juin 1893.

(34)- Supplement au Journal le Temps , Bureaux: 5, boulevard des Italiens, Paris, 28 Septembre 1893.

(35)- Journal Officiel De La République Française, Débats Parlementaires, chambre des deputes, 27 Juin 1895.

المؤتمرات:

(1)- Prost, D'escadrons : Sénégal Soudan, conférence de garnison faite a chalons sur Marne, 10\ 2\ 1897.

(2)- Colloque International Yves Person (1925- 1982) Un historien de l'Afrique engage dans son temps, 20-21 Juin 2013

المراجع الجغرافية باللغة الفرنسية:

(1)- Monographie Hydrologique Du Bassin Du Niger, 1ère partie Le Niger Supérieur Et Le Bani, Office de la Recherche Scientifique et Technique Outre-Mer, 1970.

(2)- République De Cote d'Ivoire, version provisoire, Quatrième rapport national sur la convention de la diversité biologique, Mars 2009.

المراجع الإنكليزية:

(1)- Anderson, John: West Africa in the nineteenth and twentieth centuries, Heinemann Educational Book, London, 1972.

(2)- Fyfe, Christopher: History of Sierra Leone, Oxford university press, London, 1962.

(3)- Group of Authors: General history of Africa VI, AfricaIn The Nineteenth Century Until The 1880s, Unesco.

(4)- Hargreaves, J: The European partition of West Africa (History of West Africa), Longman, London, 1970.

(5)- Kanya, Forster: The Conquest of the Western Sudan, a study in French military imperialism, Cambridge University Press, , London 1969.

(6)- Oliver, Sanderson, Roland, G.N: The Cambridge History Of Africa, Cambridge University Press, 2008.

(7)- Robinson, R , And Others: Africa And The Victorians, the official mind of imperialism, Papermac- London, 1970.

الدوريات:

(1)- Oloruntmehin, O: The treaty of Niagassola 1886; an episode in Franco-Samori relations in the era of scramble, Journal of the Historical Society of Nigeria, Vo1, VI, no 4, June 1969.

(2)- Oloruntmehin, Olatunji: Franco_Samori relations 1886_1889: Diplomacy as war, Journal of the Historical Society of Nigeria, Vo1, VI, no 1, December 1971.

المراجع الجغرافية باللغة الإنكليزية:

(1)- Republic of The Gambia, The Fifth (5th) National Report to The Convention of Biological Diversity © May, 2014.

المراجع المترجمة:

(١)ـ بانيكار، مادهو: الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨.

(٢)ـ رودني، والتر: أوروبا والتخلف في أفريقيا، ترجمة: أحمد القصير، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨.

(٣)ـ كيزيربو، جوزيف: تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة: يوسف شلب الشأم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ـ سوريا، ١٩٩٤.

(٤)ـ لويد: أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠.

(٥)ـ هوبكنز: التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، ترجمة: أحمد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٨.

المراجع العربية:

(١)ـ أبو عيانة، فتحي محمد: جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ـ مصر، ١٩٨٣.

(٢)ـ إبراهيم، عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩.

(٣)ـ إسماعيل، حلمي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ٢٠٠٤.

(٤)ـ باري، عثمان: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط١، دار الأمين، مصر، ٢٠٠٠.

(٥)ـ باري، كردية، محمد، سعيد: ، المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة ،دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٧.

(٦)ـ بكاي، منصف: أضواء على تاريخ إفريقيا، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩.

(٧)ـ الجمل، شوقي ـ إبراهيم، عبدالله: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، دار الزهراء، الرياض ـ السعودية، ٢٠٠٢.

(٨)ـ روكز، يوسف: إفريقيا السوداء سياسة وحضارة، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦.

(٩)ـ رياض، زاهر: استعمار أفريقيا، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرةـ مصر، ١٩٦٥.

(١٠)ـ زبادية، عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

(١١)ـ ذهني، إلهام: جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ١٨٥٠ـ ١٩١٤، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٨.

(١٢)ـ ساتا، مهدي صالح: مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، المركز الإسلامي الأفريقي في الخرطوم، ١٩٩١.

(١٣)ـ سعودي، محمد عبد الغني: قضايا إفريقية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠.

(١٤)ـ شاكر، محمود: السنغال، مكتبة الفتح، دمشق، ١٩٧١

(١٥)ـ شاكر محمود: التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر غربي إفريقيا ١٩٢٤ـ١٩٩٢،ط٢، المكتب الإسلامي، ١٩٩٥.

(١٦)ـ العبودي، محمد بن ناصر: قصة سفر في نيجيريا، ط١، مكتبة الملك فهد، السعودية، ١٩٩٥.

(١٧)ـ قليجة، أحمد: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

(١٨)ـ الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت.

(١٩)ـ محمد، نبيلة: في تاريخ الحضارة الإسلامية. دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ت.

(٢٠)ـ مجموعة مؤلفين: تاريخ أفريقيا العام، أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، المجلد الرابع، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٨.

(٢١)ـ مجموعة مؤلفين: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي إقليم الصحراء الكبرى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ـ السعودية، ١٩٩٩.

(٢٢)ـ نمير، عقيل: تاريخ الجزائر الحديث، جامعة دمشق، ٢٠٠٧ـ ٢٠٠٨.

الرسائل الجامعية:

(١)ـ تايب، فيجل، خديجة، عقيلة: الإسلام في السنغال من القرن ٥هـ إلى ١٠هـ/ ١١م إلى ١٦م، جامعة الجليلالي بونعامة، خميس مليانة ـ الجزائر، ٢٠١٧.

(٢)ـ حجوجي، هزيلي، لمياء، يسرى: الكشوفات الجغرافية في افريقيا نهر النيل الكونغو النيجر، جامعة ٨ماي ١٩٤٥، قالمةـ الجزائر، ٢٠١٦.

(٣)ـ زهير، بن مبروك: تأثير الثورة الجزائرية على السياسة الفرنسية في غرب أفريقيا ١٩٥٤ـ١٩٦٠، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٦.

(٤)ـ دريسي، مكي، حميدة، عبلة: السياسة الاستعمارية الفرنسية في غرب أفريقيا السنغال وساحل العاج نموذجاً ١٩٠٠ـ ١٩٦٠، جامعة الجليلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٧.

(٥)ـ شعباني، نور الدين: دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين/ الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، جامعة الجزائر ـ٢ـ، ٢٠١٣.

(٦)ـ عباد، أحمد: المستكشفون الأوروبيون في غرب أفريقيا بين الاستكشاف والاستعمار من نهاية القرن الثامن عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلاديين، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، الجزائر، ٢٠١١.

(٧)ـ فارس، عالم، زوليخة، سكينة: الاستعمار الفرنسي في غينيا ودور أحمد سيكتوري في حركة التحرر ١٩٠٠ـ١٩٦٠، جامعة الجليلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٧.

(٨)ـ قحام، بن شعبان عمار، سلمى: الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية ما بين القرنين ٩هـ ـ١٣هـ/ ١٥م ـ١٩م، جامعة ٨ماي ١٩٤٥، قالمة ـ الجزائر، ٢٠١٧.

(٩)ـ مكي، شيشمة، مريم، سهام: الاستعمار وحركة التحرر في غرب إفريقيا الفرنسي السنغال نموذج ق١٩ ق٢٠، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة ـ الجزائر، ٢٠١٥.

الدوريات:

(١)ـ إبراهيم، عبد الله: مؤتمر برلين وآثاره على الخريطة السياسية لغرب أفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ع١٢، ١٩٨٣.

(٢)ـ أبكين، موسى: الغزو الفكري الاستعماري على التراث العربي الإسلامي في غرب أفريقيا، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور ـ باكستان، العدد ٢١، ٢٠١٤.

(٣)ـ أنور، محمد: أنهار وبحيرات أفريقيا نهر النيجر ثالث أكبر أنهار إفريقيا، مجلة أفريقيا قارتنا، القاهرة، العدد٧، أيلول، ٢٠١٣.

(٤)ـ الحيالي، عبد الأمير: أبعاد الصراع الموريتاني ـ السنغالي في حوض نهر السنغال، مجلة الفتح، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي ـ العراق، العدد ٣٤، ٢٠٠٨.

(٥)ـ السروجي، محمود: جهاد ساموري توري في غرب أفريقيا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي، مجلة مركز البحوث، السعودية، العدد ١، ١٩٨٢.

(٦)ـ محمد، قهاري: دور سكان منطقة أزجر والقهار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد: ٢٤، حزيران ـ ٢٠١٦.

المؤتمرات:

(١)ـ العراقي، أحمد: بلاد غربي إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ الدور الحضاري والثقافي، المؤتمر الدولي الإسلام في أفريقيا، ٢٧تشرين الثاني، ٢٠٠٦.

المراجع الإلكترونية:

(1)- https:// commons.m.wikimedia.org.

(2)- Les Annales Coloniales: revue mensuelle illustree, Source gallica. Bnf. Fr.

Résumé:

La recherche traite le sujet du rôle de l'empire Mandingue dans l'ouest du Soudan dans la résistance au colonialisme français 1874- 1898, à travers une présentation introductive brève et simplifiée des conditions de l'ouest du Soudan qui prévalaient pendant la première moitié du XIX^{ème} siècle, en termes de géographie, de localisation et de caractéristiques du terrain puis des groups humains ont été étudiés en parlant des principales tribus qui ont colonisé la region au cours de cette période, il a ensuite été décidé d'étudier la situation politique dans chaque partie de l'ouest du Soudan.

Le premier chapitre qui a intitulé la fondation de l'Empire Mandingou 1874 a traité des principales questions qui nécessitaient d'en parler d'une manière qui sert le sujet, en termes de procédures organisationnelles sous tous ses aspects, politiques, administratifs, économiques, militaires , sociaux et enfin culturels, car la clé de la force et de la faiblesse d'un pays réside dans les organisations existantes à l'intérieur.

Ensuite, nous sommes passés au deuxième chapitre, l'Empire Mandingue résistant au colonialisme français dans le Haut Niger de 1881 à 1893, à la recherché du mouvement d'expansion français, et résistant à l'Empire Mandingo, et il résulta de guerres sanglantesm en réponse à la tentative français d'envahir des zones sous le contrôle Mandingou, et il a imprégné les batailles sont des périodes de paix temporaire garanties parlées traitent des signes entre les deux parties, mais la guerre a rapidement repris, jusqu'à ce qu'elle se termine avec l'élimination de l'Empire Mandingou sur la region du Haut Nigre.

Quant au troisieme chapitre, intitulé <l'Empire Mandingou a résisté à la colonisation française en Côté d'Ivoire 1893- 1898>, qui comprenait une étude des conditions politiques qui existaient en Côté d'Ivoire avant l'arrivée des Mandingou, en termes de frontières et en termes d'entités politiques, puis l'entrée des mandingou sur ses territoires et la création d'un nouvel empire en elle, et cela conçaidait avec le mouvement d'expansion français la-bas, comme la France avait la priorité dans la région, et des combats ont éclaté entre l'empire et la colonie de France en Côté d'Ivoire , qui a pris fin avec la capture de son souverain Samory Toure en captivité, et par son arrestation, l'empire mandingue a été complètement détruit A.

De cette facon, la résistance de l'empire mandingue au colonialisme français dans l'ouest du Sudan qui a duré dix-sept ans a pris fin.

Syrian Arab Republic

Ministry of Higher Education

Damascus University

College of Arts

Department of History

The Role of the Mandingo Empire in Western Sudan in Resisting French Colonialism (1874- 1898)

This dissertation is submitted for the degree of master's of Modern and Contemporary History

Student Submission: Hala Mouayad Al-Ali

Supervision: DR. Akil Nomir

Academic Year: 2019- 2020

1440- 1441